

مرافق الموافق في الوعظ

ويليه

رؤوس القوارير مجالس علمية

تأليف الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي

تحقيق علاء إبراهيم الأزهري

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرافق الموافق

في الوعظ

ويليه

رؤوس القوارير

مجالس علمية

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ

تحقيق

علاء إبراهيم الأزهري

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ ـ ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ere Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3464-7



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ❊ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد ..

فهاتان درتان نفيستان للإمام ابن الجـ - رحمه الله - :

الأولى : « **مرافق الموافق** » وهو فى علم الوعظ .

والثانية : « **رءوس القوارير** » وهو مجالس علمية تشتمل على أربعة أبواب :

الأول : فى ذكر المختار من الخطب .

الثانى : فى تصرف اللغة وموافقة القرآن لها .

الثالث : وفيه طُرف ونتف وأسئلة .

الرابع : فى الوعظ .

وسأتحدث عن كل كتاب فى عدة نقاط أجملها فيما يلى :

١ - توثيق الكتاب ، وذلك ببيان اسم الكتاب وتحقيق نسبته إلى الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - .

٢ - منهج المصنف فى كتبه .

٣ - مميزات الكتاب .

٤ - وصف النسخ الخطية المعتمد عليها فى التحقيق .

ثم أتبع كل ذلك بترجمة للإمام ابن الجوزى - رحمه الله - وأعقبه ببيان عملى فى الكتابين ومنهج التحقيق ، وأخيرًا أضع أمام القارئ الكريم نماذج من صور النسخ المعتمدة فى التحقيق .

وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود .

مرافق الموافق

أولاً : توثيق الكتاب

اسم الكتاب : الاسم المثبت على صفحة الغلاف للنسخة التى اتخذتها أصلاً هو « مرافق الموافق فى الوعظ » أما النسخة الفرعية الأخرى فالاسم المثبت على صفحة الغلاف هو « موافق المرافق فى الوعظ » ، واعتمدت الاسم المثبت على النسخة التى اتخذتها أصلاً .

اسم المصنف : الاسم المثبت على النسخة التى اتخذتها أصلاً هو : « تأليف الشيخ زين الدين سلطان الوُعاظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى الحنبلى - تغمده الله تعالى برحمته والمسلمين آمين - » .

وفى النسخة الفرعية : « تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة وحيد دهره وفريد عصره أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى - رحمه الله تعالى آمين - » .

نسبة الكتاب إلى الإمام ابن الجوزى :

قد ثبتت صحة نسبة كتاب « مرافق الموافق » للإمام ابن الجوزى - رحمه الله - من طريقين ، **أولهما** : ذكر اسم الكتاب على صفحة الغلاف للمخطوطتين - المعتمد عليهما فى التحقيق - منسوبًا إلى الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - **والثانى** : نسبه إليه كثير ممن ذكر مؤلفات الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - منهم الحافظ الذهبى فى « سير أعلام النبلاء »[1] (٢١/ ٣٦٩) ، وحاجى خليفة فى «كشف الظنون » (٤/ ٤٦٤) ، والزركلى فى « الأعلام »[2] (٣/ ٣١٦ - ٣١٧).

ثانيًا : منهج الإمام ابن الجوزى فى « مرافق الموافق » .

قدم المصنف لكتابه بمقدمة تبين موضوعه ، ثم قسم المصنف - رحمه الله - كتابه إلى ثلاث وأربعين فصلاً ، وفى كل فصل منها يستعمل أساليب الترهيب

---

(١) واسم الكتاب فيه هو « موافق المرافق » . وهو الاسم الموافق لما جاء فى النسخة الفرعية .

(٢) واسم الكتاب فيه هو « المرافق الموافق » .

والترغـيب مع ضرب الأمثلة وبيان حـال الأنبياء والصـالحين ، وهو فى كل ذلك يطعم كلامه بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبـوية ، والأشعار سواء كانت ارتجالاً منه - وهو الغالب - أو من أشعار غيره .

فالإمام ابن الجوزى - رحمه الله - يحلق بالقارئ فى رياض نضرة من الوعظ ، تأخـذ بيده إلى التـحلى بالفـضائـل والأعمـال الصالحـة ، والتـخلى عن الرذائل والأعمال القبيحة .

ثالثًا : مميزات الكتاب

تتجلى مميزات هذا الكتاب الجليل فى عدة نقاط :

١ - أنه لإمام كـبير له باع فى علوم شـتى من علوم الشريعة من فـقه وتفسـير وحديث ولغة ووعظ وغير ذلك .

٢ - أنه فى علم يحتاجـه جميع المؤمنين ، فيـحتاجه العالم ليـقوده إلى العمل بعلمه ، ويحتاجه المتعلم ليطبق به ما يتعلمه فإنه كما قال ابن رسلان فى «زبده» :

وعـــالم بعلمـــه لم يعـــملن ... مـــعـذبٌ مـن قبل عـبـــاد الوثن

كما يحتاجه عوام المسلمين ؛ إذ بهذا الوعظ يقلعون عن الذنوب وينشطون إلى طاعة الله تعالى ومتابعة نبيه ﷺ .

٣ - أضف إلى كل ما سبق ما تميز به هذا الـكتاب من سبك المصنف - رحمه الله - كلامه فى سـبيكة من الذهب الخالص بأسلوبه الراقى وفصاحتـه البالغة من نظم رائق ونثر فـائق مع رشاقة العبـارة ، كل هذا مطعمًا بيواقـيت الكتاب والسنة وحكايات الأنبياء والصالحين .

فدونك سِفر عظيم فى فن الوعظ لا غنى لكل أحد عنه ، فاجعله رفيقًا لك فى أوقات عمركَ .

رابعًا : وصف النسخ الخطية المعتمد عليها :

اعتمدت فى تحقيق كتاب « مرافق الموافق » على نسختين خطيتين :

الأولى : وهى التى برقم (٥/١٠٣) بعثات الإسكوريال بمعهد المخطوطات .

الثانية : وهى المصورة عن مكتبـة الجامعة الأمريكـية فى بيروت ورقم المخطوط فيها هو (MS 297.52 I 13 MS) .

وصف النسخة الأولى :

هذه النسخة هى التى جـعلتها أصلاً للكتاب ؛ وذلـك نظرًا لكونها أتقن وأقدم بالإضافة إلى كونها أكمل .

وهذه النسخة تامة لم يسقط منها شيء سوى الصفحة الأولى فالظاهر أنها سقطت منها ، فنسخت بخط حديث ، لكن بمقابلتها على النسخة الأخرى عُلِم أنها نُسخت جيدًا .

على صفحة الغلاف وجد اسم الكتاب ونسبته إلى الإمام ابن الجوزى : « كتاب مرافق الموافق فى الوعظ تأليف الشيخ زين الدين سلطان الوعاظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى الحنبلى تغمده الله تعالى برحمته والمسلمين آمين» .

عدد أوراقها : (٨٩) ورقة سوى صفحة الغلاف .

عدد السطور : (١٩) سطرًا فى الصفحة .

مقاس الصفحة : ١٦ × ٩,٥سم سوى ما ألحق فى الحواشى .

عدد الكلمات فى السطر : تسع كلمات فى المتوسط.

اسم الناسخ : محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن .

تاريخ النسخ : سنة ثمان عشرة وستمائة .

تقييم هذه النسخة : هذه النسخة من النسخ الجيدة ، فهى قليلة الأخطاء ، والإلحاقات التى بحاشيتها نوعان : إلحاق تصحيح ، وإلحاق تبيين لاختلاف النسخ للكتاب .

وقد تميزت هذه النسخة بكثرة تشكيل الكلمات فيها ، وقد ميز الناسخ الفصول عن باقى الكلمات ببنط أسود ، وجعلها فى وسط السطر .

وصف النسخة الثانية :

وهذه النسخة قد رمزت لها بالرمز (أ) لكنها غير كاملة ، فقد أدخل عليها كتابًا آخر ابتداء من الورقة ١٠/ب ، وتقع فى ١٣٠ ق تقريبًا .

لم أستفد منها إلا فى عشر ورقات فقط ، على صفحة الغلاف : « موافق المرافق لابن الجوزى وتحته كتاب موافق المرافق فى الوعظ تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة وحيد دهره وفريد عصره أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله تعالى آمين » . **كما يوجد عليها بعض المطالعات وذكر أنه خرج عارية فى يد الحاج سليمان النجدى وغير ذلك .**

وهذه النسخة مشكولة فى الغالب ، يكتب قبل الشعر فيها كلمة « شعر » ، وفى بيانات المعهد : تاريخ النسخ : **القرن الثامن** ، خط نسخ حسن .

رءوس القوارير

أولاً : توثيق الكتاب

اسم الكتاب : الاسم المثبت على طرة الكتاب هو « رءوس القوارير » .

اسم المصنف : الاسم المثبت على طرة الكتاب هو : « للشيخ العلامة الواعظ أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبد الله[1] ابن الجوزى من بنى محمد بن أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - آمين » .

نسبة الكتاب إلى الإمام ابن الجوزى :

قد ثبتت صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - من نفس الطريقين اللذين ثبت بهما كتاب « مرافق الموافق » ، من كونه على طرة الكتاب ، كما نسبه إلى الإمام ابن الجوزى : الحافظُ الذهبى فى « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٣٧٠) ضمن الكتب التى سردها سبط ابن الجوزى للإمام ابن الجوزى فى « مرآة الزمان » (٨/ ٤٨٣ - ٤٨٩) .

ومما يفيد كذلك فى صحة نسبة هذا الكتاب للإمام ابن الجوزى - رحمه الله - وجود بعض خطبه مع اختلاف يسير فى كتاب « التبصرة » للإمام ابن الجوزى كذلك ، فمثلاً الخطبة الثالثة عشر هى الموجودة فى « التبصرة » (١/ ٣٥٢) مع اختلاف يسير .

ثانيًا : منهج الإمام ابن الجوزى فى « رءوس القوارير »

لم يذكر المصنف - رحمه الله - مقدمة لكتابه إلا أنه أشار إلى أنه مختصر من كتاب آخر بقوله : « انتخبت هذا . . . إلخ » .

وقد قسم المصنف - رحمه الله - كتابه « رءوس القوارير » إلى أربعة أبواب :

١ - الباب الأول : فى ذكر المختار من الخطب .

وقد اشتمل هذا الباب على إحدى وثلاثين خطبة قصيرة بليغة ، جعل تقاسيم الخطبة الأولى على حرف الألف ، والثانية والثالثة والرابعة والخامسة على حرف الباء ، والخطبة السادسة على حرف الجيم ، والخطبة السابعة والثامنة على حرف الحاء ، والخطبة التاسعة على حرف الدال ، والخطبة العاشرة على حرف الراء الملحق بها « ها » ، والخطبة الحادية عشرة على حرف الراء ، والخطبة الثانية عشرة على حرف التاء ، والخطبة الثالثة عشرة على حرف الراء ، والخطبة الرابعة عشرة

---

(١) فى سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥) : « عبيد الله » .

على حرف الزاى ، والخطبة الخامسة عشرة والسادسة عشرة على حرف السين ، والخطبة السابعة عشرة على حرف الشين ، والخطبة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة على حرف العين ، والخطبة العشرون على حرف العين الملحق به حرف الهاء ، والخطبة الحادية والعشرون والثانية والعشرون على حرف اللام ، والخطبة الثالثة والعشرون على حرف اللام الملحق به الهاء ، والخطبة الرابعة والعشرون على حرف الميم الملحق به الياء ، والخطبة الخامسة والعشرون على حرف النون ، والخطبة السادسة والعشرون على حرف الميم الملحق به الهاء ، والخطبة السابعة والعشرون على حرف النون الملحق به الهاء ، والخطبة الثامنة والعشرون على حرف الهاء ، والخطبة التاسعة والعشرون على حرف الألف ، والخطبة الثلاثون والحادية والثلاثون على حرف الياء الملحق به الألف .

٢ - **الباب الثانى** : فى تصرف اللغة وموافقة القرآن لها

ولمعرفة محتويات هذا القسم إجمالاً يرجع إلى فهرس الموضوعات الملحق بآخر الكتاب .

٣ - **الباب الثالث** : وفيه طرف ونتف وأسئلة

ويشتمل على ذكر آدم - عليه السلام - وذريته ، وذكر الأقاليم السبعة ، والجبال والعظام وبعض أعضاء بدن الإنسان ، وعجائب النبات والحيوان والطيور ، كل ذلك يذكره تحت فصول بأسلوب سهل مشوق .

ثم ذكر بعد ذلك فصولاً فى علم الحديث ، فى ذكر آخر من مات من الصحابة - رضى الله عنهم - وذكر الأوائل ، والمنسوبين إلى أمهاتهم ، ومعرفة القبائل ، والمؤتلف والمختلف فى الأسماء والأنساب ، وذكر وقائع من السيرة على وِفق السنين ، وبعض العجائب .

ثم أتبع ذلك بذكر أحاديث مشتبهة الرواة ، وبعده ذكر فصلاً فى المتفق والمفترق من الأسماء .

وعقب كل هذا ذكر فصلاً فى أسئلة وأجوبتها ، وبعده فصلاً فى لطائف المواعظ .

٤ - **الباب الرابع** : فى المتعلق بالوعظ

وتحته فصل فى التوحيد ، وفصول فى ذكر القصص للأنبياء مبتدئًا بآدم - عليه السلام - مختتمًا بذكر نبينا محمد ﷺ ، بالإضافة إلى ذكر قصتى بلعام وقارون ، وفى آخر هذه القصص ذكر صفة المجاهدين فى طاعة الله تعالى .

ثم ذكر بعد ذلك فصولاً متفرقة فى الحث على غض البصر وحفظه ، والمسارعة إلى طاعة الله تعالى ، والحث على التفكر والاعتبار والخوف من الله تعالى والتشمير فى العبادة ، والحث على الإخلاص والمحبة لله تعالى ، والحث على اختيار الصاحب والاستيقاظ من الغفلة ، والحث على استدراك ما فات من الزمان وعدم الاغترار بالدنيا وزينتها ، والحث على شحذ الهمم فى طلب الآخرة ، وأخيرًا فى ذكر الموت والرحيل عن الدنيا .

ثالثًا : مميزات الكتاب :

بالإضافة إلى ما ذكر تحت مميزات كتاب « مرافق الموافق » ، فيكفى النظر إلى منهج المصنف - رحمه الله - فى هذا الكتاب وما احتوى عليه ، هذا مع صغر حجمه .

رابعًا : وصف النسخة الخطية التى اعتمدت عليها

قد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب الجليل على مخطوطة واحدة لم أحصل إلا عليها ، وهى النسخة التى فى المكتبة الآصفية بحيدر آباد تحت رقم [١٣ مجاميع (١)] ، وهى نفس النسخة المصورة فى معهد المخطوطات العربية تحت رقم (٣٨٠) مرتب أبجدى ، وهى نسخة كاملة من الكتاب ، هذا بيان وصفها .

عدد الأوراق : (٢٧) ورقة سوى صفحة الغلاف .

عدد السطور : (٢٣) سطرًا فى الغالب .

متوسط عدد الكلمات فى السطر : ١٣ كلمة .

مقاس الصفحة : ١٨ × ١١ سم سوى ملحقات الحواشى .

نوع الخط : نسخى جيد .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن عثمان آل جلاجل النجدى ، وهو الذى نسخها عن الأصل .

تاريخ نسخ الأصل : فرغ من نسخه يوم الأحد الثانى والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٧٥ هـ .

تاريخ النسخ عن الأصل : فرغ من نسخه ليلة الجمعة الخامس من شهر صفر سنة ١٣٠٣ هـ .

تقييم النسخة : هذه النسخة جيدة ؛ إذ ناسخها أتقن كتابتها وذلك بمقابلتها على الأصل بعد نسخها ، فهو يكتب بلغ فى حاشية الكتاب بالإضافة إلى كتابتها مرتين فى آخر النسخة على حاشيتى الكتاب ، كما أن أصل هذه النسخة مقروء ومتداول

بين العلماء ، ففى آخر النسخة : « وكثيرًا ما يقول فى الحاشية : بلغ قراءة على الشيخ الإمام العالم عبد الصمد - رضى الله عنه - آمين » .

وقد ذكر الناسخ فى حواشى الكتاب معانى كثير من الكلمات الغريبة وقد أخذها كلها عن كتاب « المصباح المنير » للفيومى ، كما أنه علق بعض التعليقات المفيدة ، وقد حافظت - بفضل الله تعالى - على كل هذا وذكرته فى هامش الكتاب مشيرًا إلى أنه فى الحاشية ، مع بيان موضع الكلمات الغريبة فى النسخة المطبوعة من « المصباح المنير » .

استعمل الناسخ الشق - وهو أن يمد خطًا على الكلمة الخطأ مختلطًا بها - وذلك لبيان خطئها ،كما أنه جعل الأبواب بخط كبير ، وجعل الفصول بخط أقل منه ، كما أنه قام بتشكيل كثيرًا من الكلمات المشكلة ، وقد حافظت - بحمد الله تعالى - على هذا فى كثير من المواضع .

ترجمة الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -

اسمه ونسبه :

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله ، ينتهى نسبه إلى محمد ابن خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق .

مولده :

ولد الإمام ابن الجوزى فى سنة تسع أو عشر وخمسمائة من هجرة النبى ﷺ ، وسأله ابن الدبيثى عن مولده غير مرة ، ويقول : يكون تقريبًا فى سنة عشر ، وسأل أخاه عمر فقال : فى سنة ثمان وخمسمائة تقريبًا .

نشأته وحياته :

أول شىء سمع فى سنة ست عشرة وخمسمائة - أى وله ست أو سبع سنين - ولم يرحل فى طلب الحديث ، وانتفع فى الحديث بملازمة الحافظ ابن ناصر ، وفى القرآن والأدب بسبط الخياط وابن الجواليقى ، وفى الفقه بطائفة من العلماء .

توفى أبوه وله ثلاثة أعوام ، فربته عمته ، وكان أقاربه تجارًا فى النحاس ، لذا فأحيانًا كان يكتب اسمه فى السماع عبد الرحمن بن على الصَّفَّار .

ثم لمَّا ترعرع حملته عمتّه إلى الحافظ ابن ناصر ، فأسمعه الكثير ، وأحبَّ الوعظ ولهج به وهو مراهق ، فوعظ الناس وهو صبى ، ثم ما زال نافق السوق معظَّمًا متغاليًا فيه ، مُزْدَحمًا عليه ، مضروبًا برونق وعظِه المثل ، كماله فى ازدياد واشتهار إلى أن مات - رحمه الله - .

وقد نالته محنة فى أواخر عمره ، ووشوا به إلى الخليفة الناصر عنه بأمر اختلف فى حقيقته ، فجاء من شتمه وأهانه ، وأخذه قبضًا باليد ، وختم على داره ، وشتت عياله ، ثم أُقعد فى سفينة إلى مدينة واسط ، فحُبس بها فى بيت حرج ، وبقى هو يغسل ثوبه ، ويطبخ الشىء ، فبقى على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حمامًا ، قام عليه الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر ، وكان ابن الجوزى لا ينصف الشيخ عبد القادر ، ويغض من قدره ، فأبغضه أولاده ، ووزر صاحبهم ابن القصاب ، وقد كان الركن ردىء المعتقد ، متفلسفًا ، فأحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزى ، وأُخذت مدرستهم ، فأعطيت لابن الجوزى ، فانسمَّ الركن ، وقد كان ابن القصاب الوزير يترفض ، فأتاه الركن ، وقال : أين أنت عن ابن الجوزى الناصبى ؟ وهو أيضًا من أولاد أبى بكر ، فصرف الركن فى

الشيخ ، فجاء وأهانه ، وأخذه فى مركب ، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل ، وعلى رأسه تخفيفة ، وقد كان ناظر واسط شيعيًّا أيضًا ، فقال له الركن : مكنى من هذا الفاعل لأرميه فى مطمورة . فزجره وقال : يا زنديق ، أفعل هذا بمجرد قولك ؟ هات خط أمير المؤمنين ، والله لو كان على مذهبى ، لبذلت روحى فى خدمته ، فرد الركن إلى بغداد .

وكان السبب فى خلاص الشيخ أن ولده يوسف نشأ واشتغل ، وعمل فى هذه المدة بالوعظ وهو صبى ، وتوصل حتى شفعت أم الخليفة ، وأطلقت الشيخ ، وأتى إليه ابنه يوسف ، فخرج ، وما رَدَّ من واسط حتى قرأ هو وابنه بتلقينه بالعشر على ابن الباقلانى ، وسن الشيخ نحو الثمانين ، فانظر إلى هذه الهمة العالية .

شيوخه :

سمع من أبى القاسم بن الحصين ، وأبى عبد الله الحسين بن محمد البارع ، وعلى بن عبد الواحد الدينورى ، وأحمد بن أحمد المتوكلى ، وإسماعيل بن أبى صالح المؤذن ، والفقيه أبى الحسن ابن الزاغونى ، وهبة الله بن الطبر الحريرى ، وأبى غالب ابن البناء ، وأبى بكر محمد بن الحسين المزرفى ، وأبى غالب محمد ابن الحسن الماوردى ، وأبى القاسم عبد الله بن محمد الأصبهانى الخطيب ، والقاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى ، وإسماعيل ابن السمرقندى ، ويحيى ابن البناء ، وعلى بن الموحد ، وأبى منصور بن خيرون ، وبدر الشيحى ، وأبى سعد أحمد بن محمد الزوزنى ، وأبى سعد أحمد بن محمد البغدادى الحافظ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطى الحافظ ، وأبى السعود أحمد بن على ابن المجلى ، وأبى منصور عبد الرحمن بن زريق القزاز ، وأبى الوقت السجزى ، وابن ناصر ، وابن البطى ، وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخًا قد خرج عنهم « مشيخة » فى جزءين .

تلاميذه :

حدث عنه : ولده الصاحب العلامة محيى الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله ، وولده الكبير على الناسخ ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلى الحنفى صاحب « مرآة الزمان » ، والحافظ عبد الغنى ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة ، وابن الدبيثى ، وابن النجار ، وابن خليل ، والضياء ، واليَلدانى ، والنجيب الحرانى ، وابن عبد الدائم ، وخلق سواهم .

وبالإجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ، وابن البخارى ، وأحمد بن أبى الخير ، والخضر بن حمويه ، والقطب ابن عصرون .

فضائله :

يقول الذهبى في « سير أعلام النبلاء » : كان رأسًا فى التذكير بلا مدافعة ، يقول النظم الرائق ، والنثر الفائق بديهًا ، ويسهب ، ويعجب ، ويطرب ، ويطنب ، لم يأت قبله ولا بعده مثله ، فهو حامل لواء الوعظ ، والقيم بفنونه ، مع الشكل الحسن ، والصوت الطيب ، والوقع فى النفوس ، وحسن السيرة ، وكان بحرًا فى التفسير ، علاَّمة فى السير والتاريخ ، موصوفًا بحسن الحديث ، ومعرفة فنونه ، فقيهًا ، عليمًا بالإجماع والاختلاف ، جيد المشاركة فى الطب ، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار ، وإكباب على الجمع والتصنيف ، مع التصون والتجمل ، وحسن الشارة ، ورشاقة العبارة ، ولطف الشمائل ، والأوصاف الحميدة ، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام ، ما عرفت أحدًا صنَّف ما صنَّفَ . اهـ .

وقال سبطه أبو المظفر[1] : سمعت جدى على المنبر يقول : بإصبعى هاتين كتبت ألفى مجلدة ، وتاب على يدى مائة ألف ، وأسلم على يدى عشرون ألفًا ، وكان يختم فى الأسبوع . اهـ .

وقال أيضًا : وكان زاهدًا فى الدنيا ، متقلِّلاً منها ، وكان يجلس بجامع القصر والرُّصافة وبباب بدرٍ وغيرها . إلى أن قال : وما مازح أحدًا قط ، ولا لعب مع صبيٍّ ، ولا أكل من جهةٍ لا يتيقن حلها . اهـ .

طرف من ثناء العلماءَ عليه :

يقول أبو عبد الله ابن الدُّبيثى فى « تاريخه » : شيخنا جمال الدين صاحب التصانيف فى فنون العلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه من سقيمه ، وكان من أحسن الناس كلامًا وأتمهم نظامًا وأعذبهم لسانًا وأجودهم بيانًا . اهـ .

وقال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزى فى التفسير من الأعيان ، وفى الحديث من الحُفاظ ، وفى التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كافٍ ، وأما السجع الوعظى فله فيه ملكة قوية . اهـ .

---

(١) فى مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢) .

وقال الإمام موفق الدين : ابن الجوزى إمام أهل عصره فى الوعظ ، وصنف فى فنون العلم تصانيف حسنة ، وكان صاحب فنون . اهـ .

وقال أبو معتوق محفوظ بن معتوق ابن البُزُورى فى « تاريخه » : أصبح ابن الجوزى فى مذهبه إمامًا يُشار إليه ، ويعقد الخنصر فى وقته عليه ، برع فى العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم ، وفاق على أدباء مصره ، وعلا على فضلاء عصره . اهـ .

وقال الذهبى فى « سير أعلام النبلاء » : الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام ، مفخر العراق . اهـ .

وقال ابن أبى الدم فى « التاريخ المظفرى »[1] : إمام وقته فى علم الوعظ والحديث والجرح والتعديل والتفسير والتاريخ والسير والفقه على مذهب أحمد بن حنبل ، صنف فى كل علم ، وطبق الأرض ذكره واشتهرت تصانيفه وكان من الفضل والعلم بمكان عال ، وأما علم المواعظ ومواده فهم مسلم إليه . اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية »[2] : له فى العلوم كلها اليد الطولى . اهـ .

مؤلفاته :

قال سبطه أبو المظفر[3] : سمعت جدى على المنبر يقول : بإصبعى هاتين كتبت ألفى مجلدة . اهـ . ثم سرد تصانيفه ، ثم قال : ومجموع تصانيفه مئتان ونيِّفٌ وخمسون كتابًا . اهـ .

ونظرًا لكون مصنفاته كثيرة جدًّا فسأكتفى هنا بذكر بعض ما يتعلق بالوعظ والرقاق والحث على الفضائل :

١ - مناجزة العمر - جزء .   ٢ - الستر الرفيع - جزء .
٣ - ذم الحسد - جزء .   ٤ - ذم المسكر - جزء .
٥ - السهم المصيب - جزآن .
٦ - إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء - جزآن .
٧ - الحث على العلم - مجلد .   ٨ - لفتة الكبد - جزء .

---

(١) ص (٤٧٠ - بتحقيقى علاء إبراهيم الأزهرى) .
(٢) (١٣/ ٢٨ - طبعة دار المعرفة) .
(٣) فى مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢) .

٩ - الحث على طلب الولد - جزء .
١٠ - المرتجل فى الوعظ - مجلد .
١١ - اللطائف - مجلد .
١٢ - التحفة - مجلد .
١٣ - شاهد ومشهود - مجلد .
١٤ - زواهر الجواهر - مُجيليد .
١٥ - المجالس البدرية - مُجيليد .
١٦ - يواقيت الخطب - جزآن .
١٧ - لآلئ الخطب - جزآن .
١٨ - خطب الجمع - ثلاثة أجزاء .
١٩ - المواعظ السلجوقية .
٢٠ - اللؤلؤة .
٢١ - الياقوتة .
٢٢ - تصديقات رمضان .
٢٣ - التعازى الملوكية .
٢٤ - روح الروح .
٢٥ - كنوز الرموز .
٢٦ - الحدائق - مجلدان .
٢٧ - عيون الحكايات - مجلدان .
٢٨ - اليواقيت فى الوعظ - مجلد .
٢٩ - نسيم السحر - مجلد .
٣٠ - المنتخب - مجلد .
٣١ - المدهش - مجلد (مطبوع) .
٣٢ - صفوة الصفوة - أربع مجلدات (مطبوع) .
٣٣ - أخبار الأخيار - مجلد .
٣٤ - أخبار النساء - مجلد .
٣٥ - المقعد المقيم - مجلد .
٣٦ - ذم الهوى - مجلد .
٣٧ - تلبيس إبليس - مجلد (مطبوع) .
٣٨ - صيد الخاطر - ثلاث مجلدات (مطبوع) .
٣٩ - الأذكياء - مجلد (مطبوع) .
٤٠ - المغفلين - مجلد (مطبوع) .
٤١ - صبا نجد - مجلد (وهو مخطوط تحت رقم ٥/١٠٣ بعثة الإسكوريال قبل « مرافق الموافق ») .
٤٢ - الظرفاء - مجلد .
٤٣ - الملهب - مجلد .
٤٤ - المطرب - مجلد .
٤٥ - منتهى المشتهى - مجلد .
٤٦ - فنون الألباب - مجلد .
٤٧ - المزعج - مجلد .
٤٨ - سلوة الأحزان - مجلد .
٤٩ - منهاج القاصدين - مجلدان (مطبوع) .
٥٠ - مرافق الموافق - مجلد (وهو كتابنا الأول هنا) .

٥١ - لباب زين القصص .
٥٢ - فضائل الأيام .
٥٣ - أسباب البداية .
٥٤ - واسطات العقود .
٥٥ - شذور العقود فى تاريخ العهود .
٥٦ - الخواتيم .
٥٧ - المجالس اليوسفية .
٥٨ - كنوز العمر .
٥٩ - نسيم الروض .
٦٠ - الثبات عند الممات .
٦١ - الموت وما بعده - مجلد .
٦٢ - العزلة .
٦٣ - كان وكان فى الوعظ .
٦٤ - خطب اللآلئ .
٦٥ - مواسم العمر .
٦٦ - أعمار الأعيان .
٦٧ - التبصرة فى الوعظ - ثلاث مجلدات (مطبوع) .
٦٨ - رءوس القوارير (وهو كتابنا الثانى هنا) .

وفاته :

قال سبطه : جلس جدى تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخى ، وكنت حاضرًا ، فأنشد أبياتًا ، قطع عليها المجلس وهى :

الله أسأل أن يُطَوِّل مدتى	لأنال بالإنعام ما فى نيتى
لى همة فى العلم ما إن مثلها	وهى التى جنت النحول هى التى
خلقت من العلق العظيم إلى المنى	دعيت إلى نيل الكمال فلبت
كم كان لى من مجلس لو شبهت	حالاته لتشبهت بالجنة
أشتاقه لما مضت أيامه	عُطلاً وتعذر ناقة إن حنت
يا هل لليلات بجمع عودة	أم هل على وادى منى من نظرة
قد كان أحلى من تصاريف الصبا	ومن الحمام مغنيًا فى الأيكة
فيه البديهات التى ما نالها	خلق بغير مخمر ومبيت

فى أبيات .

ونزل ، فمرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة فى داره بقطفتا . وحكت لى أمى أنها سمعته يقول قبل موته : أيش أعمل بطواويس ؟ يرددها ، قد جبتم لى هذه الطواويس .

وحضر غسله شيخنا ابن سكينة وقت السحر ، وغلقت الأسواق ، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علىٌّ اتفاقًا ؛ لأن الأعيان لم يقدروا من الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور ، فصلوا عليه ، وضاق بالناس ،

وكان يومًا مشهودًا ، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة الجمعة ، وكان فى تموز[١] ، وأفطر خلق ، ورموا نفوسهم فى الماء . . . إلى أن قال : وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل ، كذا قال ، والعهدة عليه . وأنزل فى الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر ، وحزن عليه الخلق ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات ، بالشمع والقناديل ، ورآه فى تلك الليلة المحدث أحمد ابن سلمان السكر فى النوم ، وهو على منبر من ياقوت ، وهو جالس فى مقعد صدق والملائكة بين يديه ، وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء ، وتكلمت فيه ، وحضر خلق عظيم ، وعملت فيه المراثى ، ومن العجائب أنَّا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره ، وإذا بخالى محيى الدين قد صعد من الشط ، وخلفه تابوت ، فقلنا : نرى من مات ، وإذا بها خاتون أم محيى الدين ، وعهدى بها ليلة وفاة جدى فى عافية ، فعد الناس هذا من كراماته ؛ لأنه كان مغرًى بها . وأوصى جده أن يُكتب على قبره :

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الـ ... ـصفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الـ ... ـضيف إحسانٌ إليه

مصادر ترجمته[٢] :

الذهبى فى السير (٢١/ ٣٦٥) ، والتقييد لابن نقطة (١٤١) ، والكامل لابن الأثير (١٢/ ٧١) ، والتاريخ المظفرى لابن أبى الدم (ص ٣٧٠ - بتحقيق علاء إبراهيم الأزهرى) ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى (٨/ ٤٨١) ، والمنذرى فى التكملة (٦٠٨) ، والنعال فى المشيخة (١٤٠) ، وأبو شامة فى ذيل الروضتين (٢١) ، وابن الساعى فى الجامع (٩/ ٦٥) ، وابن خلكان فى الوفيات (٣/ ١٤٠) ، والعبر (٤/ ٢٩٧) ، ودول الإسلام (٢/ ٧٩) ، والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٢٠٥) ، والتذكرة (٤/ ١٣٤٢) ، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٨) ، والدمياطى فى المستفاد (ق٦) ، وابن رجب فى الذيل (١/ ٣٩٩) ، والغسانى فى العسجد (ق ١٠٦) ، وغاية النهاية للجزرى (١/ ٣٧٥) ، وعقد الجمان للعينى (١٧/ ٢٦١) ، والأعلام للزركلى (٣/ ٣١٦ - ٣١٧) .

---

(١) هو الشهر العاشر من الشهور السُّريانية ، ويقابله « يوليو » من الشهور الميلادية . المعجم الوجيز (ص ٧٨) .

(٢) قد استفدت هذه المصادر من محققى سير أعلام النبلاء .

عملنا فى الكتابين ومنهج التحقيق

١ - تم نسخ المخطوطتين ومقابلتهما بكل دقة على أصولهم .

٢ - قمت بعمل مقدمة تشتمل على فوائد .

٣ - تم ضبط النص حسبما تقتضيه القواعد الإملائية ، كما وضعت علامات ترقيم تفيد فى فهم النص فهمًا جيدًا .

٤ - قمت بضبط كثير من الكلمات المشكلة فى الأشعار وغيرها .

٥ - قمت بتنسيق الكتاب تنسيقًا جيدًا ، وذلك بوضع الآيات القرآنية بين قوسين عزيزين هكذا ﴿ ﴾ ، ووضع الأحاديث بين قوسى تنصيص هكذا « » ، وميزت الفصول ببنط كبير فى وسط الصفحة ، وميزت الأشعار وذلك بجعلها شطرين ، ووضعت الزيادة على ما فى الأصل بين معقوفين هكذا [ ] ، مع التنبيه فى هامش الكتاب .

٦ - لم أغير شيئًا من الأصل المعتمد عليه إلا ما غلب على ظنى أنه خطأ ، وأوضح هذا فى هامش الكتاب .

٧ - قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة عقب الآية ، وذلك بذكر اسم السورة يعقبه رقم الآية بين معقوفين هكذا [سور . . . : رقم الآية] .

٨ - قمت بتخريج الأحاديث النبوية التى ذكرها المصنف - رحمه الله - وكان من منهجى فى ذلك ما يلى :

أ- إذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما فأكتفى بتخريجه منهما أو من أحدهما، وذلك لما هو معلوم من صحة أحاديثهما ، فلا أرى حاجة فى التطويل .

ب - إذا لم يكن فى الصحيحين أو أحدهما لكنه فى بقية الكتب الستة (وهى سنن أبى داود - سنن النسائى - سنن الترمذى - سنن ابن ماجه) فأكتفى بتخريجه منها .

جـ - إذا لم يكن فى الكتب الستة فأجتهد فى تخريجه مما تيسر من كتب الحديث النبوى الشريف .

٩ - قمت بذكر الحكم على كثير من الأحاديث النبوية مستعينًا بكلام أهل الشأن فى ذلك .

١٠ - قمت ببيان معانى الكلمات الغريبة مع ضبطها ، وهى كثيرة جدًّا فى كلام المصنف -رحمه الله - .

١١ - أعددنا فهارس علمية تفيد القارئ الكريم وتشتمل على :

أ - فهرس للآيات القرآنية [لكل من مرافق الموافق ورءوس القوارير] .

ب - فهرس للأحاديث والآثار [لكل من مرافق الموافق ورءوس القوارير] .

جـ - فهرس للأشعار لكتاب رءوس القوارير .

د - فهرس للأعلام [لكل من مرافق الموافق ورءوس القوارير] .

١٢ - قمنا بعمل قائمـة بثبت المراجع التى اعتمدنا عليه فى تحـقيق الكتابين مع بيان طبعاتها ، وقد ذكرنا فيها ما وضع فعلاً فى هوامش الكتاب .

وفى الختام أتقدم بجزيل الشكر لأعضاء مكتبنا « **القبس لتحقيق التراث** » ولكل من ساهم فى سـبيل إخراج هذين الكتـابين فى صورة تليق بهـما ، وأخص منهم زوجتى العزيزة أم معـاذ التى لم تأل جهداً فى مساعدتى الحـسية والمعنوية ، فلهم منى جميعًا جزيل الشكر .

ونسأل الله تعـالى أن يتقبل عـملنا هذا ، وأن يجعله خالصًا لوجـهه الكريم ، وأن ينفع بهذين الكتابين مؤلفهما ومحقـقهما وكل من نظر فيهما أو تعلم منهما ، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة - حدائق القبة
ليلة الأحد العاشر من رمضان سنة ١٤٢٢هـ
٢٤ نوفمبر سنة ٢٠٠١ م

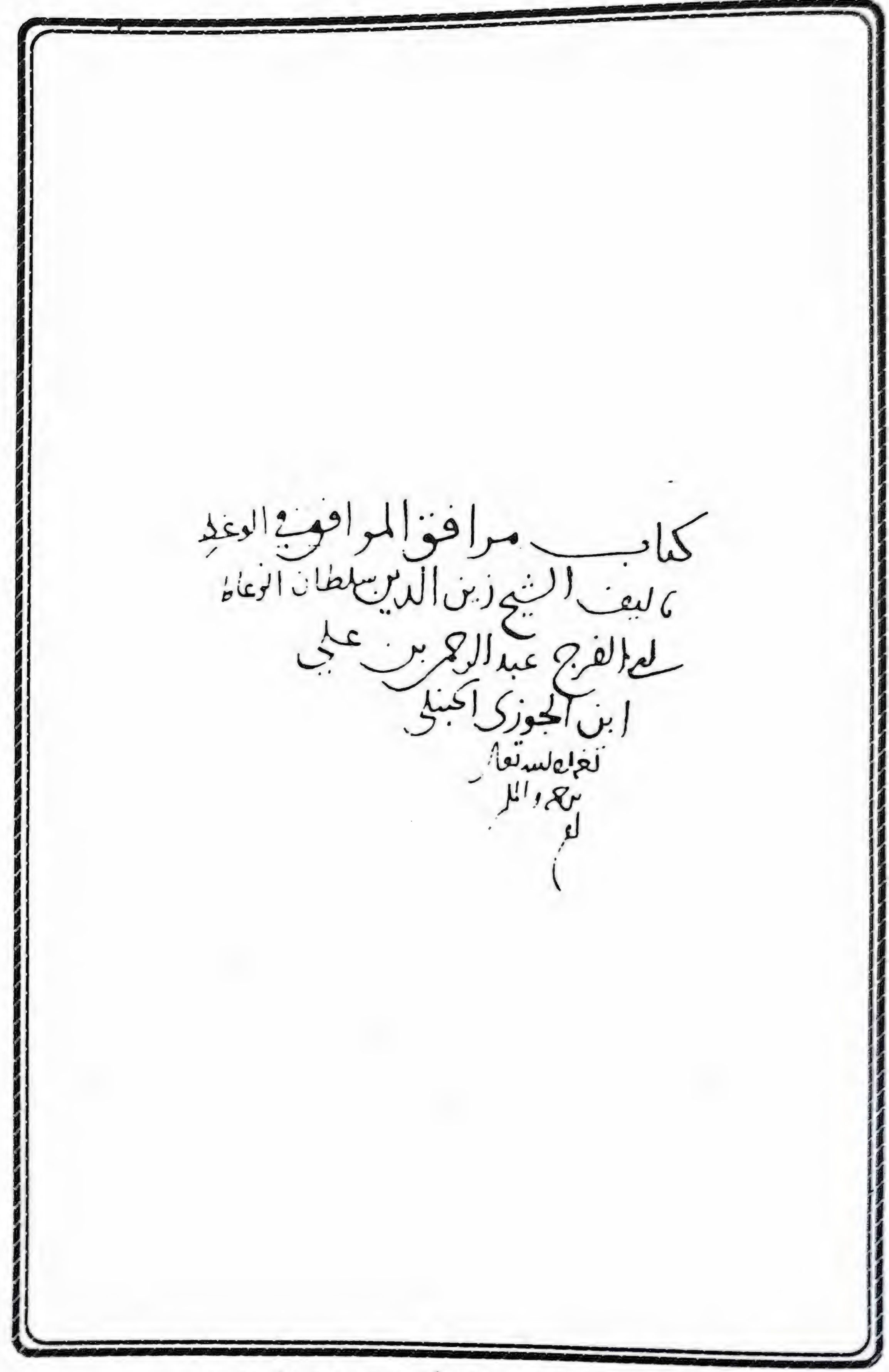
كتب
أبو معاذ
علاء إبراهيم الأزهرى



صور المخطوطات

المعتمد عليها فى التحقيق




كتاب مرافق الموافق في الوعظ
تأليف الشيخ زين الدين سلطان الوعاظ
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي الحنبلي
تغمده الله تعالى

صفحة الغلاف للنسخة الأصل « مرافق الموافق » .

الورقة الأولى للنسخة الأصل « مرافق الموافق » .

كمل كتاب مرافق الموافق والحمد لله وحده وصلواته على محمد
وعلى اله وصحبه وسلامه وافق فراغه الثامن عشر
سنة ثمان عشرة وستمائة كتبه العبد الفقير
محمد بن ابرهيم بن عبد الرحمن غفر له ولوالديه ولمن
با المغفرة ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم

الورقة الأخيرة للنسخة الأصل « مرافق الموافق ».


موافق المرافق وعظ الجوزي

كتاب موافق المرافق في الوعظ

تأليف الشيخ الامام العالم

الفاضل العلامة وحيد

دهره وفريد

عصره ابي

الفرج

عبد الرحمن

الجوزي

رحمه الله

تعالى

امين

صفحة الغلاف للنسخة (أ) « مرافق الموافق » .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
قال الشيخ الإمام العالم الزاهد جمال الدين أبو الفرج عبد
الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله الحمد لله على
التوفيق والشكر له على التحقيق والصلاة على رسوله محمد
أشرف منطيق وعلى آله صاحب له ورفيق صلاة تدوم
إلى يوم الجمع والتفريق هذا ما أمليته في المواعظ
يتوافق فيه الكلام وما يستشهد به عليه ويشير
هذا إلى ما يشير هذا إليه ومن الله نرجو الهدى إلى
الصواب فما أمله مؤمل قط فخاب
عباد الله تلمحوا العواقب تلمح مراقب وتأهبوا على
المناقب فإن العاقل لتحصيل التي يناهب مصائد
الشهوات مبثوثة في طريق المتقي فلا يسلم من شرورها
ذو شره وإنما يخاطر فيها الذين يؤمنون بالغيب
الدنيا شك منام والعيش فيها أحلام وعن قليل يصح
البرهان وبان ما كان ما كان قيل لنوح عليه السلام
يا أطول الناس عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار ذات
بابين دخلت من باب وخرجت من باب
وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
راقدا في نوم الغفلة يا مشغولا بأحلام الأمل أما تونبك
المزعجات أما تنبهك المحركات الجنة فوقك تزخرف
والنار تحتك توقد والقبر عن قليل تحفر وزعابات
كفنك اليوم يغزل وأنت على المعاصي لا تغفل والملك يحفظ
أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم يا من قد بلغ سنه
الستين وما عبرة من السنين ترى يا بطالا من العبر
ويتوب ولا يرجع ولا يتوب قد درن جسم قلبه
بالذنوب فما يغسله ألف ذنوب وقلبه أعمى بين القلوب
يا عاذل العاشقين دع فئة أضلها الله كيف ترشدها
لبئس يحيك الكلام في همم أقربها منك أبعدها عنك

الورقة الأولى للنسخة (أ) « مرافق الموافق ».

تركته أيها المؤمن نبيك الذي يزري عليه ولم يدركه رزقا بعبده
شيدي هذا عبدك قد تملك ،،
يا مغرورين بحبة القمح ناسين حبة السرك تذكروا فوت
المقصود مع حصول الذبح فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور الحذر الحذر من صياد ينصب الفخا بز الي
مهابطه بمخوخ كملقنه الحيل فتدبروا انكم لا ترون خيط
فخه اما تشاهدون ذبابا نجم بيده في خيط لا اصح ابويكم
من الجنة الا يصبر طائر الهوى عن حبة بجهولة العاقبة
وإنما هي ساعة ثم يصل الى برج امنه وفيه حباب ،،
وان حنت للحمى وطيبه فبالغضا نار وروضات اخر ،،
شهوات الدنيا كتين يوسف طعامها غالي الحلمة القيمة
توثر في الايمان والنظرة المحرمة تقدح في الايمان وجرعة
الخمر توجب شرب الغسلين فاذا انقشع غيم التكليف
وجاز زمان حر القيامة اطلق المحبوس فصابر شين
الجدب تنتزع عن قريب ثم يأتي من بعد ذلك

الورقة الأخيرة للنسخة (أ) « مرافق الموافق » .

الانبيا فبقي خلق مشتعلهم لا اريد فقيل له فما الذي تريد برضيك

ايها الحبيب وما الذي تشتغل به نفسك فقال بلسان

حاله عند تحقق اماله يا ذا الكرم والجود انت اعلم

بالمطلوب والمقصود فقيل له ايها السيد المشفع الشافع

ان كنت تريد خلعة لم تصل اليها واصل ولم يطمع فيها

طامع ولا طرق ذكرها سمع سامع فدونك فادخل

خزاين كرمنا وتحكم في ملابس فضلنا ونعمنا فكانت خلعته

ما زاغ البصر وما طغى طرازها لقد راى من ايات ربه

الكبرى توج بتاج ما كذب الفواد ما راى ثم قيل

يا محمد اتدري اين انت وفي اي مقام فقال انت

اعلم وانت العلام قال ما راى مثلك هذا احد من

الانام نقلناك من منزل ومن عالم الى عالم ومن معراج

الى معراج حتى لم يبق في ملكوت السموات والارض

عجيبة الا اطلعناك عليها ولا منه غريبة الا اوصلناك

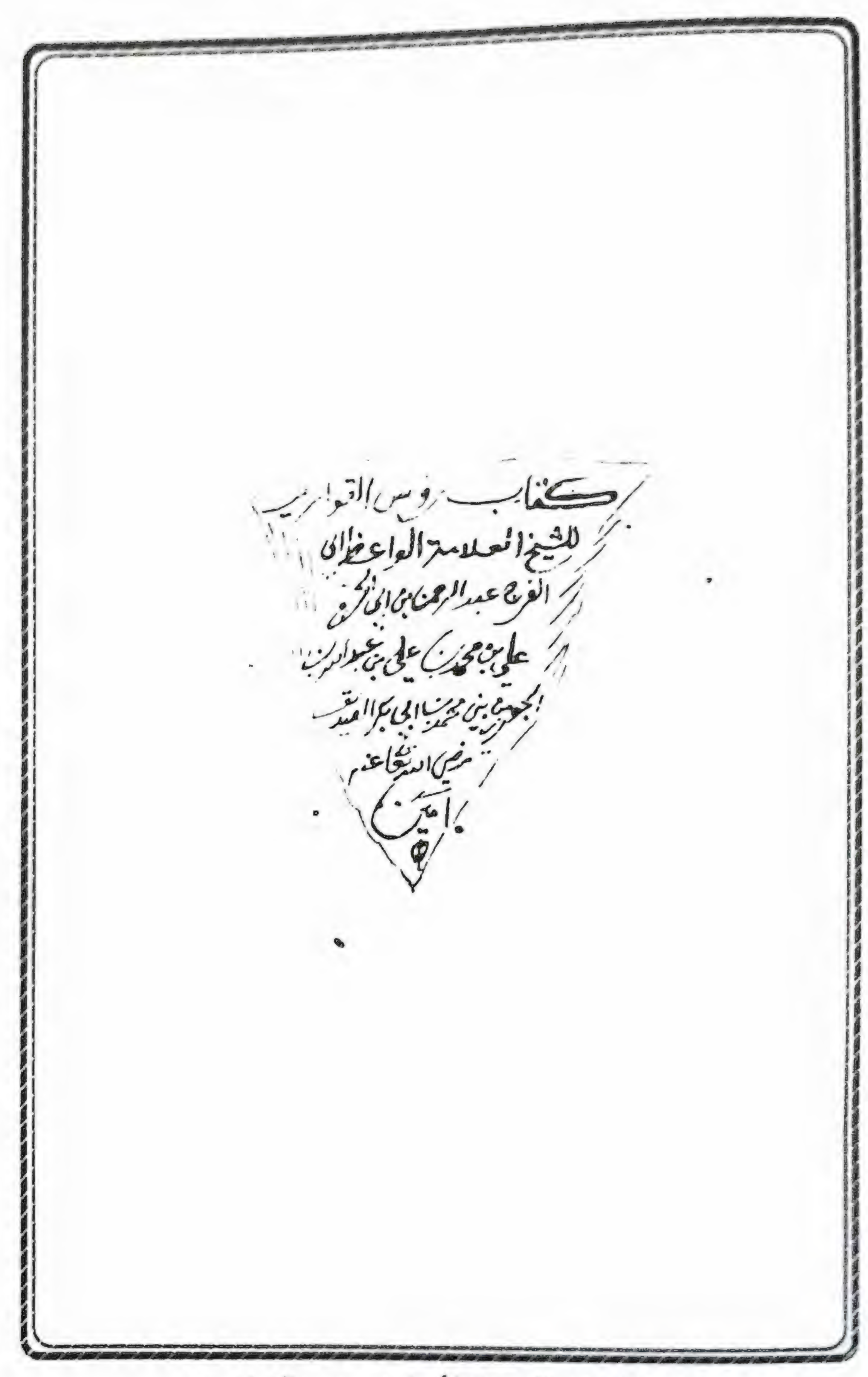
اليها فلما حضر في الحضرة الازلية وشرب

الورقة الأولى المقحمة للنسخة (أ) « مرافق الموافق » .

وقوله بلغني أو قال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يبعث لهذه الامة على راس كل
مائة سنة رجلا يقيم لها امر دينها فكان عمر بن عبد
العزيز على راس المائة وارجوا ان يكون الشافعي
على راس المائة الاخرى ... سويد
بن سعيد رحمه الله قال كنا عند الشافعي رضي الله عنه
جالسا بعد صلاة الصبح في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
اذ دخل عليه رجل فقال له اني خايف من ذنوبي ان
اقدم على ربي وليس لي عمل غير التوحيد فقال
له الامام الشافعي رضي الله عنه يا مسكين لو اراد الله
عز وجل ان يونبك من المآثم ولله لما احالك
في معرفة الذنوب عليه حتى تقول وفرقه من الذنوب
الا الله ۝ ولو اراد عقوبتك في جهنم وتخليدك
لما الهمك معرفتك به وتوحيده فبكى الرجل واقبل
على العبادة وفرح بكلامه رضي الله عنه وروى

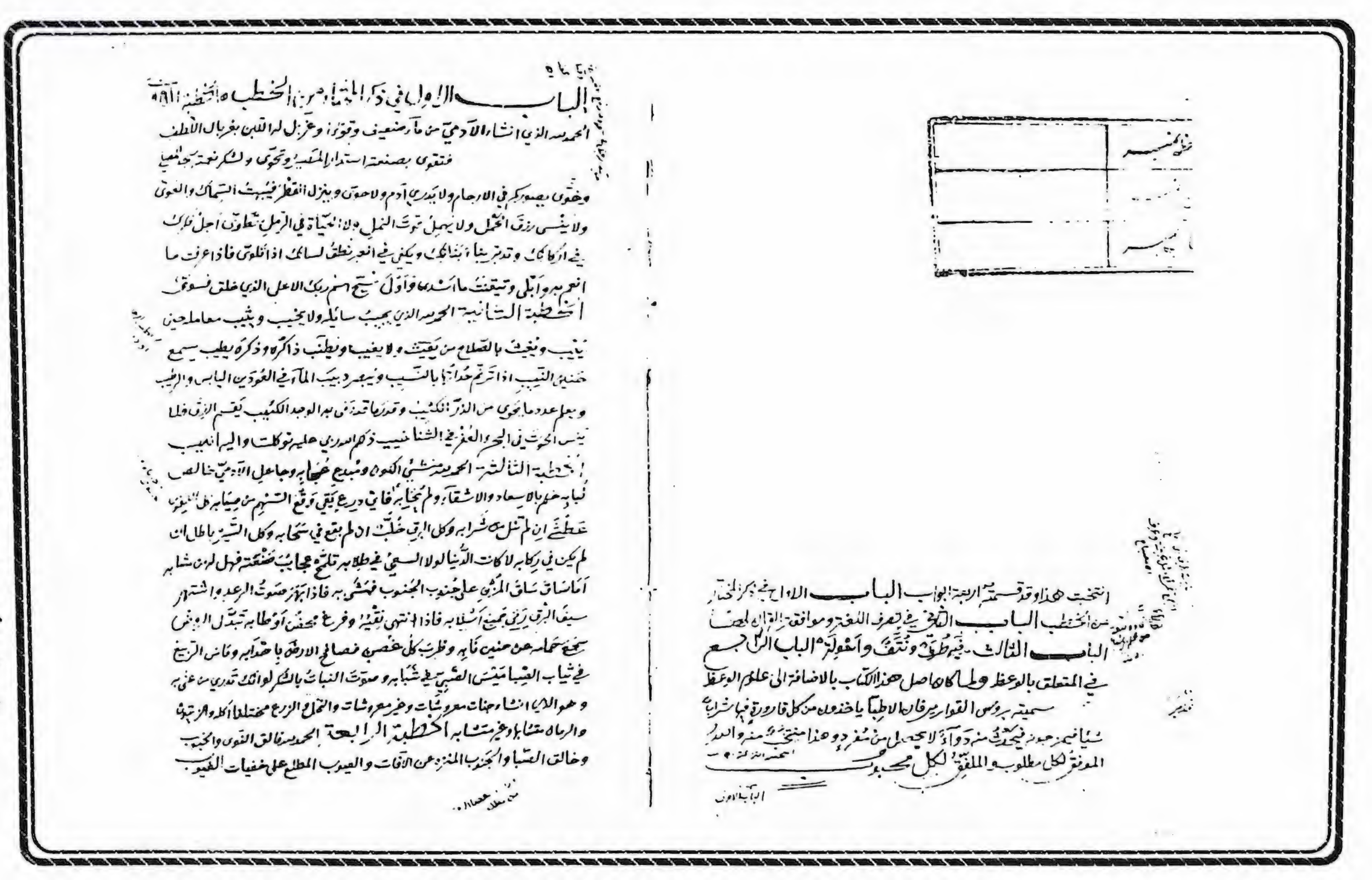
بحمد الله

الورقة الأخيرة المقحمة للنسخة (أ) « مرافق الموافق » .



كتاب روس القوارير
للشيخ العلامة الواعظ ابي
الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن
علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن
الجوزي من بني محمد بن ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه
آمين

صفحة الغلاف للنسخة الأصل « رءوس القوارير » .



انتخبت هذا وقد قسمته اربعة ابواب الباب الاول في ذكر المختار
من الخطب الباب الثاني في تعرف اللغة وموافقة القرآن المجيد
الباب الثالث فيه طرق ونتف واشعار الباب الرابع
في المتعلق بالوعظ ولما كان اصل هذا الكتاب بالاضافة الى علوم الوعظ
سميته برءوس القوارير فان الاطبا ياخذون من كل قارورة فيها شراب
شيئا فيمزجونه فيحدث منه دواء لا يحصل من مفرده وهذا منتخب منه والله
الموفق لكل مطلوب والملفق لكل محبوب

الباب الاول

الباب الاول في ذكر المنتخب من الخطب الخطبة الاولى
الحمد لله الذي انشا الآدمي من ماء ضعيف وقواه وعزل له اللبن بغربال الألطف
فتقوى بصنعته استدرار المشيه وتحوى ولشكر نعمته يجد المعين
ويقوي ويصوركم في الارحام ولا يدري آدم ولا حوى وينزل القطر فيبعث السماك والغوى
ولا ينسى رزق النحل ولا يهمل قوت النمل ولا تعيا في الرمل تطوى اجل تلك
في اوكارها وتدبر بنيانها ويكفي في انعم نطق لسانك اذا تلوى فاذا عرفت ما
انعم به وابلى وتيقنت ما اسداه فاول سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
الخطبة الثانية الحمد لله الذي يجيب سائله ولا يخيب ويثيب معامله حين
ينيب ويغيث بالصلاح من يغيث ولا يغيب ونطلب ذاكره وذكره يطيب يسمع
حنين النيب اذا ترنم حداها بالنسيب ويبصر دبيب الماء في العودين اليابس والرطيب
ويعلم عدد ما يحوي من الذر كثيب وقدرها تحت ثرى بعد الوجد الكئيب يقسم الرزق فلا
ييئس الحوت في البحر والعفر في الشناخيب ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب
الخطبة الثالثة الحمد لله منشي الكون ومبدع عجائبه وجاعل الآدمي خالص
لبابه حكم بالاسعاد والاشقاء ولم يحابه فاي درع يقي وقع السهم من صائبه هل ترويا
عطشى ان لم تنل من شرابه وكل البرق خلب ان لم يقع في سحابه وكل الشيء باطل ان
لم يكن في ركابه لا كانت الدنيا لولا السعي في طلابه تلمح عجائب صنعته فهل لمن شابه
اما ساق المزن على جنوب الجنوب فمشى به فاذا ابهر صوت الرعد واشتهر
سيف البرق زين جميع اسلابه فاذا انتهى تقييده وفرغ يحفر اوطابه تبدل الوبس
سجع حمامه عن حنين فابه وطرب كل غصن فصالح الارض باهدابه وماس الربيع
في ثياب الصبا متيس القشيب في شبابه وصوت النبات بالشكر لو انك تدري ما عني به
وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه الخطبة الرابعة الحمد لله فالق النوى والحب
وخالق الصبا والجنوب المنزه عن الآفات والعيوب المطلع على خفيات الغيوب

الورقة الأولى للنسخة الأصل « رءوس القوارير » .

يعصي ليلا ونهارا وينسى سر نيلا وها اما ترى سفينة الموت والامراض تكفا وهبا اما علمت ان
القبر عن قليل مثواها ومن لها اذا طلبت فتعذر ملجاها ولازمها من قبائحها فقطعها واسوا لها
وبقي فيها مرتهنها وذهب امراؤها واشرقت ميتتها صحف للمتقين وظهر تلالؤها فخرجوا ابا فقد
سموت وسرهم ما باتوا يخبأوها فصل كم انزل الموت راكبا عن سرجه كم نقض بنيانا عن
احكام شرجه كم ذبح طايرا في داخل برجه كم من ذي حصن حصين لم ينجه كم حبس مطلقا في ضيق
فجه كم مكر حكيم وبدد رقعة شطرنجه اخواني اين ذهب الاخوان اين من كان معنا في مثل
هذا المكان اما نزعت قمصهم والبسوا الاكفان اما نزلوا اللحود وفارقوا الاوطان اما خلى
القوم في خبر كان اغبنتم ام ربحتم بلا ذو النسيان الى متى هذا الجور والشطط الى كم
هذا التهافت والغلط لقد كتب الموت سطور التخويف ونقط فما قرأت الحروف ولا فهمت
النقط يا مقيما في اهله وكان قد شحط يا متعرضا بالمعاصي للمقت والسخط اما تجوز على
القبور وغدا انت في الوسط ابقي تحريك بعد ان ادرك الشمط البدار البدار فايام الاقتدار لقط
فعجل ان ازف الرحيل وما حصل الزاد وقرب الرحيل التحويل وكلما جاد الزلل زاد كانك
بالموت قد صرح وطالما جمح واقبل اليك فجد في السعي ولج وحبس نفسك عن هذا الهوى
التحسيه وغاص بك في بحر التقوى فاعمق ولجج وكف يديك في كفن لعله اليوم ينسج وحملك على
النعش بعد الفرس المسرج ونقلك الى خشونة اللحد بعد لين فرش الهودج ومحى محاسن
ذلك الوجه المنير الابلج واسال الطرف الطريف الباهي الادعج وسقاك كاسات الندم صرفا لم
تمزج يا مطمئنا الى الدنيا وهو مع اللحظات يزعج غدا تحضر الحساب ونقدك كله بهرج يا احمقا
ما اعجب نومك لسفرك ما اغفلك بالطريق ما اجهلك يا العاقل حضر منزل البلى آخر الكتاب

بلغ تصحيحا بالاصل والحمد لله اولا وآخرا وصلواته وسلامه وبركاته على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين. قال كاتب الاصل وفرغ من نسخه يوم الاحد ثاني والعشرين من شعبان سنة خمس واربعين وستمائة [illegible]

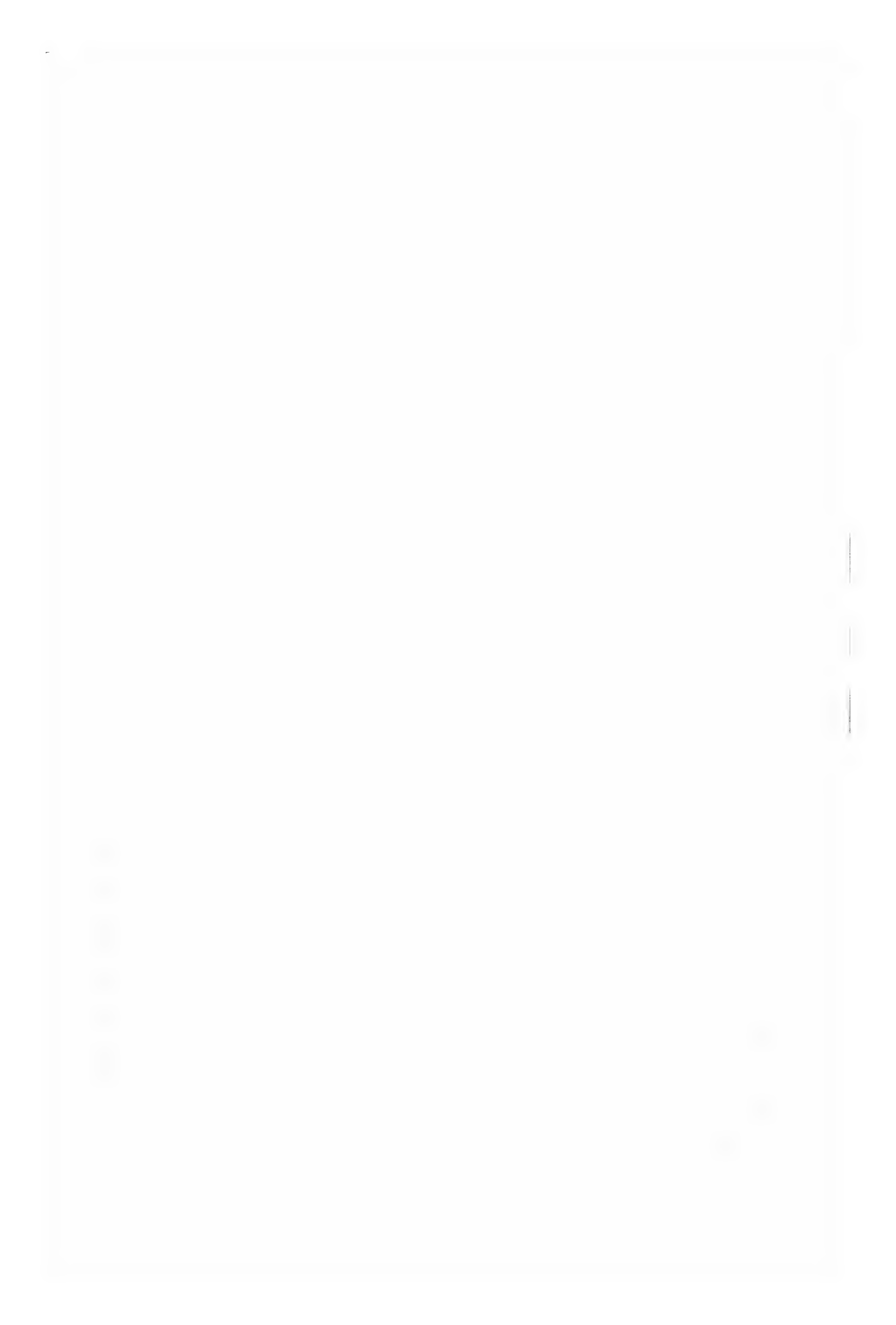
والله الموفق

بلغ تصحيحا بالاصل

وكتبنا [illegible] بلغ قراءة على الشيخ الامام العالم عبد الصمد [illegible]

من نسخه ليلة الجمعة ٥ من صفر [illegible] عبد الرحمن [illegible]

الورقة الأخيرة للنسخة الأصل « رءوس القوارير » .





تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق

علاء إبراهيم الأزهري



« بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم »[١]

الحمـد لله على التوفـيق ، والشكر لله على التحـقيق ، والصـلاة على رسوله محـمد أشـرف مِنطِيق ، وعلى كل صاحـب له ورفيق ، صـلاة قدوم[٢] إلى يوم الجمع والتفريق .

وبعد[٣] : فهذا[٤] كتاب أمليـته في المواعظ ، يتدافق[٥] فيه الكلام وما يُسْتَشهد عليه ، ويشير هذا إلى ما يشير هذا إليه ، « والله الملهم للصواب »[٦] .

الفصل الأول

عبـادَ الله ، تلمَّحـوا العواقب تَلمُّح مـراقب ، وثابروا[٧] على المناقب ؛ فـإن العاقل لتحصيل المنى متأهب[٨] ، مصايد الشـهوات مبثـوثة في طريق الشقى[٩] ، «فما يسلم المبادر وشره »[١٠] ، وإنما ينجو من فِخَاخها الذين يؤمنون بالغيب .

الدنيا مثل منام ، والعيش فيها كأحلام ، وعن قليل يتضح[١١] البرهان ، وكأنَّ ما كان [ما كان][١٢] .

---

(١) فى النسخـة (أ) : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى اللهُ على سـيدنا محمـد وآله قال الشيخ الإمـام العالم الزاهدُ جمـالُ الدين أبو الفرج عبـد الرحمن بن عليّ بن محـمد بن الجوزى رحمه الله » .

(٢) فى النسخة (أ) : « تدوم » .

(٣) سقطت من النسخة (أ) .

(٤) فى النسخة (أ) : « هذا » .

(٥) فى النسخة (أ) : « يتوافق » .

(٦) فـى النسـخة (أ) : « ومن الـله يرجى الهُدى إلى الـصـواب ، فـمـا أمَّلَهَ مُؤمِّل قَطٌّ فخـاب » .

(٧) عن النسخة (أ) ، وفى الأصل : « وتابوا » .

(٨) فى النسخة (أ) : « منَاهِب » .

(٩) فى النسخة (أ) : « المتقى » .

(١٠) فى النسخة (أ) : « فلا يسلم من شرورها ذو شَرَه » .

(١١) فى (أ) : « يصحُ » .

(١٢) زيادة من (أ) .

قيل لنوح - عليه السلام - : يا أطول النبيين[١] عمرًا ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كدار ذات بابين ، دخلت من باب ، وخرجت من باب .

١/أ

وكنا كندماني جَذيمةَ حقبـــةً ... مــن الدَّهر حَتى قِيلَ لَن يتَصدَّعا/

وعـشنا بخَيــر في الحَيـاة وقَبلَنَا ... أصَـاب المنايا رَهطَ كسْرى وتُبَّعا

فلما تفرَّقنا كأنِّي ومالكـــاً ... لطُولِ اجـتمـاعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

يا راقدًا في نوم الغفلة ، يا مشغولاً بأحلام الأمل ، أما تُوقظك[٢] المزعجات ، أما تُنَبِّهُك المحَرِّكات ؛ الجنة فوقك تُزَخرف ، والنارُ تحتك تُوقد ، والقبر عن قليل يُحفر، وربما كان كفُنك اليوم يُغزل، وأنت عن المعاصي لا تغفل، والمَلَك يحفظ.

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ؟!

أيا من بلغ عمره[٣] الستين ، ومـا غَيَّره مَمَر السنين ، ترى مـا يطرأ من العِبَر وينوب ، « وأنت لا تتـوب »[٤] ، قد دَرِن جـسم قلبك بالذنـوب ، فمـا يغسله ألف ذَنوب[٥] ، (يا مـن فـي أذنه عن المواعـظ وقـرٌ)[٦] ، وقلبه أعـمـى بين القلوب .

يـا عـاذل[٧] العاشقين دع فئةً ... أضلها الله كيف ترشدها

ليس يحيك الملام[٨] في هِمَمٍ ... أقربها منك عنك أبعـدها

يا حاضرًا يرى التائبين وهو في عِداد الغائبين ، [أنا لا أعذل قلبي ، أنا من قلبي مُلقى ، كل يوم في عناء فـهو يشقـيني ويشقى، قـائلٌ : يا رب هذا موقف الأحباب حقًّا][٩] .

---

(١) في (أ) : « الناس » .

(٢) في (أ) : « توقضك » بالضاد بدلاً من الظاء المشالة .

(٣) في (أ) : « سنه » .

(٤) في (أ) : « ولا يرجع ولا يتوب » .

(٥) الذَّنوب : الدَّلو العظيمة ، ولا تسمى ذنوبًا حـتى تكون مملوءة ماءً ، المصباح المنير « ذ ن ب » .

(٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٧) يا عاذل : يا لائم .

(٨) في (أ) : « الكلام » .

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) .

واقفٌ في الماء عطشان ولكن ليس يُسقى

قـد قَيَّد الطَّرْدُ قَدَمَـيك ، وغَلّ الإبعـاد يديك ، أفمـا لـك عـين تـبكـي عليـك ؟! وفـي نظر الصَّادِى[1] إلى الماء حسرة إذا كـان ممنوعًا سـبيل الموارد ، ويحـك إذا رأيت مدعوًّا[2] قـد نهض فاتّبـع أثره ؛ فإن الكريم / يـستحى من رد الطُّفَيلى[3] . ١/ب

قُم فانتشِطها حَسْبُها أن تُعقَـلا[4]	ودَع لَهـــا أيديهـــا والأرجُلا
فَإنَّ ما ينقص مِـــن أوبَارهـا	أثمَانُ مـا يَنقُص مِـن طُرْق العُلا
لا يَطرحُ الذُّل وراء ظَهــرِه	إلا فتىً يُنضِـى[5] المطَايـا الذُّلَّلا
كم الظِّما[6] تُوعَد بالماء وكــم	ترعى الطّوى[7] وكم تُمَنَّى بالكلا[8]

تشَبَّث بالتـائبين لعلهم أن يشفـعوا لك ، قَدِّر أنَّ حِمْلـك قـد وقع فاستـغث بالمارَّة يعاونوك ، جـالس البكائين تتعلم البكاء منهم ، هم السُّعـداء لا يشقى بهم جليسهم .

---

(١) الصَّادى : العطشان . المصباح المنير « ص د ى » .

(٢) كذا فى الأصل و (أ) ، وفى حاشية الأصل : « مَذعُورًا » وفوقها « خ » إشارة إلى أنها فى نسخة .

(٣) الطُّفَيلى : الذى يدخل الوليمة من غير أن يدعى إليها .
قال ابن السكِّيت والأزهرى : هو نسبة إلى طُفَيـل من ولد عبـد الله بن غَطَفَان من أهل الكوفة ، وكـان يدخل وليمة العرس من غـير أن يدعى إليها ، فنُسب إليـه كل من يفعل ذلك . المصباح المنير « ط ف ل » .

(٤) عقل البعير : ضم رُسغ يده إلى عضده وربطهما معًا بالعقال ليبقى باركًا . المعجم الوجيز (ص ٤٢٨) .

(٥) أنضى الدابة : هزلها وأتعبها . المعجم الوجيز (ص ٦٢١) .

(٦) الظِّماء : جمع ظمآن وظمأى ، مثل عطشان وعطشى وزنًا ومعنىً . المصباح المنير « ظ م ى » بتصرف .
وما ذكره المصنف - رحمه الله - هنا هو مقصور من هذا الممدود .

(٧) الطَّوى : الجوع . المعجم الوجيز (ص ٣٩٨) .

(٨) هذا البيت سقط من (أ) .

خليلَيَّ إن لَم تَعرفا زَفرةَ[١] الهَوى ولَم تُسعِدانى[٢] فانظُرا كَيف أصنعُ

أما ترى الصبيان مع الفهم رِضَاع الهوَى [كيف][٣] قد عقدوا نِيَّة الصوم ؟! أما تشاهدُ جبال قواهم قد دكَّها الخوف ؟! ذَلُّوا لسيدهم فعزوا ، ووصلوا إلى مِنَى المُنَى فبَزُّوا[٤] ، وبرز لهم يوسف الجمال فحزُّوا[٥] ، وكلما سقتهم[٦] سُحبُ التوفيق ربَوا واهتزوا .

تَزاحَموا عَلَى العُلا واقترعوا على الندى فانتَهبُوها[٧] أسهُمَا

وارتَكضُوا يخبِّبون[٨] الأُسْدَ فى الغَابات أو ينتَحِلون[٩] الدِّيَمَا[١٠]

كُل غُلام ذاهبٌ بنفسه حيَث مَضَى المجدُ به ويَمَّمَا[١١]

إذا أبى طارت به حَمِيَّةٌ[١٢] عُلْوِيَّة أقربُ بُرْجَيها السَّمَا

يا صبيان التوبة ، الطفوا بالنفوس فى العيش ، لا تحملوا على العِيس[١٣] ما يثقلها[١٤] ؛ فإنها مطاياكم ، ﴿ وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم / تكونوا بالغيه إلا بشق ٢/أ

---

(١) الزَّفرة - ويضم - : التنفس . القاموس « ز ف ر » .

(٢) أى : ولم تعينانى . القاموس « س ع د » .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) أى : غلبوا . المعجم الوجيز (ص ٤٩) ، وفى (أ) : « فجزُوا » .

(٥) يشير المصنف - رحمه الله - إلى فعل النسوة اللاتى دعتهنَّ امرأة العزيز ، فقطعن أيديهن، كما ورد ذلك فى القرآن الكريم (سورة يوسف : ٣٠ - ٣١) .

(٦) فى (أ) : « هزَّتهم » .

(٧) عن (أ) ، وفى مصوَّرة الأصل غير واضحة .

(٨) عن (أ) ، وفى الأصل : « يحبّنون » .

ومعنى يخببون : يعادون . المعجم الوجيز (ص ١٨٣) .

(٩) عن (أ) ، وفى الأصل : « يُبخّلون » .

(١٠) أى : مستمرًا .

(١١) أى : قصد . المعجم الوجيز (ص ٦٨٧) .

(١٢) أى : أنفة . المصباح المنير : « ح م ى » .

(١٣) العِيس : إبل بيض فى بياضها ظلمة خفية . المصباح المنير « ع ي س » .

(١٤) فى (أ) : « يعجزها » .

الأنفس ﴾ [سورة النحل : ٧] . ارفقوا بأبدان قد ألفت الترف ، ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾ [سورة الطلاق : ٦] ؛ فقد سمعتم من لطف الحبيب : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** ﴾[1] [سورة المائدة : ٦] .

هَبَّ لها من النسيم رائدُ[2]
فعادَها من الغَرائم[3] **عائدُ**
نُوقٌ حَمى[4] **عنها الحِمى**[5] **طيب الكَرى**[6]
فهى كما شاء السُّرى[7] **سواهدُ**[8]
(أنحَلها تحت الدُّءوب[9] **أينُها**[10]
فمارت[11] **الأنسَاع**[12] **والقلائد**[13]**)**[14]
فلا تُخَالِفها إذا ما التفتت
شَوقًا إلى نار الحِمَى يا قائدُ[15]

---

(١) كتبت هذه الآية خطأ فى (أ) هكذا: «ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج».

(٢) الرائد : من يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث . ويقال : الرائد لا يكذب أهله. المعجم الوجيز (ص ٢٨١) .

(٣) فى (أ) : « الغرام » .

(٤) أى : منع . المعجم الوجيز (ص ١٧٣) .

(٥) الحمى : الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى . المعجم الوجيز (ص ١٧٤) .

(٦) الكَرَى : النعاس . القاموس « ك ر ى » . و المعجم الوجيز (ص ٥٣٣) .

(٧) السُّرى : سير عامة الليل . القاموس « س ر ى » .

(٨) السُّهد : الأرق . القاموس « س هـ د » .

(٩) الدُّءوب : الجد فى العمل وغيره . المعجم الوجيز (ص ٢١٩) .

(١٠) أينها : إعياؤها . القاموس « أ ى ن » .

(١١) أى : ترددت . المصباح المنير « م و ر » .

(١٢) جمع نِسع : وهو سير ينسج عريضًا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال . القاموس «ن س ع » .

(١٣) جمع قلادة : وهى ما جُعل فى العنق . القاموس « ق ل د » .

(١٤) هذا البيت سقط من (أ) .

(١٥) فى (أ) : « يا رايد » .

وقل لها لعًا(١) إذا ما عَثرتْ
فهي لحِملٍ وجدنا تكابدُ
مُذ حكم البين عليها لم يَزل
يبكي عليها « البدرُ والفراقدُ »(٢)

إخواني : للنفس حظ وعليها حق ، ﴿ فلا تميلوا كل الميل [فتذروها كالمعلقة](٣) ﴾ [سورة النساء : ١٢٩] ، أعطوها ما لها واستوفوا منها ما عليها ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، فإن رأيتم من النفوس فتورًا فاضربوهنَّ بسوط الهجر ، ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ [سورة النساء : ٣٤] . إذا صابرت النفس ظمأ هجير ثم لاح لكم مشرع مباح فلتدَعُوها .

دَعُوها ترد بعد خِمس(٤) شرُوعَا	وأرخوا أزمَّتها والنُّسُوعَا(٥)
وقولوا دعاءً لهـا لَا عُقِرت(٦)	ولا امتدَّ دَهْرُكَ إلا ربيعا
حملت نشاوى(٧) بكأس الغرام	فكلٌّ غداً لأخيه رضيعا
أُحيُوا فرادى ولكنَّهم	على صيحة البَين(٨) ماتوا جميعا
حَمَوا(٩) راحة النوم أجفانهم	ولفُّوا على الزَّفرات(١٠) الضُّلوعا

(١) يقولون للعاثر : لعًا لك . دعاء أن ينتعش . معجم مقاييس اللغة (٥ / ٢٥٣) .
(٢) في (أ) : « البيد والفدافد » .
والفراقد : جمع فرقد ، وهو النجم يعتدى به . القاموس « ف ر ق د » .
(٣) قوله تعالى: ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ ليس في الأصل ، وإنما هو في (أ) .
(٤) الخمس: من أظماء الإبل: وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع. القاموس « خ م س ».
(٥) النِّسع: سير ينسج عريضًا على هيئة أعِنَّة النعال تشد به الرحال . القاموس « ن س ع ».
(٦) عقَر البعير : قطع إحدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه . المعجم الوجيز (ص ٤٢٧) .
(٧) أي : سكارى . القاموس « ن ش ى » .
(٨) البَين : يكون فرقة ووصلاً . القاموس « ب ى ن » .
ولعل المعنى الثاني هو اللائق هنا . والله أعلم .
(٩) أي : منعوا .
(١٠) جمع زِفرة - بالكسر ويضم - : التنفس . القاموس « ز ف ر » .
ولعل معنى هذا الشطر : أنهم من كثرة عبادتهم وصيامهم وزهدهم كأنهم لفُّوا على رئتهم الضلوع كناية عن نحافة أجسامهم والله أعلم .

وباتوا بأيديهم يُسندون[1] فويق[2] الرِّحَال جُنُوبًا وقوعا/ ٢/ب

علىَّ أن أوصى صبيان التوبة بالرفق ، وبعيدٌ أن يُقَرَّ خائف أو يَسْمعَ العذلَ[3] محب . كان بعض العباد كثير البكاء فقيل له : كم تبقى العين على هذا البكاء ؟ فقال : ما شاء الله فلتبق ، وإذا شاء فلتذهب ؛ فإنما أبكى على نفسى .

ودخلوا على زُجْلَة العابدة[4] فكلموها فى الرفق بنفسها ، فقالت : ما لى وللرفق بها ، فوالله لأصلينَّ [لله][5] ما أقلّتنى جوارحى ، ولأصومنَّ له أيام حياتى [ولأبكينَّ له ما حملت الماء عيناى][6] .

لا أقبل نصحكم فخلوا عَذلى ما أُعَذَّب فى الغرام طعمَ القَتْل
إن طُلَّ دَمى فكم مُحِبٌّ مثلى قد ضُرِّجَ[7] باللِّحَاظ لا بالنَّبْل
يا من بالصدِّ[8] دمع عينى أجرى حتى قد خدَّ[9] فى خدودى مجرى
كم « ذا حزنًا »[10] وكم أُقاسى هجرا من بعدك ما أرَى لليلى فجرا
قد لجَّ بى الغرام حتى قالوا قد جُنَّ بهم وهكذا البَلْبالُ[11]
الموت إذا رضيته سَلسَالُ[12] فى مثل هواك تَرخَصُ الآجالُ

---

(١) أى : يستندون ويعتمدون . المعجم الوجيز (ص ٣٢٣) .

(٢) فى (أ) : « فوق » .

(٣) العذل : اللَّوم . المعجم الوجيز (ص ٤١١) .

(٤) انظر : صفة الصفوة (٤ / ٣٤) .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) زيادة من (أ) .

(٧) أى : دخل القبر ومات .

(٨) فى (أ) : « بصدوده » .

(٩) فى (أ) : « خَدَّدَ »

(١٠) فى (أ) : « التَقِى حربًا » .

(١١) البلبال : شدة الهم والوساوس . القاموس « ب ل ل » .

(١٢) السلسال : الماء العذب الصافى السلس السهل ، إذا شرب تسلسل فى الحلق . المعجم الوجيز (ص ٣١٧) .

الفصل الثانى

إخوانى : مثِّلوا أهل الجنـة قد ركبوا من قبـورهم إلى قصورهم ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحـمن وفداً** ﴾ [سورة مـريم : ٨٥] . أرض القيـامة مظلـمة ، و ﴿**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ [سورة التحريم : ٨] . الناس فى كرب الحساب ﴿ **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [سورة البقرة : ٦٢] .

يقـول المحبوسـون للسؤال : مـن هؤلاء ؟! فيـقال : ﴿ **الذين يخـشون ربهم بالغيب** ﴾ [سورة الأنبيـاء : ٤٩] فيقال : ما حالهم ؟ فـيقال : ﴿ **طوبى لهم وحسن مئاب** ﴾ [سورة الرعد : ٢٩] وصلوا إلى الجنان ﴿ **وفتحت / أبوابها** ﴾ [سورة الزمـر : ٧٣] بدأهم الخزنة بالتـسليم تمامًا ؛ لرفع الكُلَف ﴿ **سلام عليكم طبتم** ﴾ [سورة الزمر: ٧٣]. وبشروهم بالبقاء الدائم ﴿ **فادخلوها خالدين** ﴾ [سورة الزمر : ٧٣] . فـتملَّكوا جنةً ﴿ **أكلها دائـم وظلها** ﴾ [سورة الـرعد : ٣٥] . وقرأت الأملاكُ من سجل الإملاك : مبلغ الثمن ﴿ **بما صبرتـم** ﴾ [سورة الرعد : ٢٤] والخلائق فى سـدر الخوف ، وهم ﴿ **فى سدر مخـضود وطلح منضود وظل ممدود** ﴾[1] [سورة الواقـعة : ٢٨ - ٣٠] . كانوا فى الـدنيا ساغـبين لاغبين[2] فصاروا ﴿ **متكئين فيها على الأرائك** ﴾ [سورة الكهف: ٣١] كانوا يطوفون حول بيتِ[3] الخِدَم فحينئذٍ ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون** ﴾ [سورة الإنسان: ١٩] . ولهم جزاء الغض عن الغضٍ[4] ﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾ [سورة الرحمن : ٧٢] . وجميع المرادات داخلة فى أقطاع ﴿ **ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم** ﴾ [سورة فصلت: ٣١] . وقد استُرجحَ فى ميزان الإنعام ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ [سورة ق: ٣٥] ، وأتم التمام ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ [سورة الحجر : ٤٨] .

٣/أ

---

(١) ﴿ فى سدر ﴾ : شـجر النبق . ﴿ مـخضود ﴾ : لا شـوك فيه . ﴿ وطلح ﴾ : شـجر الموز . ﴿منضـود ﴾ بالحمل من أسـفله إلى أعلاه . ﴿ وظل ممدود ﴾ : دائم . تفـسيـر الجلالين (ص ٤٥٣) .

(٢) أى : جائعين متعبين .

(٣) فى (أ) : « بيوت » .

(٤) فى (أ) : « الحرام » .

وهذا[١] السُّرور بتلك الكُرَب ، وهذا المقامُ بِذَاك السَّغَب[٢] .

ما وصلوا إلى المنزل إلا بعد طول السُّرى[٣] ، ما نالوا لذة الراحة إلا بعد أن صبروا على المشقة .

لو قُرِّب الدرُّ[٤] على جُلاَّبه ... ما لجَّج[٥] الغائص فى طِلابه[٦]

ولو أقام لازمًا أصدَافه[٧] ... « لم تكن »[٨] التيجان فى حسَابه

ما لؤلؤ البحر ولا مَرجانه ... إلا وراء الهَول من عُبَابه[٩]

من يَعشقِ العَلياء يَلق عندها ... ما لقى المحِبُّ مِن أحبابه/ ٣/ب

لابد من حمل البلاء فى طريق الوصال ، إذا التقى الزحفان أقدم الشجاع[١٠] وَوَلى المخَنَّث ، شُجَّ جبين الرسول - عليه السلام - وكسرت رباعيته[١١] . ليصيب[١٢] نصيبًا من نيل ﴿ ولنبلونكم ﴾ [سورة محمد : ٣١] . يا درع العِصمة انكَشف لتقع فى الشُّجَاع نبلةٌ .

ليس الكَريمُ على القَنِىِّ[١٣] بمُحَرَّمِ

أسلم الزبير فعذبه عمه ، وبلال فقيده قومه ، وصهيب فاشترى نفسه بجميع

---

(١) فى (أ) : « فهذا » .

(٢) فى (أ) : « التَّعب » ، والسَّغب : الجوع مع التعب ، وربما سمى العطش سغبًا . المصباح المنير « س غ ب » .

(٣) السرى : السير عامة الليل . القاموس « س ر ى » .

(٤) الدرُّ جمع الدُّرة : اللؤلؤة العظيمة . القاموس « د ر ر » .

(٥) أى : ما خاض اللُّجة . القاموس « ل ج ج » .

وفى المفردات (ص ٤٤٩) : لُجة البحر : تردد أمواجه . أهـ .

(٦) فى (أ) : « تطلابه » .

(٧) الأصداف جمعَ صدف : موضع الوابلة من الكتف . القاموس « ص د ف » .

والوابلة : طرف الكتف . القاموس « و ب ل » .

(٨) فى (أ) : « ما كانت » .

(٩) العُباب : معظم السَّيل وارتفاعه ، وكثرته أو موجه . القاموس « ع ب ب » .

(١٠) فى (أ) : « التركى » .

(١١) أخرجه مسلم ح (١٧٩١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك به .

وكان ذلك فى غزوة أحد .

(١٢) فى (أ) : « لينال » .

(١٣) قَنِىُّ الغنم : ما يتخذ منها لولد أو لبن . القاموس « ق ن و » .

ماله ، كانت أبدانهم فى العذاب وقلوبهم مع المعَذِّب

إنَّ فى الأسرِ لصبًّا[1] دمعُه فـى الخَدِّ صَبّ
هو بالرُّوم مُقِيـــمٌ وله بالشَّامِ قَلْـــبُ

المحبـة تغار عـلى المحب من محـاباةٍ ، وتأنف للقلب من مـشاركةٍ ، تـعرض الجرَّاح لأبى عـبيدة يوم أحـدٍ فقتله أبو عـبيدة ، واعـترض عبيد بن عُمير أخاه مصعب بن عمير يومئذ فقتله مصعب ، وتطارد العاص بن هشام خال عمر له يوم بدر فقـتله عمـر ، فأُثيبـوا على بغض الأقارب بحبِّ الحق ، فـصاحت فصـاحة الغَيرة: ﴿ لا تجد قـومًا يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوادُّون من حادَّ اللـه ورسوله ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .

فلَيتَك تَحلُو والحَيَـــــاة مَريرةٌ ولَيتَك تَرضَـــــى والأنام غضَابُ
ولَيت الذى بَينى وبيـــنك عَامرٌ وبينى وبَين العَالَميـــن خَرَابُ/ ٤/أ
[إذا صَحَّ منك الودُّ يا غاية المنى فكل الذى فوق التُّراب تـرابُ][2]

يا من عنده منزل « ويَسَعُنى »[3] طَهِّر بيتى ، سرادق المحـبة لا يُضرب إلا فى قاعٍ فارغٍ نزهٍ .

(بدَّلُوا الدَّار فلمّـــا نزلوا القـــلب أقامُوا
يا خليلىّ أسقِيـــانى ومِن الوَجــد سَقَامُ[4]
وصِفا لى تَلعَةَ[5] الركـ ـب وللَّيل مَقـــامُ

(١) الصَّبّ : العاشق . المعجم الوجيز (ص ٣٥٨) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) .

(٣) لعل المصنف - رحـمه الله - يشـير إلى مـا روى :قال الله : لم يسـعنى سمـائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع » . ذكره الغزالى فى الإحياء . وقـال العـراقى: لمْ أر له أصلاً . وكذا قال ابن تيمية : هو مـذكور فى الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ اهـ . من المقاصد الحسنة (ص ٣٧٣) .

(٤) أى : مرض . القاموس « س ق م » .

(٥) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهى من الأضداد ، القاموس « ت ل ع » .

ومِنيً أين منىً مِنّى — لقد شطّ المَرامُ
هل على جمع نزولٌ — وعلى الخيف خيَامُ
مَن يُدَاوى دَاء أحشَا — ئك والدَّاء عُقَامُ[1]
أيها الزَّارع سُقيَا — فبِذا الزَّرع أوَامُ[2])[3]

إذا خيم سُلطان المعرفة بِقاع القلب ، وبث جنوده فى بقاع البدن ، صارت السِّباخ رياضًا بالرياضة .

سَاكنٌ فى القلبِ يَعمُره — لَست أنساه فأذكره
[غاب عن سمعى وعن بصرى — وسويداء القلب تُبصِرُه][4]
هو مولائى « أدِل به »[5] — وكما أرجوه أحذَرُهُ

إذا سكن الحبيب فى ديار القلب لم تبقَ فيها نَزَالة[6] .

حبيب ليس يَعدِلُه حَبيب — ولا لِسواه فى قلبى نصيبُ
حبيب غاب عن بصرى وسَمعى — ولكن عن فؤادى ما يغيبُ

فإذا عرف القلب عظمة الساكن صار قبلته التى لا يقابل سواها « **فبى يسمع وبى يبصر** »[7] .

ولقد جَعلتك فى الفؤاد محدثى — وأبَحت جِسمِى من أراد جُلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانسٌ — وحبيب قلبى فى الفؤاد أنِيسى / ٤/ب

---

(١) عقام - بفتح العين وضمها ، والضم أفصح - : لا يبرأ . القاموس « ع ق م » .

(٢) الأُوام : العطش أو حر العطش . القاموس « أ و م » .

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) ، وهو من أول قول المصنف - رحمه الله - : بدلوا الدار فلما .. إلى هنا .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) .

(٥) فى (أ) : « أذلُ له » .

(٦) أى : محل . القاموس « ن ز ل » .

(٧) أخرجه البخارى (٨ / ١٣١) ح (٦٥٠٢ - فتح) عن أبى هريرة مرفوعًا : « كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به .. » .

طرق طارق باب أبى يزيد[1] ، فقـال : أبو يزيد هاهنا [2] ؟ فصاح أبو يزيد : أبو يزيد يطلب أبا يزيد فمـا يراه . استحضره الحق فـغاب عن الخلق ، زاد القرب فنسى النفس .

وكان فؤادى خاليًا قبل حبّكـــــم ... وكان بذكر الخلق يلــهو ويَمرَحُ

فلما دعا قلبى هواك أجـــــابَهُ ... فلَستُ أراه عن فِنائـك [3] يَبرَحُ

رُميتُ ببُعدٍ منك إن كنت كـــاذبًا ... وإن كنت فى الدنيـا بغيرك أفرحُ

وإن كان شيءٌ فى البلاد بأســـرها ... إذا غِبتَ عن عينى بعينى[4] يَملح

فإن شِئتَ واصلنى وإن شِئتَ لا تصل ... فلَست أرى قلبى لغيــرك يَصلُح

الفصل الثالث

إذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسـع لهم مجال الإمهال ، فلا تستعجل لهم ؛ ﴿إنما نملـى لهم﴾ [سـورة آل عـمـران : ١٧٨] لقـد فـرحـوا بما يُوجبُ الغم ﴿أيحسـبون أنمـا نمدهم به من مـال وبنين نسـارع لـهم فى الخيـرات﴾ [سورة المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦] . بينـا أرض أغـراضـهم قـد أخـذت زخـرفـهـا وازينت ﴿جعلناها حصيداً﴾ [سـورة يونس : ٢٤] . تركـهـم خـادع القـدر فى غُرور سرورهم : ﴿ حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] . باتَ نباتُ المرادات غضًّا ﴿ فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ﴾ [سورة الكهف: ٤٥].

أمسوا يتقلبون على فرش المعاصى ﴿ فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكنهم﴾[5] [سورة

---

(١) هو أبو يزيد البسطامى ، واسـمه طيفور بن عـيسى بن سروشـان ، كان جده مجوسيًّا فأسلم ، وكان لعيسى ثلاثة أولاد : أبو يزيد وهو أوسطهم ، وآدم وهو أكبرهم ، وعلى وهو أصغرهم ، وكـانوا كلهم عبـادًا زهادًا ، وكـان أبو يزيد أجلهم حالاً ، توفـى أبو يزيد سنة إحدى وسـتين ومائتين ، وله ثلاث وسـبعون سـنة . صـفة الصفوة (٤ / ٩٨) ، والرسالة للقشيرى (ص ٦٣) .

(٢) فى (أ) : « من هاهنا » .

(٣) فى (أ) : « ودَادك » .

(٤) فى (أ) : « لعينى » .

(٥) هذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو والكسائى . السبعة (ص ٥٩٨) . =

الأحقاف : ٢٥] تعززوا بالظلم ﴿ **فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر** ﴾ [سورة القمر : ٤٢] ، ساكنوا فى مساكنهم حديث الأمل ﴿ **فجعلناهم أحاديث** ﴾ [سورة سبأ : ١٩] . بُغتُوا فى لذتهم بأوفى الفـجائع ﴿ **وكذلك أخـذ ربك** ﴾ [سورة هود : ١٠٢] ./ لقـد بالغت النُّذُر فى زجـرهم : ﴿ **فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء** ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٦] . نُسِفُوا فلم يبق فى الذيار [منهم][1] ديَّار[2] ﴿ **هل تحس منهم من أحد** ﴾ [سورة مريم : ٩٨] . ٥/أ

سافروا على رحائـل الندم ونذيرهم يصيح بالغافلين : ﴿ **أفأمن أهـل القرى** ﴾ [سـورة الأعراف : ٩٧] . ضـاقت عليـهم فى منازل سفـرهم عِراصُ[3] الراحة ﴿**كم تركوا من جنات وعيون**﴾ [سورة الدخان : ٢٥] . فلو رأيتـهم قد حاروا من هول ما لاقوا ﴿ **وأَسَرُّوا الندامة لـما رأوا العذاب** ﴾ [سورة يونس : ٥٤] . فقدوا النجاة ﴿ **يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير محضراً** ﴾ [سورة آل عمران: ٣٠] طال قيامهم فى صحراء القِيامة ﴿ **يحملون أوزارهم على ظهورهم** ﴾ [سورة الأنعام : ٣١] . فيالهـا من حسرات لا تنفع ﴿ **إذ قضى الأمـر وهم فى غفلة** ﴾ [سورة مريم : ٣٩] .

أما ينتبـه لشرح حالهم من قـد رقد ﴿ **لقد كـان فى قصصهم عـبرة** ﴾ [سورة يوسف : ١١١] . ويح سالكى سبيلهم ﴿ **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم** ﴾ [سورة يونس : ١٠٢] أما يعتبرون بأمثالهم ﴿ **وقد خلت من قبلهم المثلات** ﴾ [سـورة الرعد : ٦] . كم يخـوفـهم (نذير ﴿ **وأنذرهـم**) [4] **يـوم الحسـرة إذ قضى الأمر وهـم فى غفلة** ﴾ [سـورة مريم : ٣٩] كـأنهم بهم يوم[5]

= وفى (أ) عقب هذه الآية : « ساكنوا فى مساكنهم حديث الأمل فجعلناهم أحاديث » وستأتى هذه الجملة بعد قليل فى الأصل .

(١) زيادة من (أ) .

(٢) أى : ساكن . المفردات (ص ١٧٤) .

(٣) عِراص جمع عَرَصة : كل بقعة بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء . القاموس « ع ر ص » .

(٤) ما بين القوسين فى (أ) : « نذيرهم » .

(٥) فى (أ) : « وقت » .

الرحيل ﴿ **لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٥] . غير ﴿ **إنهم يرونه** ﴾ بعين الأمل ﴿ **بعيداً ونراه قريبًا** ﴾ [سورة المعارج : ٦ ، ٧] . ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ [سورة هود : ١٠٤] .

يا أهل الذنوب ﴿ **سَارعوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣] . وقوع الذنب على القلب كـوقوع الدُّهن على الثوب ، إن لم يعجل غـسلُه انبسط ﴿**وإن منكم لمن ليبطئن**[1] ﴾ [سورة النسـاء : ٧٢] . يدٌ في قائم العَضبِ[2] فما الإبطاء بالضرب .

٥/ب يا معـاشر العصـاة / تُعرضـون عنَّا ونقبل عليكم ، وتبـارزونا [المعاصى][3] ونستـركم ، وتنفقـون نِعَمنا على مخـالفتنا ونُمـدُّكم ، وتبعـدون « عن بابنا »[4] ونستدعيكم ، وتَنأون عن جنابنـا ونتعـرَّض لكم ، « **هل من سـائل؟ هل من مستغفر؟** »[5] .

أناس أعرضـــوا عنَّا	بلا جُرم ولا معـــنى
أساءُوا ظنَّهم فينـــا	فهلاَّ أحسَنوا الظــنَّ
فإن عادوا لنا عُدنـــا	وإن خانوا فمـــا خُنَّا
وإن كانوا قد استغنوا	فإنَّا عنهـمُ أغنـــى

يا من قال : إذا شبت تُبت

اليوم عهدكم فـأين الموعد؟! هيهات ليس ليوم عهدكـم غدٌ ، ما لك تتعلل في

---

(١) أى : ليتأخرن عن القتال . تفسير الجلالين (ص ٧٤) .

(٢) أى : القطع . القاموس « ع ض ب » .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) فى (أ) : « عنَّا » .

(٥) أخرجه البخارى (٢ / ٦٦) ح (١١٤٥ - فتح) ، ومسلم ح (٧٥٨) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

ولفظ البخارى : أن رسـول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعـونى فأستـجيب له ؟ من يسألنى فـأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

المجالس (وأنت جالس)[١] ؟ عقلك يحثُّك على التوبة وهواك يَعوق[٢] ، اخلع لباس الالتباس ومَزِّق رداء التردد ، فالعرى أحسن من أثوابك ، إن خرجت وما أنبت[٣] فلستَ من أولى العزم .

لأى مرمًى تزجر الأيانِقا[٤] إن جاوزت نجدًا فلست عاشقًا

وإنما كان بكائى حاديًا ركب الغرام وزفيرى سائقًا

[قد ضربت خيامَها مغاربًا واتخذت حمولها مشارقًا

وكيف لا يحرسُها خيامها وكل طرف قد آتاها سارقًا][٥]

يا من أبعدته الذنوب عن ديار الأُنس ، أبكِ وطَرَ[٦] الوطن ؟! عساك تُرَد .

يا بَعيد الدَّار عَن وَطَنِه مفردًا يبكى على شَجَنِه[٧]

كلما جَدَّ النَّحيبُ به زادت الأسقَام فى بَدنه

[شَاقَه ما شاقنى فبكى كلنا يبكى على شَجَنه][٨]

لما أذنب داود - عليه السلام - بكى حتى نبت العشبُ من دموعه / فقيل له : ما لك ؟! أجائع فتطعم ، أم عطشان فتسقى ؟ فلما رأى أن ذنبه لا يُذكر هاج ، فهاج ما نبت .

٦/أ

سيَّان إن لامُوا وإن عذروا[٩] ما لى عن الأحبَاب مصطَبَرُ

لابُد لى منهم وإن تركوا قلبى بنار الهَجر[١٠] يَستعِرُ

---

(١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢) كذا ضبطت فى الأصل ، وفى (أ) ضبطت هكذا : « يُعوِّق » .

(٣) فى (أ) : « تُبتَ » .

(٤) جمع الأنوق : « وهو [طائر] العُقاب والرَّخَمة ، أو طائر أسود له كالعرف أو أسود أصلع الرأس أصفر المنقار . القاموس « أ ن ق » .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) .

(٦) الوطر : الحاجة . المصباح المنير « و ط ر » .

(٧) شجنه : همه وحزنه . القاموس « ش ج ن » .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) .

(٩) فى (أ) : « هجروا » .

(١٠) فى (أ) : « الغرام » .

هجر جميع لذاته ، فلم يلتفت إلى زوجة « ولم يُعرج »[١] على شهوة ، ولم يزايل حِفش[٢] البكاء فاستحال العيشُ الحلوُ مُرًّا ، وإذا سحائب[٣] صَدٍّ حبٍ[٤] أبرقت، تركت حلاة[٥] كل حُلو[٦] عَلقمًا ، يا حاضرًا كغائب ، إذا رأيت التائبين قد تحرموا[٧] للرَّحيل عن ديار الهوى فبابك على توقُفك ، ويحك فاض الفَورَجُ[٨] فاعبُر قبل الغرق[٩] .

سل الجيرة العادين[١٠] هل مودَعُ الهوى أمينٌ؟ وهل بعد التفرق ملتقى ؟ أتدرى ما الذى أزعج هذا التائب ؟! وأى كتاب أقدم هذا الغائب ؟! وأى عتاب أجرى دمعه الساكب ؟! تذكَّر عهدَ ﴿ ألستُ بربكم ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] فحَنَّ، وتفكر فى بُعده عن الحبيب فأنّ[١١] .

سَرَى نَسيمُ الصبا من حاجر فصبا	وبات يشكو إلى أنفاسه الوَصَبا[١٢]
ذو صبوة لم يشم برق الشَّأم ولا	دعا ابنُ ورقاءَ إلا قال[١٣] وا حَرَبا
ما يبرحُ البَارِق النَّجدىُّ يُذكرهُ	نجدًا ويُلهبه وجدًا إذا التهبا
يوَد لو أن أيام الحِمىَ رجعت	وكيف يرجعُ شيء[١٤] بعدما ذهَبا
[يا أنجُمَ الليل أقرى لى من ألفت به	عنى السلام وكونى بيننا كُتبا][١٥]

---

(١) فى (أ) : « ولا عرجٍ » .
(٢) الحفش : الشيء البالى : المعجم الوجيز (ص ١٦٠) .
(٣) فى (أ) : « سحابةٌ » .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى (أ) : « صدَحت » .
(٥) فى (أ) : « حلاوة » .
(٦) فى (أ) : « حُبٌ » .
(٧) كذا فى الأصل ، ولعلها من الإحرام وهو الدخول فى النسك .
وفى (أ) : « تحزَّموا » بالزاي بدل من الراء .
(٨) فى حاشية الأصل : « هو التّنور » ، وفى (أ) : « النهر » بدل من « الفورج » .
(٩) فى الأصل : « العرق » .
(١٠) فى (أ) : « الغادين » .
(١١) أى : تأوه . القاموس « أ ن ن » .
(١٢) الوصب :المرض . القاموس « و ص ب » .
(١٣) فى (أ) : « إلا صاح » .
(١٤) فى (أ) : « شيئًا » .
(١٥) هذا البيت زيادة من (أ) .

إخوانى : مجلسُنا روضةٌ ، طعامُنا فيها الجوع ، وشرابنا فيها الدموع / ونُقلُنا ٦/ب هذا الكلام المطبوع ، نُداوى به أمراضًا أعجزت بختيشوع[1] ، ونُرَقِّى الهاوى[2] ونَرقى[3] الملسوع[4] ، فليته كان كلّ يوم لا كل أسبوع .

يالِصَحبى وأينَ منِّى صَحبى فتنتهُم عيونُ ذاك السِّربِ
كلماتٌ أسماؤهن[5] استعارات وما هُنَّ غيرُ طَعنٍ وَضربِ
أرنى ميتةً تَطِيبُ بها النفس « وقتلاً يلذ »[6] غيرَ الحُبِّ
لا تزل بى عن العقيق ففيه وطَرِى إن قَضَيتُه أو نحبى[7]
أجميل أن لا أزور ديارًا يوم بانوا دَفَنتُ فيها لُبِّى
لا رَعَيتُ السّوامَ[8] إن قلتُ للصحبة خفى عنه وللعين هِبِّى

الفصل الرَّابعُ

إخوانى : لو فتحتم أبصار البصائر لرأيتم المذنبين قد طُمِست قلوبهم ، وضربت عليهم الذِّلة والمسكنةُ ، باعوا ما يبقى بما يفنى ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ [سورة البقرة : ١٦] . يغلقون الأبواب ويسدلون الحجاب ، ويبارزون الوهاب ، أما سمعوا فى الكتاب بالعتاب : ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** ﴾ [سورة النساء : ١٠٨] . يصبحون على الأوزار ، ويمسون على الإصرار ﴿ **ألم يعلموا أن الله يعلم سرَّهم ونجواهم** ﴾ [سورة التوبة : ٨٧] . أتراهم ما يردعهم ﴿ **سنفرغ لكم** ﴾ [سورة الرحمن : ٣١] ﴿ **أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرَّهم ونجواهم** ﴾ [سورة الزخرف : ٨٠] . وأخجلهم ﴿ **يوم يبعثهم الله**

---

(١) فى (أ) : « بختيشوع » بالتاء المثناة من فوق بدل من الثاء المثلثة .
(٢) أى : نصعد المصاعد . القاموس « ر ق ى ، هـ و ى » .
(٣) من الرقية .
(٤) الملسوع : الملدوغ - أى : من عضته حية -. القاموس «ل س ع»، والمعجم الوجيز (ص٥٥٤).
(٥) فى (أ) : « أسماهن » .
(٦) فى (أ) : « وقتل يستلذ » .
(٧) أى : أجَلَه .
(٨) السوام : الإبل الراعية . القاموس « س و م » .

٧/أ **جميعًا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله / ونسوه** ﴾ [سورة المجادلة : ٦] . من قَلَقِهم ﴿ **يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دعًا** ﴾ [سورة الطور : ١٣] . يا حسرتهم وهم ﴿ **يُعرضون عليها خاشعين من الذل** ﴾ [سورة الشورى : ٤٥] . ليتهم تُركوا عُراةً حين ﴿ **قُطِّعت لهم ثياب من نار** ﴾ [سورة الحج : ١٩] . ليتهم عُدموا الفُرُش والغطاء [حين][1] ﴿ **لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواش** ﴾ [سورة الأعراف : ٤١] . يا مبارزينا بالقبيح[2] ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ [سورة آل عمران : ٢٨ ، ٣٠ مكررة] . احذروا سخطًا إن حَلّ انحل بُنيانُ الأجساد ﴿**ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى** ﴾ [سورة طه : ٨١] . يا معشر[3] العُصاة لا يهولنّكم ما سمعتم فكله يندفع بتوبة .

إلى كم عتابٌ يسر الفضا ، سلام عليكم مضى مَا مَضى ، **لو عرفت قدرك** يا مسكين ، ما ألقيت جوهرة قلبك فى مزابل الهوى ، يا مشرَّدًا **عن الأوطان إلى**[4] متى ترضى « بأليم الذل »[5] ؟!

للقطاة أفحوص[6] ولابن آوى[7] مأوى ، إنما خلقت الأكوان كلها لك ، فالدنيا لتزرع والآخرة لتتوطن ، والملائكة سجودٌ لك فى الأولى وخَدَمٌ [لك][8] فى الثانية ، أتراك تعرِفُ قدرَ ﴿ **أذكركم** ﴾[9] ، أو قيمة ﴿ **يُحبُهُم** ﴾[10] ، أو مرتبة

---

(١) زيادة من (أ) .

(٢) فى (أ) : « بالقبائح » .

(٣) فى (أ) : « معاشر » .

(٤) سقط حرف « إلى » من (أ) .

(٥) فى (أ) : « بالتمرد » .

(٦) أى : مكان تسكن فيه . القاموس « ف ح ص » .

والقطاة : نوع من اليمام يؤثر الحياة فى الصحراء ، ويتخذ أفحوصه من الأرض ، ويطير جماعات ويقطع مسافات شاسعة ، وبيضه مُرقَّط . المعجم الوجيز (ص ٥٠٩) .

(٧) ابن آوى : حيوان من الفصيلة الكلبية ، وهو أصغر حجمًا من الذئب . المعجم الوجيز (ص ٣١) .

(٨) زيادة من (أ) .

(٩) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ [سورة البقرة : ١٥٢] .

(١٠) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

«**وأنا إلى لقائهم أشد شوقًا**»[١] ؟! إذا صعدت الملائكة من مجلس الذكر ، قال الحق - عز وجل - « **أين كنتم ؟** » قالوا : عند عبادٍ لك يُسبحونك ويُمجدُونك . فيقول : « **ما الذى طلبوا ، وممّ[٢] استعاذوا** » . فإذا شرحوا الحال قال : «**أشهدكم أنى قد أعطيتهم ما طلبوا ، وأمَّنتُهم ممّا خافوا** »[٣] . يا من يُسائل عنى القادمين ، إذا ما كنت بى هكذا صبًا فكيف أنا؟!/ ٧/ب

إخوانى : كأنى أشم ريح كبدٍ محترقةٍ ، أى قلب قد لفحته نارُ الوجد[٤] ففاحت ريحه ، هذا النَّفَس قد وصل إلى العرش .

ألا لله أى هوًى أضاءا	**وبَرق بالطُويلع إذ[٥] تراءى**
(طربت إليه حتى قال صحبى	**لأمر هاج منك البرقُ داءً)[٦]**
تساقينا التذكر فانتشينا[٧]	**كأنّا قد تساقينا الطلاءَ**

إذا ضرب زنادُ المواعظ حَجَر القلب عَلقت النارُ بحُراق المعرفة ، فلم يتم اقتباسُها إلا بنفيخ ، فإذا شفتا[٨] الصّعداء[٩] قد بالغت .

أثاروا زفيراً يَلفُ الضلوع	**لَفّ[١٠] الرياح أنابيبَ مَلَد**
فكل حرارات[١١] أنفاسه	**تَدل على أن فى القلبِ وَقَد**

---

(١) لعله ضمن الحديث القدسى الآتى فى بعض رواياته .

(٢) فى (أ) : « وممّا » .

(٣) أخرجه البخارى (٨ / ١٠٧ - ١٠٨) ح (٦٤٠٨ - فتح) ، ومسلم ح (٢٦٨٩) بنحوه عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٤) فى (أ) : « الوعظ » .

(٥) فى (أ) : « قد » .

(٦) سقط هذا البيت من (أ) .

(٧) أى : سكرنا . القاموس « ن ش ى » .

(٨) كذا فى الأصل ، ولعلها مثنى الشفة وهى : الحرف .
وفى (أ) : « تنفسنا » .

(٩) على ما جاء فى الأصل فى الكلمة السابقة يكون معناها : المشقة . وعلى ما فى (أ) يكون المعنى التنفس الطويل. وراجع القاموس « ص ع د » . والله أعلم .

(١٠) فى (أ) : « كلف » .

(١١) فى (أ) : « حرارة » .

لولا دموع العين تطفئ بعض نار الوجد لأسرع الحريق فى ذات القلب ، صُعَداء الأنفاس تشرح حال الواجد فيستغنى بها عن كشف المستتر .

خُذى حديثك عن[١] نفسى من النفس وجدُ المشوق المعنىَّ غير ملتبس

الماءُ فى ناظرى والنار فى كبدى إن شئتِ فاغترفى أو شئتِ فاقتبسى

يحق لأبدان المحبين تذوب ، ولسماء أعينهم تَهمِى[٢] وتصوب[٣] ، لو حُمِّلوا جبال الأرض مع كر[٤] الكروب[٥] كان قليلاً فى جنب المحبوب .

٨/أ

رَأى خُضوعى فصَدَّ عنى فازددت ذُلاً فزادَ تيها /

قلتُ له خاليًا وعينى قد أقرَحَ[٦] الدَّمع مائليها

هل لى فى الحبِّ من شبيهٍ قال[٧] وأبصرت لى شبيهًا

سكن الخوف فى قلوب القوم فأذابها ، فإذا بها فى الأمن . نَحلَهم « عِرفان المعرِفَة فأنحلهم »[٨] ، فَعَمَرَ قصرُ القلب للملك ، وقِنعت الحَواشى [فى القاع][٩] بالخِيَم .

وكم ناحلٍ بين تلكَ الخيام تحسبُه بعضَ أطنابِهَا

كان وُهيب بن الورد[١٠] قد نحل [جسمه][١١] من العبادة ، فكانت خُضرة

---

(١) فى (أ) : « فى » .

(٢) أى : تصب دمعها . القاموس « هـ م ى » .

(٣) من الانصباب . القاموس « ص و ب » .

(٤) أى : تكرارها . وفى (أ) : « كرب » .

(٥) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وهو كذلك فى (أ) ، وفى الأصل : « الخطوب » .

(٦) فى (أ) : « قرَّح » .

(٧) فى (أ) : « فقال » .

(٨) فى (أ) : « أثواب المحبة فأنحلتهم » .

(٩) زيادة من (أ) .

(١٠) هو وهيب بن الورد بن أبى الورد ، مولى بنى مخزوم ، يكنى أبا أمية وقيل : أبا عثمان ، وكان اسمه عبد الوهاب فصغر فقيل : وهيب ، أدرك جماعة من التابعين كعطاء بن أبى رباح ومنصور بن زاذان وأبان بن أبى عياش ، وكان مشغولاً عن الرواية بالتعبد ، ومات فى سنة ثلاث وخمسين ومائة . صفة الصفوة (٢ / ١٤٦ - ١٥٢) .

(١١) زيادة من (أ) .

البقل تبينُ من تحت جلدة بطنه[١] . وكان حسان بن أبى سِنانٍ[٢] قد ذاب جسده من العبادة حتى صار كالخيط الأسود[٣] .

زَعَمتِ لا يُبلى هــواكِ بَدنى ... بلى وجُبِّيك بلَى لقـد بَلى

دارُكِ تدرى أنه لولا الهــوى ... ما طُلَّ[٤] دَمعُ مُقلتــى فى طَلَل[٥]

قال يوسف بن أسبـاط : شهدت غُسل محمـد بن النضر ، فلو كُشِطَ كل لحمٍ عليه ما بلغ رِطلاً[٦] بالعراقى . ولما مات يوسُف لم يُرَ عَلَى عظمه سوى الجِلدِ .

وخيالِ جسمٍ لم يُخل له الهـوى ... لحمًا فُينحلُهُ الســقام ولا دَمَا

وخُفُوق قلبٍ لو رأيتِ لَهيــبَه ... يا جنَّتى لظننــتِ فيه جهنَّما

كان الأسـود بن يزيد يصوم حتى يخـضرَّ ويصفـرَّ . وكان إبراهيم بن أدهم - رضى الله عنه - كأنه سَفُّودٌ[٧] من شدة العبادة . وكانت رابعة - رضى الله عنها - كأنها شَنٌّ[٨] بالٍ / ٨/ب

سَلبت عظامى لحمها فتركتهــا ... مجرَّدة تَضحَى إليـك وتَخصُرُ[٩]

وأخليتها من مُخِّها فكأنهــا ... أنابيب فى أجوافها الريــحُ تَصفِرُ

إذا سمِعَت باسم الفِراقِ تقعقــعت ... مفاصِلها من هول ما تتــذكرُ

خذى بيدى ثم ارفعى الثوب فانظرى ... ضَنَى جســدى لكننى أتسَتَّرُ

---

(١) يعنى : من الهزال . كما فى صفة الصفوة (٢ / ١٥٢) .

(٢) كان حسان كثير الرواية عن الحسن وثابت البنانى ، ويقال : إنه أسند عن أنس ، غير أنه اشتغل بالعبادة عن الرواية . صفة الصفوة (٣ / ٢٢٩) .

(٣) حكى ذلك عنه جاره يحيى بن بسطام الأصفر التميمى ، كما فى صفة الصفوة (٣ / ٢٢٩) .

(٤) أى : ما أهدر . المعجم الوجيز (ص ٣٩٤) .

(٥) الطَّلل : الشاخص من آثار الدار . القاموس « ط ل ل » .

(٦) الرِّطل : معيار يوزن به ، وكسر الراء أشهر من فتحها . المصباح المنير « ر ط ل » . وهو يعادل : ٤٠٦,٢٥ جرامًا .

(٧) السَّفُّود : حديدة يشوى بها . القاموس « س ف د » .

(٨) الشن : القربة الخَلَق الصغيرة . المعجم الوجيز (ص ٣٥٢) .

(٩) كذا فى الأصل ، والصاد ضبطت بالفتح والضم ، وفى (أ) : « وتُصحِرُ » وقبلها « تُضحِى » بوزنها .

قال الجُنيد - رضى الله عنه - : دخلت على سَرِىٍّ - رضى الله عنه - فمدّ جلدة ذراعه فما امتدّت ، فقال : والله لو شئتُ أن أقول هذا من محبته لقلت .

وهواكَ ما بقّى هـــواكَ   علىّ فيـــك ولا ترك

أيلومنى فيك الذى يـزرى   علىّ ولــــــم يرَك

رفقًا بعبــــدك سَيدى   هذا عُبَيدُك قـــد هلك

الفصل الخامس[١]

يا مغرورين بحبة الفخ[٢] ، ناسين خنق[٣] الشرك ، تذكروا فوات المقصود مع حصول الذبح ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ [سورة لقمان : ٣٣ ، سورة فاطر : ٥] . الحذر الحذر من صيّاد يَسبقُ الطائر إلى مهابطِه بفخوخ مختلفة الحِيَل ، قَدِّروا أنّكم لا ترون خيط فخّه ، أما تشاهدون ذبائحه بيده فى خيط ﴿ **كما أخرج أبويكم من الجنة** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] . ألا يصبر طائر الهوى عن حبّةٍ مجهولة العاقبة ، وإنما هى ساعة وقد يصل إلى برج أمِنَة وفيه حبّاتٌ / ٩/أ

وإن حننت للحمَى وطيبِه   فبالغضا ماءٌ ورَوضاتٌ أُخر

شهوات الدنيا كسنى يوسف ، طعامُها غال ، الكلمة القبيحة تُؤَثِّرُ فى الإسلام، والنظرة المحرمة تقدح فى الإيمان ، وجُرعةُ الخمر تُوجب شُربَ الغِسلين، فإذا انقشع غيمُ التكليف ، وجاءَ زمان جزاء الصابر ، أطلقَ المحصورُ ، فصابر سِنىّ[٤] الجدب ، فستزول عن قريب ﴿ **ثم يأتى من بعد ذلك** [٥] **عام فيه يُغاث الناس وفيه يَعصِرون** ﴾ [سورة يوسف : ٤٩]. خذ من الدنيا قدرَ البلغة ، « فإن ما »[٦] يترك فى الشربة من السُّم يسير ، الهم فى الدنيا أكثر من الفرح ،

(١) سقط من (أ) : قوله « الفصل الخامس » .
(٢) فى (أ) : « القمح » .
(٣) فى (أ) : « خنقَةَ » .
(٤) فى (أ) : « سنين » .
(٥) إلى هنا انتهى الموجود من النسخة (أ) .
(٦) رسمت فى الأصل متصلة هكذا : « فإنما » .

والسـرور فيـها أقل من الحـزن ﴿ وإنّ الدار الآخـــرة لهى الحـــيوان ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٤] .

هل نجدُ إلا منزل مُفارَق ووطن فى غيره يُقضَى الوَطَر

إنما خلقت الدنيا لتجـوزها لا لتحوزها ، فالميل إلى فضول عيـشها فُضول ، و «**من حسن إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه** »[1] .

مقامهـا فى غيرها ، ووَطنك فى سواها ، « **كن فى الدنيا كـأنك غريب** »[2] . الحسابُ على قليـلها يقلقل ، فكيف الكثير ؟! لا تُعلق قلبـك بحبُـها ؛ فالطّمع فقر حـاضر ، لا تُمسكها بيـد قلبك ؛ فإنها تجرى فى ميـدان سـابق تستلبُك ولا تقف . لا تمش فى دولاب الرجـاء إلا بحـذر ؛ فإنه إن زلـت قدمك لم يُتـلافَ تلفك .

تذَكر يوم تروح الروح وما تلقى من بُروح[3] النزُوح ، ابكِ عَلَى / نفسك قبل أن يُبكى عليك ، وتفكَّر فى قادم قد صَوّبَ إليك . ٩/ب

خلِّ دمع العين ينهملُ بان من تهواه فاحتَملوا

كل دمع صـانه كلِفٌ فهـــو يوم البَين يُبتذلُ

إذا رأيت جنازة فاحـسبهـا أنت ، وإذا عاينت قَبرًا فـتوهمه قـبرك ، وعُدَّ باقى الحياة ربحًا .

---

(١) إسناده حسن .

أخرجه الترمذى ح (٢٣١٨) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبـى ﷺ إلا من هذا الوجـه . اهـ . والحـديث حـسنه الإمـام النووى فى رياض الصالحين (ص ٥٠ - ٥١) .

(٢) أخرجه البخارى (٨ / ١١٠) ح (٦٤١٦ - فتح) عن ابن عمر مرفوعًا .

قال الإمام النووى فـى رياض الصالحين (ص ٨٧) : قالـوا فى شرح هذا الحديث مـعناه : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله . وبالله التوفيق .

(٣) أى : شدائد . القاموس « ب ر ح » .

لقد لامنى عند القبور على البـكا رفيقى لتذراف[١] الدموع السَّوَافك[٢]
فقال أتبكى كل قـــبر رأيـــته لقبرٍ ثَوَى[٣] بين اللِّوى فالرّكـــادك
فقلت له إن الشجى يبعث الشجى فدعنـــــــــى فهذا كله قبر مَالـك

استدرك زمنًا يفوت وأدرِك حيوَانًا يموت . بادر بالعمل قبل خروج الروح ، فما تدرى من غدٍ هل تروح .

تزود من الماء النقاخ[٤] فلـــن ترى بوادى الغضـا ماءً نقاخًا ولا بَردا
وبل من نسيم البان[٥] والزند[٦] نفحةً فهيهات واد يُنبت البـــان والزندا
وكُرّ[٧] إلى نجد بطرفـــك إنــــه متى تَعدُ لاً تنظر عقيقًا ولا نجـدا
تلفَّت دون الركب والعـين غـمرةٌ وقد مدها سيل الدموع بها مـدّا
لعلى أرى دارًا بأسنــمة النقـــا[٨] فأطربنا للـــــدار أقربنا عهدا
تلاعب بى بين المعالـــم لوعـــةٌ فتذهب بى يأسًا وترجع بى وجدا

عاتِب نفسك على هواها فقد وهاها ، قل لها : ادرجى درجَ المُدرج فقد لاحت منى ، لا توقـفنك فى الطريق طاقة من أم غـيلان[٩] ، فالخبط[١٠] فى المنزل مهيأ لك . / ١٠/أ

لمن طالعات فى الســـراب أفُولُ يُقَومُها الحـــادون وهى تميل
هواها وراها والسُّرى من أمامـــها فُهن صحيـــحاتُ النواظر حُول

---

(١) أى : لسيل .
(٢) أى : كثيرة الصَّب . المفردات « س ف ك » .
(٣) أى : كائن .
(٤) النُّقاخ : الماء البارد العذب الصافى والخالص . القاموس « ن ق خ » .
(٥) البان : شجر ولحب ثمره دهن طيب . القاموس « ب و ن » .
(٦) الزند : شجرة شاكة . القاموس « ز ن د » .
(٧) أى : ارجع . القاموس « ك ر ر » .
(٨) النَّقا : الكثيب من الرمل . المصباح المنير « ن ق ى » .
(٩) أم غيلان : شجر السمر . القاموس « غ ى ل » .
(١٠) الخَبَط : ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنفض . المعجم الوجيز (ص ١٨٥) .

يا نفس عند ذكر العابدين تبكين ، وإذا جنْ الليلُ تتّكين ، وإذا أقبل النهار تفطِرين ، فأين أنت من الصالحين ؟ !

أمن خُفوق البرق قد رمينا حتى فما أمنعك الحَنينا
سَيرى يمينًا وسراك شامة فَضلّةً ما تتَلَفّتينا
نعم تُشاقِين ونشتاق لهُ ونُعلن الوجد وتكتمينا
فأين منا اليوم أو منك الهوى وأين نجدٌ والمُغورُونا

دع نفسك تبكى من شدة الرياضة فستضُحك عند صحبة الملوك .

أثِرها ورُح ، فالنُجحُ عند مسيرها مغربةً ، والعجزُ عند مَقَامِها ، قد مال بها الهوى عن المسلك ، فقِفها على الجادة ، فإنها تعرف المنزل .

ردُّوا لها أيامها بالعريم[١] إن كان من بعد شقاء نعِيم
وأفرجُوا من طُرُقات الحمى لها عن المعوج والمستقيم
ولا تَدُلُوها فقُدَّامها أدلةُ الشوق وهادى الشَّميم[٢]

مجلس[٣] الذكر ليلةُ الترائى ، وقد رأيت هلال الهدى نهارًا ، وها أنا أشير إلى غبش[٤] المعاصى بالأمارات لعلّ تجدوا تلمحًا .

أقول وقد عاد عندى الغليل لَمّا هبطن بنا الأجفرا[٥] / ١٠/ب
أيا صاحبى أترى نارهم فقال تريني َما لا أرى
دعانى الغرام ولم يدعهُ فأبصرت ما لم يكن مُبصرا
فما زلت أطربُه بالحنين وأذكِره المنزِل المُقفِرا[٦]

---

(١) العريم : الداهية . القاموس « ع ر م » .

(٢) من الشم وهى حس الشم .
وفى الأصل أمام هذا البيت « مؤخر » ، وأمام البيت الذى قبله « مقدم » فكتبناها على الصواب هنا .

(٣) كأنها هكذا فى مصورة الأصل .

(٤) الغبش : بقية الليل أو ظلمة آخره . القاموس « غ ب ش » .

(٥) الأجفر : موضع بين الخزيمية وفيد . القاموس « ج ف ر » .

(٦) أى : الخالى . القاموس « ق ف ر » .

إلى أن تنفس عن زفرة وأنّ من الوجد مستعبرا

مجلسُنا بحرٌ ، وغوّاص الفِكر ، يُخرِج الدرَّ الثمين ، والتُّوّابُ رُكّاب ، وسفائن العزائم تجرى على مقدار هبوب الريح ، وأنت تقف على الساحل ﴿ **وترى الفلك مواخر فيه** ﴾ [سورة النحل : ١٤] . قد عششت نحلُ العِلم فى هذه الزاوية ، فمن أتى وجدها ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ [سورة النحل : ٦٩] . فإن صفت نيته للحضور أُسهِم له من العسل ، وإن كانت كدرة فسهمها حُمة .

الفصل السادس

إخوانى فتشوا أحمال الأعمال قبل الرحيل ، ﴿ **ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ [سورة الحشر : ١٨] ، استذكروا قبح ما فعلتم فاستدركوه ، ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾ [سورة الحشر : ١٩] . يبيعون ما يبقى بما يفنى ، وذلك غبن فاحش فى العقد ، قَبِل المشترى[1] ألمَ توبيخكم ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ [سورة الأعلى : ١٧] . يا مبارزينا بالذنوب ﴿ **كلا سوف تعلمون** ﴾ [سورة التكاثر : ٣] . لا يغرنكم الإمهال ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ [سورة الفجر : ١٤] يا مطلقى العيون فى محرَّم المنظور ﴿ **لترون الجحيم** ﴾ [سورة التكاثر : ٦] .

١١/أ لا تنظروا إلى طول إنظار العصاة ﴿ **إن إلينا / إيابهم** ﴾ [سورة الغاشية: ٢٥]. بينا هم يسرحون فى بيداء هواهم، سلبتهم كف المُخالِس، فرمتهم فى حبس الجزاء يلقون من العذاب ما لا يُحَدّ ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ [سورة البروج :١٢] أُفدِى صبيان التوبة ، ما أسرع ما تخلّصوا من السجن ، عرفوا معبودَهم معرفة الفهم ، فهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ [سورة آل عمران : ١٩١]، إذا جَنَّ الليل ﴿ **تتجافى جنوبهم** ﴾ [سورة السجدة : ١٦] . وإذا جاء النهار صاح لسان الحزم : ﴿ **وأن تصوموا خيرٌ لكم** ﴾ [سورة البقرة : ١٨٤] .

---

(١) عقبها فى مصورة الأصل قدر كلمتين غير واضحتين ولعلها : « الا تحسون » .

إذا كسبوا للحاجة ﴿ **لا تلهيـهم تجارة ولا بيع عن ذكـر الله** ﴾ [سورة النور : ٣٧] . إذا لاحت نظرة غـضوا ﴿ **يخافـون يومًا تتقلب فيـه القلوب والأبصار** ﴾ [سورة النور : ٣٧] يجوعون ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه** ﴾ [سورة الإنسان : ٨] . يصبرون ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ [سورة الحشـر : ٩] ، قامت بينةُ دَعـوى القلوب الوَجِلة باصفـرار الألوان ﴿ **أولئـك هم المؤمـنون حقًا** ﴾ [سورة الأنفـال : ٤ ، ٧٤ مكررة] . لله دَرُّهم من فـتـيـة بكرُوا مـثل الملوك وراحـوا كالمساكين ، جنَّ عليهمُ الليل فجُنَّ الواجدُ ، خلا الفكرُ بالقلب فى بيت الوحدة، فجرت أوصاف الحبيب فنهض قلق الشوق ، فضربت بطون الرواحل لسَير السهَر، فلا وجهَ لنوم القوم .

أَتُرى طيفكمُ لمّا ســـرى ... أخذ النوم وأعطـى السَّهَرَا

أم ذهلنا فتمادَى ليلـــنا ... فتوهَّمنا العشــاءَ السَّحَرا

ما نلومُ الليل بل نعــذره ... إنّما طولّه مـــــن قَصرًا

يا عيونًا بالغضى[1] راقـدةً ... حرَّم الله عليكنّ الكرَا[2] /

لو عدلتن تساهمنا جوًى[3] ... مثل ما كنا اشتركنا نظــرا

حبذا فيك حديث باطــنٌ ... فطَن الدمعُ به فانتـــشرا

١١/ب

يا صبيان التوبة ، دوموا على الحِمية[4] وإن أذابت الأبدَان ؛ فإنها تجلبُ العافية، وإياكم والتـخليط ؛ فإنه سـبب المرض ، لا يصعبنَّ على الخـيل تضمـيرها[5] ؛ فستفرح به يوم السباق .

يا مـعشـرًا باتوا بليل العُشاق إلـى المعالى والنداء بالأشـواق ، أين خُنزُوانةُ[6]

---

(١) أى : ظلام الليل . القاموس « غ ض ى » .

(٢) الكرا : النوم . القاموس « ك ر ى » .

(٣) أى : شدة الوجد . القاموس « ج و ى » .

(٤) الحِمية : الإقلال من الطعام ونحوه . المعجم الوجيز (ص ١٧٤) .

(٥) تضمير الخيل : ربطها وعلفها وسقياها كثيرًا مدة ، وركضه فى الميدان حتى يخف ويدق ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يومًا . المعجم الوجيز (ص ٣٨٢) .

(٦) أى : الكِبر . القاموس « خ ن ز » .

النفوس ؟! بُدلت بالتواضع . أين شَرَهُ البطون ؟! كـفه شدة الخوف . أين إطلاق العيون فى طلب النظر إلى الغض[١] ؟! بدل بالغض . عرفت الـنفس ما تطلب ، فهان عليها ما تبذل[٢] .

هوّن فى الليل عليها الغررا[٣] إن العُلا مقيَّدات بالســـرى[٤]

فرُكبت تسُوقها رءوســـها حتى تخيَّلنا الحجـُول[٥] العزولا

عَلَّمَها النوم على رباطهـــا ذليلةً أن تســـتطيب السَّهَرا

قد تركت مطعمها لشوقهـا تقول كل الصيد فى جوف الفرا

يا معاشر التـائبين ، خيرُ أعمارنا ساعة اجـتماعنا ، فليتها امـتدت شهرًا . أنا أزعج نفوسكم بالتوبيخ على التـقصير ، وأنتم بقوة حُرَقكم تنفعـونى أكثر ، فلقد ربحت عليكم فى تسجيع المواعظ ، فأحسن الله جزاء من استام .

يا رَعَى الله حمامات اللّوى إنها تشدوا الأغـــانى فتبيد

جمعتنا روضة منســـوجة فوقها من زهر الروض برود/ ١٢/أ

فتوافقنا فلى منها غنـــىً أعجميٌ ولها منى نَشيـــد

فظللنا كلنا فى طـــرف فحسبُ الأرض بنا منه تميد[٦]

أتمنَّى لو أعــادت سَجعَهاً وتمنَّى أنَّ إنشادى يعـــود

إخـوانى : كـم سكنت عبـرتى ، فـسمعت نَوحَ حَمـامِكم ، فـهـاج لى البـكـاء .

ما مرّ ذو شـــجَنٍ مُكتَّمُهُ إلا أقـــول متيَّمٌ مثلى

يُخيَّل إلىَّ أن الحيطان تبكى معنا ، وأن النسيم قد رقّ لحُزننا .

---

(١) أى : الناضر . القاموس « غ ض ض » .

(٢) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « تترك» .

(٣) أى : قلة النوم . القاموس « غ ر ر » .

(٤) السُّرى : سير عامة الليل . القاموس « س ر ى » .

(٥) أى : غارت عينه . القاموس « ح ج ل » .

(٦) أى : تضطرب وتتحرك . القاموس « م أ د » .

وكم وقفت وأصحابى بمنزلة   نبت بقُطَّانها[1] ولهان وهلانا[2]

نبكى وتسعدنا كُومُ المطى فهل   نحن المشوقون فيها أم مطايانا

ولا ومن فَطَرَ الأشياء ما وجدت   كوجدنا العيسُ[3] بل رقَّت لبلوانا

يا من يرى التائبين ولا يزعجه ما يزعجهم ، أقل الأقسام أن توافق القوم فى صورة البكاء ؛ رحمة لهم . إذا رأيت الثكلى[4] متقلقلة ، فلا بدَّ من رحمة الجنس .

ولمّا وقفنا بالديار تشابهت   جسوم بَرَاهنَّ البلى وطُلُولُ[5]

فباك بداء بين جنبيه عارفٌ   وباك بما جرَّ الفراق جهولُ

أيا أقسى الناس قلبًا ، أما لك عين ترى ما جرى ؟! يتوب الصبيان وتُصِرُّ ، وتُضربُ على عَملةِ الهوى ولا تُقرُّ .

تُرَم الحمول ولا تسكُبُ   ويشدوا الحمام ولا تطرَبُ

إخوانى : تعالوا نُرق دمع تأسُفِنا على قبيح تخلُّفِنا ، ونبعثُ / رسالة مُحصَرٍ[6] مع هؤلاء الحاج ؛ لعلنا نفوز بأجر المصيبة إن لم يرجع المفقود . ١٢/ب

عند قلبى علاقة ما تقضَّى   وجوًى كلما ذوى عاد غَضّا

وبكاءٌ على المنازل أبلتهن   أيدى الأيام بَسطًا وقبضا

من معيد أيام ذى الأثل أو   ما قلَّ منها دين علىَّ وقرضا

سامحا بالقليل من عهد نجد   ربما أقنع القليل وأرضَا

مُهديًا لى من طيب أرواح نجد   ما يداوى نفس العليل المنضّا[7]

---

(١) أى : بإقامتها . القاموس « ق ط ن » .

(٢) أى : متحير فزع . القاموس « و ل هـ ، و هـ ل » .

(٣) العِيس : الإبل البيض يخالط بياضها شُقرة . القاموس « ع ى س » .

(٤) أى : التى فقدت ولدها أو حبيبها . المعجم الوجيز (ص ٨٦) .

(٥) أى : الشاخص من آثار الديار . القاموس « ط ل ل » .

(٦) المحصر : هو من منعه العدو أو المرض عن إتمام نسكه .

(٧) أى : المجروح . القاموس « ن ض و » .

الفصل السابع

يا ماشيًا فى ظلام لـيل الهوى ، لو استبصـرت بمصباح التقى ، فـما تأمن بئرَ بَوار[١] ﴿ **فمن أبصر فلنفسه ومن عميَ فعليها** ﴾ [سورة الأنعـام : ١٠٤] . يا مطلقًا نفسه فى مسارح هواها ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ [سورة الطارق : ٤] . أما عـلمت عقـبى من بارز بالخطايا ﴿ **هل أتاك حـديث الجنود** ﴾ [سورة البروج : ١٧] . أما قُصَّت عليك أقـاصيص مَن صبا[٢] منهم إلى الصِّبا وانصبَّ ﴿ **فصب عـليهم ربك سوط عذاب** ﴾ [سورة الفـجر : ١٣] ويحك تـفهَّم لماذا خُلقت « **فمن يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين** »[٣] ما تكاد النفس أن تؤتى طوعًا ، فخذ آلة الحَرب ؛ « **فالكيس من دان نفسه** »[٤] . إن أحسنتك بمسامحة طمعت ، فلا تنزع رداء الهيبة عن رأس رياستك ، ولا ترفع عصاك عن أهلك فتهلك ، فإن قويت عليك فاستغث بصانعها ، « **استعينوا على كل صنعة بصالحى أهلها** »[٥] فإن أذعنت / فارفق بها ؛ « **فإن هذا الدين متين** »[٦] . ١٣/أ

كيف ترضى بمقلة تألف النوم ... ودمعٍ يُصـــان فى الأمَاق

وزمان الصبى يمرّ وقد أنفـق ... أيامَهُ زمـــــان الفراق

والليالى تمضى سراعًا ومـــا ... يقبل منها حـوالةٌ فى البَاقى

كانت امرأة من العابدات لا تنام من الليل إلا يسيرًا ، فعوتبت فى ذلك فقالت: كفى بطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقادًا .

---

(١) أى : خربة .
(٢) أى : حنَّ . القاموس « ص ب و » .
(٣) أخرجه البخارى (١ / ٢٧) ح (٧١ - فتح) ، (٤ / ١٠٣) ح (٣١١٦ - فتح) ، (٩/ ١٢٥) ح (٧٣١٢ - فتح) ، ومسلم ح (١٠٣٧) عن معاوية بن أبى سفيان مرفوعًا .
(٤) أخرجه الترمذى ح (٢٤٦١) وقال : حديث حسن. اهـ ، وابن ماجه ح (٤٢٦٠) ، وأحمد فى المسند (٤ / ١٢٤) ، والحـاكم فى المسـتدرك (١ / ٥٧) عن شـدَّاد بن أوس مرفـوعًا ، وصححه الحاكم على شرط البخارى ، فتعقبه الذهبى بقوله : لا والله أبو بكر واهٍ . اهـ .
(٥) قال السخـاوى فى المقاصد الحسنة (ص ٥٧) : قـد يستأنس له بقوله ﷺ : « مـا كان من أمر دنياكم فإليكم » . اهـ .
(٦) هذا الحديـث من وجادات عبـد الله ابن الإمام أحـمد فى المسند (٣/١٩٨) عن أنس بـن مالك مرفوعًا . وتكملة الحديث : « فأوغلوا فيه برفق » .

يا أيها العُذالُ لا تعذلوا فإنما النصح لمن يَقبَلُ

إنى أرى ليلى لا ينقضى إن طال ليلى فالهوى أطوَلُ

بكى أُسَيد الضبِّى حتى عَمى ، وكان إذا عوتب فى البكاء بكى ، ثم قال : الآن حين لا أهدأ ، وكيف أهدأ وأنا أموت غدًا ؟! والله لأبكينّ ثم لأبكين ، فإن أدركت من البكاء خيرًا فبمن الله وفضله ، وإن تكن الأخرى فما بكائى فى جنب ما ألقى ؟![1] .

وكان بعض العباد يرفع صوته بالبكاء فى المسجد ، فقيل له : إنك تُفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك . فقال : إن حزن القيامة أورثنى دموعًا غزارًا ، فأنا أستريح إلى دَويها أحيانًا .

أطلتُ وعذبتنى يا عذول بُليتُ فدعنى حديثى يطولُ

هوائى هوىً باطنٌ ظاهرٌ قديمٌ حديثٌ لطيفٌ جليلُ

ألا ما لذا الليل لا ينقضى كذا ليل كل مُحبٍّ طَويل

أبيت أساهرُ نجم الدُّجى إلى الصبح وحدى ودمعى يسيل/ ١٣/ب

كان الحسن يبكى ليلاً ونهاراً لا يكاد يفتر ، ويقول : أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى[2] .

وكان عدَّابُ يبكى عامةَ دَهره ويقول : أجعل سُرورى فيما يُقرب إليك .

يا من بحبال وُدِّه أمتَسكُ صبرى خاف وسِرُّه منهتكَ

هذا قلبى أعز ما أمتلكُ عذِّبه فمـاً عليك فيه دَرَكَ

الجسمُ يذوب من دوام الصدِّ والقلب معذَّب بنار الوجد

والدمع لما أُجِنّ منه يُبدى قد خدَّ مسيلُه بخَدَّى خدى

قال بُهَيم العجلى : ركب معنا فى البحر فتى من أهل البادية ، فجعل يبكى الليل والنهار ، فعاتبه أهل المركب على ذلك ، وقالوا : ارفق بنفسك . فقال :

---

(١) هذه القصة من رواية عبد الرحمن بن مالك بن مِغول . انظر : صفة الصفوة (٣ / ١٠٧) .

(٢) هذه القصة من رواية حفص بن عمر عن الحسن البصرى . انظر : صفة الصفوة (٣/ ١٥٥).

إن أقل ما ينـبغى أن يكون لنفسـى عندى أن أبكى عليهـا أيام الدنيا بما يمرُّ عليـها غداً. قال : فما بقى فى الركب أحد إلا بكى[١] .

قضت المنازل يوم كاظـــمة ... إن المطىَّ يطولُ موقعــــها

سقت مدامعُنا برشَّتهــــاً ... من قبل أن يومـــى مكَفكفُها

إن كنت أنفدت الدمــوع بها ... فالوجد بعد اليـــوم يُحزنها

رفقًا بقلب أنت ســـاكنهُ ... العينُ منك وأنــت تَطرفها

فى القلب منك حرارة عَظُمت ... ما زلتُ أدمُلُها وتقـــذفها

هل يعطفنَّكم توجُّعُهـــا ... أو يُقبلنَّ بكم تلهُّفُهــــا

١٤/أ كيف لا تذهب العيون من البكاء ، ولا تدرى ما قـد أعدَّ لها ؟! كان محمد / ابن المنكدر - رضى الله عنه - كـثير البكاء ، فـسئل عن ذلك ، فـقال : آية فى القرآن أبكتنى ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾[٢] [سورة الزمر: ٤٧] .

سبـقت السعادة لمحـمد صلى الله عليـه وعلى آله وسلم قبل كـونه ، ومضت الشقـاوة لأبى جهل قبل وجوده. وعلم العـارفون بوقوع الخاتمة على وفق السـابقة فذلك قَلقَل الأرواح وأذاب الأبدان، فإن تواقح لسان سائل أسكته عِزٌّ ﴿ **لا يُسأل**﴾ [سورة الأنبياء : ٢٣] . وإن اختلج فكرٌ فى كيفية قضاء أسكته قهر ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نـفس هداها** ﴾ [سورة السـجدة : ١٣] . فمـاً عَلِقَ الرَّهن إلا بوجوب التسليم للمالك ، ثم لا سبيل إلى ارتفاع القلق .

أتُرى ســألوا لَمَّا رحلــوا ... ماذا فعلــوا أم مـــن قَتلوا

وعدوا فطمعت غداة سمعت ... منِّى وقنعــتُ بما بَذلـــوا

أحليـــفَ النـوم أقلَّ اللَّومَ ... فعندى اليـوم بهـــم شُغُل

أدنى جزعى لـم يبق معـــى ... قلبًا فيعـى منذ احتـــملوا

---

(١) انظر : صفة الصفوة (٤ / ٣٠٩) .

(٢) هذه القصة من رواية يحيى بن الفضل الأبيسى ، والسائل هو أبو حازم .انظر : صفة الصفوة (٢ / ٩٨) .

وبسمعى صوّت سائقهم   وبعينى قربت البُزُل[١]

هيهات أفيق وليس تطيق   هواى النِّيقُ فما العَذَل

جَلدى سلبوا جسدى نهبوا   كمدِى وهبوا كبدى تبلوا[٢]

عينى خلبوا حينى حلبوا   بينى طلبوا ها قد وصَلُوا

لما ذرفت عينى وقفت   أترُى عرفت ما بى الإبلُ

عطَبى مَن رؤيَتُهُ أرَن[٣]   وبه حَربى وهو الجَذَل[٤] / ١٤/ب

ولحا اللاحى[٥] وهو الصَّاحى[٦]   وهمُ رَاحِى[٧] وأنا الثَّمِلُ[٨]

الفصل الثامن

يا معاشر المذنبين ، كلما حركتم إلى التوبة ﴿ **اثاقلتم إلى الأرض** ﴾ [سورة التوبة :٣٨] تؤثرون المزابل على الفراديس[٩] ﴿ **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ [سورة التوبة : ٣٨] إنما أحثكم على نفعكم ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾ [سورة الإسراء : ٧] إن أقوامًا يغتنمون المعاصى ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم** ﴾ [سورة الأنعام : ٢٦] ﴿ **أفأمنوا** ﴾ حين يغشون القبيح ﴿ **أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ [سورة يوسف : ١٠٧] . أما المواعظ فقد صرحت ، وأما النُّذُر فقد أفصحت ، ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ [سورة النساء : ٨٢ ، سورة محمد : ٢٤] . أغرهم طول الإمهال ﴿ **أفأمنوا مكر الله** ﴾ [سورة الأعراف : ٩٩] .

---

(١) أى : الشدائد . القاموس « ب ز ل » .

(٢) أى : أسقموه وأعيوه . القاموس « ت ب ل » .

(٣) أى : هدر . القاموس « أ ر ن » .

(٤) أى : وهو الثابت . القاموس « ج ذ ل » .

(٥) أى : لام اللائم . القاموس « ل ح ى » .

(٦) أى : التارك للصِّبا والباطل . القاموس « ص ح و » .

(٧) أى : أسيادى . القاموس « ر ح ى » .

(٨) أى : السكران . القاموس « ث م ل » .

(٩) موضع قرب دمشق ، وموضع آخر قرب حلب بين برية خساف وحاضر طيئ . القاموس « ف ر د س » .

يا قُبح آثار المخالفة ، إن كنت تأنفُ من الآثار فتلمّح تأثير ﴿ وعصَى آدم ربه ﴾ [سورة طه : ١٢١] . لُقمةٌ أثَّرت أن عثَّرَت ، فـعرِى المكتسى ونزَل الرَّاقى وقام المرفَّه يخدم نفسه ، فلمَّا صارت ريح الزفرات رخاء ، تلمَّح الملائكة تصعد إلى السماء ، ورأى جناحَه قد قُصَّ ، فعادت الرياح عواصف .

وأصبحت كالبازى المنتَّفِ ريشه ... يرى حسرات كلما طار طائر

يرى خارقات الجو يخرقن فى الهوى ... فيذكر ريشًا من جناحيه وافر

وقد كان دهرًا فى الرياض منعَّمًا ... على كل ما يهوى من الصيد قادر

إلى أن أصابته من الدهر نكبةٌ ... فأصبح مقصوصَ الجناحين حاسر/ ١٥/أ

أعظم البلايا تردد الركب إلى بلد الحبيب ، يُودِعُون عند سفرهم الدمن[1] .

ولم يبق عندى للهوى غيرُ أننى ... إذا الركبُ مرُّوا بى على الدار أشهَقُ

كانت صعداءُ أنفاسه تملء مزاد المسافرين ، فإذا وردوا إلى مصرِ الحبيب انفرد بنيامين بيوسف عن بقية القوم .

لولا تذكر أيامى بذى سلَم ... وعند رامة أوطارى وأوطانى

لما قدحت بنار الشَّوق فى كبدى ... ولا بلَلتُ بماء الدمع أجفانى

بكى أبوكم على ذنب قد أوجب البعدَ من الحبيب ثلاثمائة سنة ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ [سورة الحشر : ٢] احذروا من زلة يقول الحبيبُ فيها : ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾ [سورة الكهف : ٧٨] .

لا يُبعد الله الذين نأوا ... وقفوا الغرامَ بنا وما وقفوا

لم أنس موقفنا وموقفهم ... يوم النوى ودموعنا تكفُ

متساكتين من الوُجوم وقد ... نطقت علينا الأدمع الذُّرُفُ

ما كان أسرعَ ما نبا زمنٌ ... وتكدَّرت من وُدِّنا نُطَفُ

حبل غدا بأكفنا طرفٌ ... منه وفى أيدى النوى طَرَفُ

---

(١) أى : آثار الدار والناس . القاموس « د م ن » .

هل حُسنُ ذاك العهد مُرتجع — أم طيبُ ذاك العيش مُؤتنفُ

أم هل يباح الوردُ ثانيةً — وَيلذُّ برد الماء مرتشَفُ

لهفى على ذاك الزمان وهل — يثنى زمانًا ماضيًا لهَفُ

لا تحسبَن قولى مَمَّاذقة[1] — وجدى ببُعدك فوق ما أصف /

١٥/ب

اذكروا يا تائبين تأثير لُقمة ، وانظروا إلى داود - عليه السلام - فى ثمرة نظرة، يا متصرفين فى إطلاق الأبصار ، جاء توقيع العزل ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ [سورة النور : ٣٠] إطلاق البَصَرِ ينقش فى القلب صورة المنظور ، والقلب كعبةُ « **ويسعنى** »[2] . وما يرضى المعبود بمزاحمة الأصنام .

عيناى أعانتا على سَفك دمى — يا لذة لحظة أطالت ألمى

كم أندم حين ليس يغنى نَدَمى — ويلى ثبت الهوى وزلَّت قَدَمى

إن ملتَ فقف على الغضى والسلَم — وانشُد قلبًا هناك عند العَلم

واحذر بالرمل من ظِباء الخيَم — ما يرجع لحظُهنَّ عن صب دَمِ

يا مطلقًا طرفهُ لقد عَقَلك ، يا مُرسلاً سَبُع الفم ليعقر غيره أكلك ، يا مشغولاً بالهوى مهلاً قتلك ، بادر رمقك فقد رمقك بالرحمة من عَذَلك .

عثرتَ يوم العُذيب فاستقل — ما كل ساع يُحِسُّ بالذَّلل

مَا سَلمت قبلك العيُون — على الحُسن ولا الراجمون بالمُقَل

سافر طرفى بين الظَّعائن — بالسفح وآبَ الفؤاد بالخَبل

نظرة غرٍّ جنت مُقارعةً — يفتك فيها الجبانُ بالبطل

حَصَلت منها على جراحتها — واستأثر الظاعِنون بالنقل

راحوا بقلبى وعاذرُوا جسدًا — أعدى بِلاهُ رَبعَ الهوى قبلى

---

(١) أى : غير مخلص . القاموس « م ذ ق » .

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

١٦/أ

وقفت فيه ولا ترى عجبًا ... من طلل واقف على طلل/
ما اختص منى السقام جارحة ... كل جهاتى أغراض منتبل[١]
إذا لحاظى لعينى امتعضت[٢] ... من الضنا قال قلبى احتمل

إذا لاحت للتائبين نظرة لا تحل ، فامتدت عين الهوى ، تزلزلت أرض التقوى، فنهض معمارُ الإيمان ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ﴾ [سورة النحل : ١٥] . يا مذنبين هذا أوان الإنابة ، يا غافلين عن الحق وقد فتح بابه ، تعرضوا للقبول فهذا وقت إجابة .

كم النوى قد جزع الصابر ... وقنط المهجورُ يا هاجرُ
أكان يوم البين حاشاكمُ ... أولُ شيء ما له آخرُ
كم يُمطل الملسوعُ فى الدهر ... بالراقى وكم ينتظرُ الناظرُ

متى يتحدث الجيران بأنه قد تاب فلان ؟ متى يقول الأقران : لنا اجتماع فى مكان ؟ فتقول : ذلك أمر قد كان . يقولون : ما الخبرُ ؟ قيل : صخر لان . ويحك كتابك بالذنوب ملآن ، فاستدرك أمرك من الآن .

وإن قعودى أرقب اليوم أو غدا ... لعجز فما الإبطاء كالنهضان
فإن أمض أترك كل حىٍّ من العدى ... يقول ألا لله نفس[٣] فُلان

أتُرى تخرج من ذنوبك قبل خروجك ؟! أتُرى يندرح[٤] قبيحك قبل دروجك .

قل للزمان صُلحا ... قد عادَ ليلى صُبحا
وأعذب الشِّربُ الذى ... كان أُجاجًا مِلحا

(١) أى : مصابة بالإسقام . القاموس « ت ب ل » .
(٢) أى : شق عليها . القاموس « م ع ض » .
(٣) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « درُّ » .
(٤) أى : يندفع . القاموس « د ر ح » .

الفصل التاسع

١٦/ب يا من كان له قلبٌ معافى فمرض ، اذكر تخليطك ما دَامت / الحِمية مصاحبةً لك فالصحة رفيق ، فإذا وقع التخليط وقع التخبيط . ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [سورة الرعد : ١١] . ما كان أحسن قلبك ، وما كان أصفى شربك ، فأكثر على المصاب ندبَك ، لم تبق لك الآن حيلةٌ إلا ملازمة باب الطبيب ، فإن لم تقدر على ثمن الدواء ، فالبكاء رأس مال الفقير .

من يرحَمُنى ومن يُطَفِّى حُرقى — من بعدهم ومن يُهَدِّى قلقى

عينى أنِسَت لبُعدهم بالأرَقِ — والجفن بدَمعه أسيرُ الغرَق

كم يرمى القلبُ حَسبهُ قد جُرحا — رفقًا بفتى فيك يلاقى البرَحَا[(١)]

كم قد كتم الهوى وعَاف[(٢)] النُّصحا — حتى نمَّت دُمُوعُهُ فافتضحَا

إذا تمكن حُبُّ الحبيب من حبَّة القلب صار الذكر قوتًا للنفس ، فإن عرض مرض غفلة لانسدال حجاب ، فمنع ذلك إدراك الذوق ، ضجَّ المزكوم لفقد ريح الورد .

إذا كنت قوتَ النفس ثم هَجَرتها — فكم تلبثُ النفس التى أنتَ قُوتها

ستبقى بقاءَ الضَّب فى الماء — أو كما يعيش ببيداء المفاوز حُوتها

قال أبو سليمان : يوحى الله - عز وجل - إلى جبريل - عليه السلام - : اسلب عبدى حلاوة مناجاتى ، فإن استغاث بى فردَّها إليه ، وإلا فلا تردَّها أبدًا[(٣)] .

أنت الحبيب الذى لا شك فى خَلَدِى منه — فإن فقدتك النفس لم تعشِ

١٧/أ **يا معطِشى بوصال كنتَ واهبَه — هل فيك لى راحةٌ إن صِحتُ واعطشى/**

من يفتتح اليوم من التائبين ؟ من أول قادم من الغائبين ؟ طال زمان وَعدِ

---

(١) أى : الشدائد . القاموس « ب ر ح » .

(٢) أى : لازم . القاموس « ع و ف » .

(٣) هذه الرواية عن محمد بن هشام عن أبى سليمان الدارانى . انظر : صفة الصفوة (٤/١٩١) .

الوَغدِ[١] بالإنابة ، واليوم يقضى الدين .

وليلة وصـل بات مُنجز وعـــده ... حـبيـبى فيـهـا بـعـد طول مِطَال

شـفـيتُ بهـا قلبًا أطيل غليلهُ ... زمـــانًا فكـــانت ليلةً بليـــال

فلمـا التـقـينا كنتُ أولَّ واجـدٍ ... ولما افـتـــرقنا كنتُ آخرَ سَال

المؤمن مفتَّن[٢] توَّاب ، لما كان منهُ المرادَ الذل نكَّسَ رأس عُجبهِ ؛ لكثرة الذلل، ما يكادُ يرى فى جَسَدِ عمله عافيةً ؛ فهو أبدًا على باب الطبيب .

أفى كـل يوم لـى فِراق وغـــربـةٌ ... أمـــرُّ من الـصَّاب المذافِ[٣] بعَلقم

ألا يا نسيم الريح إن كنت محسنًا ... إلىَّ فـعرج بالحبيـــــــب وسَلِّم

ظفِرتم بـنفس لا تزال حــزيـنةً ... عـليكم وقلـب صِدتموه بـأســهُمِ

جـمـعتم على قلبى فـراقًا وغُربةً ... لَقَلَّ عـلى هذا بقـــــاءُ المتيَّم

أتدرون هذا التـائب لِمَ أنَّ ؟! وهذا الحـزين كـيف جنَّ ؟! رأى سُوقَ المطى[٤] تختلف فى بطن الوادى ، وهو على تلعَة[٥] ، فحث ناقته ليلحق القوم .

جـاء بهـا قـالصـةً عن سـاقِ ... تحنُّ والحنةُ للمُشـتـــــاق

مــا أولع الحَنين بـالنِّيـــاق ... تذكـرى رَمـل النُّقِى واشـتـــاقى

أيهـا التائب ، مـا الذى أزعجك ؟ وأى شيء أحـرجك فأخـرجك ؟ هيَّجت بقلقك أشواقى ، وزدت بحُرقك احتراقى ، قف علىَّ وحادثنى .

١٧/ب

بالله ثم بالله يا راكبَ الشملَه[٦] / ... وصِف لى ما وجدت وأغثنـى و

فانبذ بها تسليمةً بين بيوت رَمـلَه ... امنن علىَّ وقفةً بجنب تلك الأثله

(١) الوغد : الرذل الدنىء . القاموس « و غ د » .

(٢) أى : يقع فى الفتن . القاموس « ف ت ن » .

(٣) الصَّاب : شجر مر . القاموس « ص و ب » .
والمذاف : المُسَمم . القاموس « ذ ف ف » .

(٤) جمع المطيَّة : وهى الدابة التى تجد فى السير . القاموس « م ط و » .

(٥) هى ما ارتفع من الأرض . القاموس « ت ل ع » .

(٦) أى : الناقة السريعة . القاموس « ش م ل » .

وإن سمعت هاتفًا يهتف بى فقل له جُنِنّ[1] بكم فما الذى به خلستم عَقلَه

أين تذهبون يا تائبين ؟ أين عـزمتم يا مسافرين ؟ عرجـوا على منقطع ، بلغوا رسالة محصَر .

ردوا المطىّ وإلا ردَّهـــــا نفسى وادمعى فـهمـا سَيل ونيران

يا سـائق الظعن قلبى فى رحـالهـم أمـانةٌ رعيُهــــا والحفظ إيمانُ

تحمَّلوا وفؤادى قبل سيرهمُ حَيـران والدّمعُ فى الأمَاق خيـــــرَان

ورحت والجسم كالربع الذى تركوا لا روح فيه ولا للرَّبع سكـــــان

أزعجتمونى بالجد يا تائبين ، أخرجتمـونى عن الحد يا آيبين ، أقلقتـمونى يا منزعجين ، أقرحتم المآقى يا خائفين .

يا صبــا نجد ويا بان الغضـــى ارفـقـا بى فى التثنى والـهبوبِ

أتقـــيكم والهـــوى يُقـــدم بى وأغُض الـطرف والـدمع يشـى بى

لا يكـن آخـر عـــهـدى بكم يـا ولاةَ القلب ليـلات القليبِ

تتقـدمون بمقـالى ، وتقومـون على حرِّ المقـالى ، ويخرج عـاطل البطالة وهو جالى ، وأنا لا أدرى ما حالى ﴿ إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ﴾ [سورة يوسف : ٨٦] .

يا صبيـان البداية تزوَّدوا للبادية ، تأمنّه والحاجـر ، اعقلوا الإبل قبل زرود ، لا تنسوا وقت أكل الزاد حِمَالكم .

بين العـــقـيـق والكثـيب الفــرد عَلاقــةٌ لى مـن هوى ووجـــد

سل هضبـاتِ الرملِ من جـزع اللِّوى يوم النَّوى عن قلقى ووجـدى/ ١٨/أ

واسـتـخـبـر الأنجم عن صبـابتى بسـاكنى نجد وأرض نجـــد

فـمَن مُجيــرى وبمن أسـتـعـدى وليس عند عـاذلى مَا عِنـدِى

ما أحـسن هؤلاء التُّوَّاب ، مـا أذل وقوفهم عـلى الباب ، فـاعتبـروا يا أولى

---

(١) غير واضحة فى الأصل ، ولعل توجيهها هكذا . والله أعلم .

الألباب ، جباهُهُم أنور من الشمس ، ووجوههم أضوأ من البدر ، نَوحُهم أفضل من التسبيح ، لو علمت الأرض قدر خوفهم تزلزلت ، لو رأت الأنهار جريان دمُوعهم وقفت ، لو سمعت الجبال ضجيجهم وقعت .

اسقنى فاليوم نَشوان ... والربّى صادٍ وريانُ
وندامى كالنجوم سَطَوا ... بالمنى والدهرُ جَذلان[1]
خطروا والسكر ينفضهم ... وذيولُ القوم أردَان[2]

الفصل العاشر

يا مغتراً فى ظلمه بإمهاله ﴿ **ولا تحسبن اللهَ غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] . ليست المهلةُ على الإطلاق ﴿ **إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] . إذا انتهى أمدُها طلبوا زيادة ﴿ **أخرنا إلى أجل قريب** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٤] . فيقابلون بتوبيخ ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** ﴾ [سورة فاطر : ٣٧] .

فلو رأيتهم ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٨] . وقد خرجوا من قبورهم حيارى ﴿ **وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٨]. عليهم أماراتُ الشقاء ، ﴿ **يُعرف المجرمون بسيماهم** ﴾ [سورة الرحمن : ٤١]. ترجُفُ بوادِرُهم[3] ﴿ **يومَ ترجُفُ الراجفةُ** ﴾ [سورة النازعات : ٦] . يتشبثون بما لا يثبت فى الأيدى : ﴿ **يومَ يفر المرءُ / من أخيه وأمه وأبيه** ﴾ [سورة عبس : ٣٤ ، ٣٥] . آثارهم إلى الحساب ﴿ **ونكتب ما قدَّموا وآثارهم** ﴾ [سورة يس : ١٢] . أتراهم لم يسمعوا وعيدَ ﴿ **إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين** ﴾ [سورة الدخان : ٤٠]؟!

١٨/ب

---

(١) أى : فرحان . القاموس « ج ذ ل » .

(٢) أردان جمع رُدن : وهو أصل الكم . كذا فى القاموس « ر د ن » .
أو هو الغزل أو الخز . والله أعلم .

(٣) جمع بادرة : وهى من الإنسان اللحمتان فوق الرُّغثاوين وأسفل الثندوة . القاموس « ب د ر » .

المتقون فى الرَّوح ، وهم ﴿ **فى سموم وحميم** ﴾ [سورة الواقعة : ٤٢] . يُعاينون مساكنهم قبل الدخول ، ويكفى فى التعذيب ﴿ **ادخلوا أبواب جهنم** ﴾ [سورة النحل : ٢٩] واأسفًا لمن كان فى ظهر أبيه آدم فى الجنة ، كيف يدخل ﴿**ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ [سورة التحريم : ٦] ؟! واحسرةَ من سجد له بالأمس جبريل وميكائيل ، كيف تتولاه ﴿ **ملائكة غلاظ شداد** ﴾ [سورة التحريم: ٦] ؟! غُلَّت الأكف جزاء امتدادها إلى الحرام ، فذهب مِجَنُّ الاتقاء ﴿ **وتغشى وجوههم النار** ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٠] .

إذا اشتد جوعهم ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع** ﴾ [سورة الغاشية : ٦] إذا قوِى عطشهم ﴿ **سُقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم** ﴾ [سورة محمد : ١٥] . فلو اطلعت عليهم والحميم والزمهرير قد وقَرَا ﴿ **وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد** ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٩] ، العُرى خير من كسوتهم ؛ ﴿ **سرابيلهم من قطران** ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٠] ليتهم تمّ لهم وصف ﴿ **لا تبقى ولا تذر** ﴾ [سورة المدثر : ٢٨] إنها الطامة ﴿ **بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾ [سورة النساء : ٥٦].

يا أهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على العُقوبة ؟! ﴿ **كلا إنها لظى** ﴾ [سورة المعارج : ١٥] . إذا شاهدت من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين ﴿ **تكاد تميّز من الغيظ** ﴾ [سورة الملك : ٨] . إنها لقاصدة نحو العاصى ، فإن أراد أن تنزوى عنه فليتب ﴿ **من قبل أن يتماسَّا** ﴾ [سورة المجادلة : ٣ ، ٤ مكررة] .

قال أبو المثنى الأملوكى : إن فى النار أقوامًا يُربطونَ بنواعِير[(١)] من نار ، تدورُ بهم تلك النواعيرُ وما لهم فيها راحة ولا فترةٌ .

١٩/أ قال يعلى بن مُنبه :/ يُنشئ الله - عز وجل - سحابة لأهل النار مظلمةً ، فيُقالُ : يا أهل النار ، ما تريدون ؟ فيذكرون سحاب الدنيا ، فيقولون : نسأل بارد الشراب ، فتمطرهم أغلالاً تزيد فى أغلالهم ، وسلاسل تزيد فى سلاسلهم،

---

(١) جمع ناعورة : وهى دولاب ذو دلاء أو نحوها ، يدور بدفع الماء أو جر الماشية فيخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل . المعجم الوجيز (ص ٦٢٤) .

وجمرًا يُلهب النارَ عليهم .

قال الخُشنى : فما فى جهنم وادٍ ، ولا غلٌ ، ولا قيدٌ ، ولا سِلسِلةٌ ، إلا واسمُ صاحبه مكتوب عليه .

قال أبو عمران الجونى : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، أمر الله تعالى بكل جبار عنيد ، وبكل شيطان مريد ، وبكل من كان يخاف الناسُ من شره فى الدنيا، فأوثقوا فى الحديد ، ثم يأمرُ بهم إلى النار ، ثم انطبقت عليهم ، فلا واللهِ لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا ، ولا والله لا ينظرون إلى أديم سماءٍ أبدًا ، ولا والله ما تلتقى جفون أعينهم على غمض أبدًا ، ولا والله ﴿ **لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا** ﴾ [سورة النبأ : ٢٤] أبدًا ، ثم يقال لأهل الجنة : فتحوا الأبواب ولا تخافوا ، و﴿ **كلوا واشربوا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] .

يا هذا بادر الزمن قبل الزمن[١] ، واغتنم الصحة قبل السِّقَم ، فكأن قد جاء المرتقَب .

تَمتَّع من شميم عَرار[٢] نجدٍ فما بعد العشية من عَرَار

يا من على ظهره أحمال من الأعمال القباح ، بينك وبين العَفو أن تضع الوِزر عن الأزر[٣] بكفٍّ الندم . الشباب قد تولى والضَّعفُ قد تولّى ، ومِعولُ الكبَر يُعَرقبُ حيطان دار الأجل ، وحسبُك داءً أن تصحَّ وتسلما . / يا هذا قف على ثنية الوداع ؛ تأدبًا قبل رحيل السُّكان .

١٩/ب

يا منزلاً لم تبل أطلالُهُ حاشا لأطلالك أن تَبلَى

والعيش أولى ما بكاه الفتى لابّد للمحزون أن يَسلى

لم أبك أطلالك لكنَّنى بكيت عيشًا فيك إذ ولَّى

كيف يفرح بالدنيا من يومهُ يهدِمُ شهره ، وشهره يهدم سنته ، وسنته تهدم

---

(١) الزَّمِن : المرض الدائم زمانًا طويلاً ، والضعف بكبر سِن أو مطاولة علة . المعجم الوجيز (ص ٢٩٢) .

(٢) العَرار : نبات طيب الرائحة . المعجم الوجيز (ص ٤١٢) .

(٣) الأزْر : الظهر . القاموس « أ ز ر » .

عُمرهُ ؟! كيف يُسَرُّ من يقوده عُمره إلى أجَلِه ، وحياته إلى موته .

جلس يونس بن عبيد مع أصحاب له يتحدثون ، ثم نظر فى وجوههم وقال : لقد ذهب من أجلى وأجَلكم ساعةٌ .

إخوانى : إن أشد من سكرة الموت حسرةُ الفوت ، قعرُ جهنم بعيد ، وهمتُك أسفل منه ، أحديد قلبك أم جلمود[1] ؟! ما هذا التوقف ؟! وكم ذا الجمود ؟! أما يؤثر عندك ذكر اليوم الموعود ؟! ألا قطرة بين هذه الرقود ، ﴿ **وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود** ﴾ [سورة الكهف : ١٨] تأهب للمقلب ؛ فلست بمقيم ، وتهيأ للرحيل ؛ فالمقعد مقيم .

تزود قريبًا من فعالك إنما ... قَرين الفتى فى القبرِ ما كان يفعلُ

فلن يصحبَ الإنسانَ من بعد موته ... إلى قبره إلا الذى كان يعملُ

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

إذا رأيت التائبين يُقبِلون ويُقبَلون ، ويَقتُلون ويُقتَلون ، ولست كذلك ، فابكِ على نفسك . / ٢٠/أ

ما أصنع هكذا جرى المقدور ... الجَبر لغيرى وأنا المكسورُ

مأسورُ هوىً متيمٌ مهجور ... هل يمكن أن يغير المسطور

القِشرُ نصيبى ولغيرى اللُّبُّ ... فالعين دمًا لأجلِ ذا تنصبُّ

ما أصنع قد حِرتُ وأمرى صعبُ ... العمرُ مضى فضاع منى القلبُ

كان فضالة بن صيفى كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكى ، فقال لزوجته : ما يُبكيه ؟ فقالت : زعم أنه يريد سفرًا بعيدًا وما له زاد .

قيل لبعض العباد : كم تبكى ؟ فقال : إذا لم أبك فما أصنع .

بلانى الحبُّ فيك بما بلانى ... فشأنى أن تفيض غروبُ شانى

أبيتُ الليل مرتقبًا أناجى ... بصدق الوجد كاذبةَ الأمَانى

---

(١) الجلمود : الصخر . القاموس « ج ل م د » .

فتشهد لى على الأرق الثّريا ويعلم ما أحنَّ الفرقدان[1]
فيا ولعَ العواذل خل عنى ويا كفَّ الغرام خذى عِنانى

كانت عبادة من أحسن النساء عينين ، فدامت على البكاء ، فقيل لها : نخاف على عينيك . فقالت : إن يكن لى عند الله - عز وجل - خير فسيبدلنى بهما خيراً منهما ، وإن كانت الأخرى فليستا بأعزّ علىّ من بدنى .

إن هان سفح دمى بالبين عندهمُ فواجبٌ أن يَهُون الدمع إن سَفحا
هل يبلغنّهمُ النفسُ[2] التى تلفت فيهم شعاعًا أو القلب الذى قرحا

بكى عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - حتى بكى الدم ، فقيل له : على ماذا بكيت الدم ؟ فقال : خوفًا على الدمع أن يكون ما صحّ لى / ٢٠/ب

يا من لفؤاد رامقٍ ما يصحو قد طال لعُظم ما عناه الشرحُ
والعين لها دم ودمعٌ سَحُّ ذا يكتب شجوه وهذا يمحُو
كادت حُرقى تُذيبُ باقى رمَقى تستأصل منه قدر ما منه بَقى
أردى بقواى حملُ ما لم أُطِق وا قلقى من الهوى وا قلقى
قد كنت مع الدنو أُخفى وجدى لا يعلمُ غيرُ خالقى مَا عندى
حتى هطلت سُحب دواعى البعد ويلى فيمَن على الهوى استُعدِى

الفصل الحادى عَشر

يا صبيان التوبة ﴿ اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ [سورة فاطر : ٣] . اشكروا من نجاكم من التلف ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] . يا معاهدينا على الإنابة ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ [سورة المائدة : ١] . يا مؤتمنين على حدود التكليف ﴿ لا تخونوا الله والرسول ﴾ [سورة الأنفال : ٢٧].

---

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، ثابت الموقع تقريبًا ، ولذا يهتدى به ، وهو المسمى : « النجم القطبى » ، ويقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه ، وهما فرقدان . المعجم الوجيز (ص ٤٦٩) .

(٢) فى حاشية الأصل : « معناه : خير النفس » .

تذكروا عظمة من عاهدتم ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ [سورة النحل : ٩١] . أحكِموا عرى العزائم ثم أبرموا حبالها ﴿ **ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها** ﴾ [سورة النحل : ٩٢] . لا تبيعوا عز الوفاء بذُلِّ ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلاً** ﴾ [سورة النحل : ٩٥] .

بُتُّوا طلاق الشهوات ؛ لتفرغ القلوب من نفقة العدَّة ، يكفى فى عيب العاجلة : ﴿ **ما عندكم ينفد** ﴾ [سورة النحل : ٩٦] لا تأسَفُوا على ما رفضتم من الدنيا ﴿ **إن يعلم الله فى قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم** ﴾ [سورة الأنفال : ٧٠] . إن قوى الظمأ إلى شراب المشتبهات فـ ﴿ **اصبروا وصابروا** ﴾ [سورة آل عمران : ٢٠] إن بارزتكم فئة الطبع[١] محاربةً لكم ﴿ **فاثبتوا** ﴾ [سورة الأنفال : ٤٥] ./ فإن حمى الوطيس ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٢] . ٢١/أ

لا تنظروا إلى كثرة عدد العدو ؛ ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٣ ، سورة الأنفال : ٤٦] . إن أحسستم بضعف العزائم فشجعوها ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون** ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٩] . اشكروا من ألهمكم سَقى غُرُوس الإيمان من ماء المجاهدة ، حتى ذقتم من الثمرة حلاوة الرضا بقليل الدنيا ﴿ **ءَأنتم أنشأتمُ شجرتها** ﴾ [سورة الواقعة : ٧٢] .

أنِفت من الدنيا ، فما طلبت يدى ، ولا طمِعت نفسى ، ولا وخَدَت[٢] إبلى ، ومن كان فى بُرد القناعة رافلاً[٣] أصاب الغِنى فى الفقر والخِصبَ فى المحل[٤] .

يا صبيان التوبة ، زورُوا المقابر ، وجالسوا الفكر ، وجانبوا رفقاء اللهو ، فإن قال لكم بعضكم : أقنعتم من الدنيا بخرقة ، ومن اللعب بحُرقة ؟ فقولوا له : هذا هو العيش لو صفا ذوقك .

---

(١) فى حاشية الأصل : « الطَمَع » وفوقها حرف « خ » يعنى أنها فى نسخة .

(٢) أى : ولا أسرعت . القاموس « و خ د » .

(٣) أى : أطاله وأرسله وأرخاه . المعجم الوجيز (ص ٢٧٢) .

(٤) المَحل : الجدب وانقطاع المطر . القاموس « م ح ل » .

الذى أنت له مُستقبحُ ما على استحسانه عندى مزيدُ
فإذا نحن تباينا كذا فاستماع العَذل شيء لا يُفيدُ

إن قال لك رفقاؤك : امش معنا ساعة . فقل : أقعدنى الخوفُ .

يا نداماى صحا القلبُ صحا فاطردوا عنِّي الصبي والمرحا
شمروا بُردىَّ للنسك ولا تعجبوا لى من فساد صَلَحا[1]
وَارحموا صبًا إذا غُنِّى بكم شربَ الدمع وعاف القدحا
وارحموا من قد بقى من حبكم لا تراه العين إلا شبحا
زجر العلمُ فؤادًا فارعَوَى ولحا الدهرُ امرأً فيمن لحا /

٢١/ب

إن تحركت نفوسكم إلى بعض أغراضها التى اعتادت فقولوا : انقضى زمان الرضاع ، ولابد من الصبر على الفطام . إياكم وموافقة النفس ؛ فهى مؤنثة ، وطاعة النساء ندامة : « **وما يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** »[2] . على أنه لابد من الرفق بالضلع الأعوج ، فلا تجعجع أيها الراجز ؛ فإن سوقك بالقوارير ، إذا لم تلطُف بالناقة لم تصل إلى منى .

حملتَ يوم[3] البين جلدًا والمطايا بواز[4] لها بما حَملت طَلُوحُ[5]
فهل لك غير هذا القلب قلبٌ وهل لك غير هذا الروح روحُ

يا صبيان التوبة ، سلوا الثبات ﴿ **ادعوا ربكم تضرعًا وخُفية** ﴾ [سورة الأعراف : ٥٥] قد أقدمتم على الزهد إقدام الشجاع، فاحذروا هتكة الهزيمة. قد سمعت أن

---

(١) فى حاشية الأصل : « صوابه : ولا تعجبوا لى من فسادٍ صَلَحا » . وهو كما ترى نفس الكلام المثبت فى الأصل .

(٢) أخرجه البخارى (٦/ ١٠) ح (٤٤٢٥ - فتح) ، (٩/ ٧٠) ح (٧٠٩٩ - فتح) عن أبى بكرة مرفوعًا .
ولفظه : « لن يفلح قوم . . . » .

(٣) فوقها فى الأصل ضبة تصحيح هكذا : « صـ » ، وليس فى مصورة الأصل شيء فى الحاشية .

(٤) هو داء يأخذ فى أعناق الإبل والناس . القاموس « ب و ز » .

(٥) أى : هزيلة . القاموس « ط ل ح » .

بعض سُعاة التوبة قد رُدَّ وقت الضحى ، سيرغن[١] يندم قبل الغروب إذا خرج الناس للتلف، ويحكم الالتفات إلى المتروك خِسَّةُ هِمَّة، التقاط المنبوذ غاية الذُّل .

يا صبيان التوبة ، إن علمتم أن ذئب الهوى قد اقتطع شاة من غنمكم، ففكُّوها من يده، فأنتم عصبة. إن أسر أحدكم فى حرب فأجمعوا له حتى تفدوه. إن وقع بين الصفين جريح فجروه إلى خِيَمكم. إن أسرت جُنودُ لهوٍ فأسَرت بعض إخوانكم فسجنته فى مطمورة لعبٍ ، فصيحوا فى جمعكم : يا خيل الله اركبى ، واهجموا على قسطنطِنية الملاهى[٢]، فخلصوا المسلم من أيدى/ الروم. لا تبرحوا من الباب ولو طُردتم، ولا تُزايلوا[٣] الجناب ولو أُبعِدتم. إن ضيق الورَع عليكم رزقًا فستوسعه القناعة ، ولا يشغلنَّكم ذكر ما مضى من الذنوب عن النظر إلى تعبدكم ، وأكثروا صحبة البكَّاء ؛ فإنه شفيع مشفع ، إذا صفت خلوات الدجى لتائب فى مسامرة الفكر ، أعادَ عليه حديث الزلل ، فنهضت النفس تتضرع ، وقام القلب يسأل .

٢٢/أ

أيا سيدى ما غفوتى بغريبة إليك ولا غفرانها بطريف[٤]

فإن تقبل العذر الضعيف تطولاً فإن رجائى فيك غير ضعيف

كان بعض السلف - رضى الله عنهم - يقعد فى محرابه طول الليل مطرق الرأس ، ويمدُّ يدًا واحدة كالمستعطى .

وكان آخر يقول: إلهى كلما رأيتُنى بعيدًا عنك ، بكيت على سوء حظى منك.

وكان آخر يقول : بعزتك وذُلى ، وغناك وفقرى ، اعف عنى .

يا مقتدرين أسعِفُوا مفتقراً قد بات حزينًا وغَدَا منكسراَ

بروا دنفًا[٥] لجسمه الوجد برَاَ إن كان جنى فقد أتى معتذِراَ

يا سيدى وسَنَدِى وعُدَدِى قد أوهن بُعُدكم مَرِير الجلد

كبدى من الأسى وأكبدى من ينقذنى قتلتُ روحى بيدى

---

(١) غير واضحة فى مصورة الأصل ، ولعل الصواب ما أثبته .

والمعنى : سيصغى إلى القول . القاموس « رغ ن » .

(٢) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل الهوى . (٣) فى الأصل : « ولا يزايلوا » .

(٤) فى الأصل : « بغريب » وفوقها : « بطريف » وفوق الأخيرة : « صح » .

(٥) أى : مرضًا ملازمًا . القاموس « د ن ف » .

الفصل الثانى عشر

٢٢/ب إذا رأيت نفسك قليلة التشوق إلى حضور المجلس ، فاحتَل عليها / بحيلة الفرجة فيما يجرى ، وقل : « **ليس الخبر كالمعاينة** »[١] لعلها إذا حضرت تأنسُ بأهل الدين ؛ « **فالخير عادة** »[٢] ، فإذا جلست فانو طلب النفع ؛ « **فالأعمال بالنيات** »[٣] . فإذا رأيت التائبين قد نهضوا فلا تُعَيرهم بما يجرى عليهم ؛ « **فالبلاء موكل بالمنطق** »[٤] . فإذا صح عندك حسن قصدهم فقل للنفس : الموافقة شرط . فإن قالت : ما أجد ما يجدون . فقل : « **إن لم تبكوا فتباكوا** »[٥] . فإن قالت : لا أطيق مَا يطيقون . فقل : « **الناس كأسنان المشط** »[٦] . فإن قالت : هؤلاء غزاة وأنا أضن بدمى[٧] . فقل: « **المؤمنون تتكافأ دماؤهم** »[٨] فإن اختلطت بالجملة منعها العار من الهزيمة، فكنتَ من المجاهدين، هذه الحيلة « **والحربُ خدعةٌ**»[٩] .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١ / ٢١٥ ، ٢٧١) ، والطبرانى فى الأوسط ح (٢٥)، وأحمد بن منيع ح (٦٧٦٧ - إتحاف الخيرة المهرة)، وابن حبان فى صحيحه ح(٢٠٨٧، ٢٠٨٨ - موارد) عن ابن عباس مرفوعًا. وأشار الحافظ السيوطى إلى تصحيحه فى الجامع الصغير (ص ١٤٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجه ح (٢٢١) ، وابن حبان فى صحيحه ح (٨٢ - موارد) عن معاوية بن أبى سفيان مرفوعًا . وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (ص ١٣) .

(٣) أخرجه البخارى ح (١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣ - فتح) (١ / ٢ ، ٢١ ، ٣/ ١٩٠ - ١٩١ ، ٥ / ٧٢ ، ٧ / ٤ ، ٨ / ١٧٥ ، ٩ / ٢٩) ، ومسلم ح (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا .

(٤) أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب ح (٢٢٧) (١ / ١٦١ - ط . مؤسسة الرسالة) عن حذيفة مرفوعًا ، ح (٢٢٨) (١ / ١٦٢) عن على مرفوعًا ، وهو عند الخرائطى عن ابن مسعود مرفوعًا ، كذا عزاه إليه السيوطى فى الجامع الصغير (ص ١٣١) وأشار إلى تضعيفه .

(٥) أخرجه ابن ماجه ح (١٣٣٧) عن سعد بن أبى وقاص مرفوعًا ، وفى الزوائد : فى إسناده أبو رافع ، اسمه إسماعيل بن رافع ، ضعيف متروك . وأخرجه كذلك ح (٤١٩٦) .

(٦) أخرجه القضاعى فى مسنده ح (١٩٥) (١ / ١٤٥) عن أنس مرفوعًا .

(٧) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : «بنفسى»، وكلمة « أضن » رسمت بالظاء .

(٨) أخرجه أبو داود ح (٤٥٣٠) ، والنسائى فى الكبرى ح (٨٦٨١) (٢٠٨/٥ ط. دار الكتب العلمية) ، وفى الصغرى (٨ / ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤) ، وأحمد فى المسند (١ / ١١٩) ، وعبد الله بن أحمد (١ / ١٢٢ - المسند) عن علىٍّ مرفوعًا .

(٩) أخرجه البخارى (٤ / ٧٧ - ٧٨) ح(٣٠٣٠ - فتح)، ومسلم ح(١٧٣٩) عن جابر مرفوعًا . وأخرجه البخارى (٤ / ٧٧) ح (٣٠٢٨ ، ٣٠٢٩ - فتح) ، ومسلم ح (١٧٤٠) عن أبى هريرة مرفوعًا .

عسى مُعرضٌ وجهه يُقبل ... فيوهبُ للأخرى مولٌ
صَفت جَمَّةُ الماء بعد الأجون ... وقرَّ وكان بنا المنزل

إذا حل عز الإنابة فى القلب ، حل عُقد[1] بنية الهوى .

إذا همَّ ألقى بين عَينيه عزمهُ ... ونكَّب عن ذكر الجوانب جافيا
ولم يستشر فى أمره غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

من رق لبكاء الطفل لم يقدر على فطامه ، من حج هواه حج كعبة مناه ، من استسقى غيث العفو فليحول رداء الذنب ، من استطال الطريق ضعُفَ سعيه .

وما أنا بالمشتاق إن قلت بيننا ... طِوالُ الليالى أو طِوال السباسِب[2] / ٢٣/أ
وما لقلوب العاشقين مزيَّةٌ إذا ... نظرت أفكارها فى العواقب

إذا ركبت الجادة لقطع السفر ﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾ [سورة هود : ١١٢] .
ما يقعدُك عن الجهاد وقد اقتسم الرعيلُ الأولُ النَّفل ، أما ترى أسلاب الهوى كيف يبيعُها أربَابُها فى سوق الافتخار بالنصر ؟!

أحلى الموت عند الشجاع ما كان بين الصَّفين ، وأما الجبان فإنه يموت حتف أنفه، مرادُ المجاهدة حربُ الأنداد ، ولذلك مُنِع من قتل النساء والصبيان ، فأى قدر للدنيا حتى تَشغَل قلبك بها ، أما علمت أن شهواتها جيفٌ مُلقاةٌ ، أفيحسن باشق[3] الملك أن يطير عن كفِّه ليقع على جيفةٍ ، كلا يا باشق الجد ﴿ **لا تمُدَّنَّ عينيك** ﴾ [سورة الحجر : ٨٨ ، سورة طه : ١٣١] .

وعلى الغضى إن كنت من جيرانه ... نار تقسَّمَ حرَّها العُشاق
ومشتَّتُ العزَمات يُنفقُ عمره ... حَيَران لا ظَفَرٌ ولا إخفاقُ

ما زلت أعالجُ مِسمارَ الهوى فى قلب العاصى ، أميل به تارةً إلى جانب التخويف ، وتارة إلى جانب التشويق ، فلمَّا اتسع عليه المجال جذبته . قلبٌ

(١) عقبها كلمة غير واضحة فى الأصل ، ولعلها : « الإجابة » .
(٢) جمع سبسب : وهى المفازة . المعجم الوجيز (ص ٣٠١) .
(٣) الباشق : نوع من جنس البازى ، من فصيلة العُقاب النسرية ، وهو من الجوارح يشبه الصقر ، ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير بادى النقوس . المعجم الوجيز (ص ٥٢) .

خلتُه صورةً من جصّ[1] فجلوت عليه يوسفَ الحسن ، فقطع يده أسفًا على فائت العمر ، فأنا كنت السبب فى كشف سِتر ذلك السِّر ﴿ **أنا راودته عن نفسه** ﴾ [سورة يوسف : ٥١] . هوى لتمزيق الفؤاد ، فلم يجد فى صدره قلبًا ، فشق ثيابه ، أنفت لصبى اللعب من بيع جوهر العُمُر بصدف اللهو ، فشددت / عليه فى الحَجر ﴿ **ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ [سورة يوسف : ٥٢] . يا هذا قد غلبتك نفسك إلى النوم ، فانهض لحربها اليوم .

٢٣/ب

حرم عليها تُرَّهات[2] الوَادى ... وولِّها جوانبَ البلاد

واسبق بها الى العُلا شوط الصِّبا ... لعلها تُعَدُّ فى الجياد

قد شمتَ النقصان بالفضل وقد ... تسلَّط العجز على السَّداد

يا أوساخ الذنوب ، يا أدران العيوب ، ﴿ **هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ [سورة ص : ٤٢] .

كلكم تسمعون ما أقول ، ولكن فرق ما بين سماع وسماع .

كل النسوة رأين يوسف صلى الله عليه ، ولكن زليخا واَحدة تزافر[3] .

صحبى يوم ذى الأثل زفرة ... تذوب قلوبُ من لظاها وأضلعُ

فدمع على بالى الديار مُفرّقٌ ... وقلبٌ على أهل الديار مُوزَّع

وأيقظت للبرق اليمانى صاحبًا ... بذات النقى يخفى مرارًا ويلمع

هل أنت مُعينى فى الغليل بزفرةٍ ... فنبكى على تلك الديار ونجزع

معاذ الهوى لو كانت مثلىَ فى الهوى ... إذًا لرعاك الشوق من حيث تسمع

هناك الكَرى إنى من الوجد ساهرٌ ... وبُرءُ الحشى إنى من البين مُوجعُ

يا معاشر التائبين ، تشبهوا بالعابدين ، أول منزل يلقاكم بعد التوبة السَّهَرُ ، فلا تلتفتوا إلى تأثير النصَب ، فبعينى ما يتحمل المحتملون من[4] أجلى . إذا طلع

---

(١) الجِص : ما تطلى به البيوت من الجير . المعجم الوجيز (ص ١٠٧) .

(٢) جمع تُرهة : وهى الباطل والقول الخالى من نفع . المعجم الوجيز (ص ٧٥) .

(٣) أى : تتشجع . القاموس « ز ف ر » .

(٤) فوقها فى الأصل : « صح » .

فجرُ الأجر حَمِدتم طول السرَى، إن ونت[1] ركائبكم فأقيموا حُدَاة العزائم تُدلج .

البين بأيدى المهارَى البينا لا يتشكَّى شوطك[2] البطينا[3] / ٢٤/أ

يا حاديَيها من نُمير عامر خُذا بها عن حاجرٍ[4] يمينا

حِلاً على وادى الغضى نُسوعَها وأرخيا برامةَ الوضينا [5]

رِدا بها ماءَ العُذيب عَلَّهُ يشفى ويطفى داءها الدفينا

واستخبرا بالجِزع أنفاس الصَّبا أين استقل الجيرة الغادُونا

لى عندهم دين فكيف أخذوا قلبى بدينٍ عندهم رَهِينا

يا من رأى البرق بأعلام اللِّوى يُثير لى بومضه الشجونا

لاح فحنَّ كل قلب وشكا حتى المطيِّ ترجعُ الحَنينا

آه من البرقِ الحجازىّ فقد أجدَّ لى من الهَوَى جنونا

الفصل الثالث عشر

يا عاكفين على مزابل الهوى ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾ [سورة يونس : ٢٥] . نجائبُ[6] السبيل قد أقيمت على السُبُل ، تحمل المنقطعين بلا أجر ، فتقاعدون ولا عُذر ﴿ **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠]. مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النار ، وقلتم : ﴿ **يا ليتنا نرد ولا نكذب** ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧] . فلما لم تجابوا صِحتم : ﴿ **يا حسرتنا على ما فرطنا فيها** ﴾ [سورة الأنعام : ٣١] . لو قوِى الإيمانُ لم يضعُف العمل : ﴿ **لو تعلمون علم**

---

(١) أى : فترت وضعفت . المعجم الوجيز (ص ٦٨٢) .

(٢) تشوَّط الفرسَ : طرده إلى أن أعيا . القاموس « ش و ط » .

(٣) أى : البعيد . القاموس « ب ط ن » .

(٤) الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض . القاموس « ح ج ر » .

(٥) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، أو لا يكون إلا من جلد . القاموس « و ض ن » .

(٦) جمع نجيب : يقال : ناقة نجيب ونجيبة : وهى الفاضلة على مثلها فى نوعها . المعجم الوجيز (ص ٦٠٢) ، والقاموس « ن ج ب » .

اليقين ﴾ [سورة التكاثر : ٥] ما صَرفتم هممكم فى طلب دنياكم ، وأعرضتم بالكلية عن أخراكم ، فكيف بكم ﴿ **إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم** ﴾ [سورة الأنعام : ٤٦] ؟! تحضرون المجلس فرجة ، وتجعلون رجاء النفع حجةً ، ولا تسلكون إلى العمل محجّةً ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ [سورة يوسف: ٥٣] . فعندى زفيرُ ما ترقى إلى الحشى ، وعندى دموع ما بلغن المآقيا/ ٢٤/ب

ألا ليت شعرى هل أرى غير موجَع — وهل ألقين قلبًا من الوجد خاليا

يُحركنى من مات لى بسكونه — وتجديد دهرى أن أرى الدهرَ باليـًا

وأبعدُ شيء منك ما فات عصره — وأقربُ شيء منك ما كان جائيـًا

وما كل من أومى إلى العز ناله — ودون العُلا ضرب يُدمى النواصِيا

يا قاعدًا عن الإنابة ، يا معرضًا عن الإجابة ، انهض إلى صلاحك قبل قص جناحك .

أيها الراقدُ عن نُهزته[1] — ما يَروعُ السيف حتى يُشهرا

قد زجرناك فشمر جاهدًا — إنما يدركها من شَمرا

وأَبِى المجدِ لقد فاز به — سالكًا فيه السبيلَ الأوعرا

تهيّأ لسماع الموعظة بحضور قلب ينفعك ما تسمع ، متى حضر البدن وغاب القلبُ ، ولم يُنصت سَمعُ السر ، تكرَّم [2] الحديث وَضَاع ، إذا فاض ماء النهر ، ولم تحفر ساقية إلى زرعك ، لم يصل الماءُ إلى البستان .

أيها الناكب[3] عن نهج الهدى — وهو بادٍ واضح للسالكين

الُه عن ذكر التصابى إنه — سرف بعد بُلوغ الأربعين

واجعل التقوى معاذًا تحتمى بحماه — إنه حصنٌ حصين

يا نائمًا طول الليل ، إذا أصبحت فزر أهل السهر ، واسألهم عما جرى فى

---

(١) أى : فرصته . المعجم الوجيز (ص ٦٣٧) .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، ولعل الصواب ما أثبتُّه ، والمعنى : « تنزَّه » .

(٣) فى حاشية الأصل : « نكب الرجل : إذا فجع » .

السحَر ، فإذا أملوا بعض ما كان فاكتبه بمداد الدمع .

عارضا بى ركب الحجاز أسائله ... متى عهده بأيَّام سلع/ ١/٢٥أ

واستملاًّ حديث من سكن الخيف ... ولا تكتُباه إلا بدَمعى

فاتنى أن أرى الديار بعينى ... فلعلى أرى الديارَ بسَمعى

كان عمرو بن عتبة يخرج على فرسه ليلاً ، فيقف على أهل القبور فيقول : يا أهل القبور ، قد طويت الصُحف ورُفِعَت الأقلام ، ثم يبكى ويصف قدميه حتى يصبح ، ثم يرجع فيشهد صلاة الصبح .

دع الوجدَ يبلغ ما أراد فما الهوى ... بدان ولا عهد الديار معادا[1]

غداة وقفنا والدموعُ مُرشَّةٌ ... كأن عيون الوامقين[2] مَزادَا[3]

أبى طول هَمٍّ أن يكون مضاجعًا ... وغُزرُ دموع أن يكون دقادا[4]

يا ديار الأحباب أين السكان؟! يا منازل الصادقين أين القطَّان؟! يا أطلال السقوف أين البُنيان؟!

علىّ لربع العامريَّة وقفةٌ ... يُمِل عليها الشوق والدمع كاتبُ

ومن مذهبى حبُّ الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

يا سوق الأكل أين استتمام الصيام ؟! يا فرش النوم أين حُراس الظلام ؟! درست والله المعالم ووقعت الخيام ، قف بنا على الأطلال نَخُصَّها بالسلام .

أين سكانك لا أين هم ... أحجَازًا سلكوها أم شئاما

قد وقفنا بعدهم فى ربعهم ... فنقضناه استلامًا والتزامَا

وبجرعاء الحمَى قلبى فعُج ... بالحِمى وأقر على قلبى السَّلامَا/ ٢٥/ب

وترحَّل فتحدَّث عجبًا أن قلبًا ... سار عن جسم أقامَا

---

(١) فى حاشية الأصل : « معادُ » وفوقها « خ » أى : فى نسخة .

(٢) أى : المحبين . القاموس « و م ق » .

(٣) فى حاشية الأصل : « مزادُ » وفوقها « خ » أى : فى نسخة .

(٤) فى حاشية الأصل : « رقادُ » وفوقها « خ » أى : فى نسخة .

ما لبقاع الصالحين خلت منهم وأقفرت ، ما لوجوه التعبد التى تبرقعت بهم قد أسفرت ، أين الجباه التى طال فى الدُّجى ما عُفِّرت؟!

كفى حزنًا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى مُعَطَّلَةً قفرًا ، من وقف على قبر بشر[1] ومعروف[2] - رضى الله عنهما - تذكر ما كانا فيه من معروف ، من تصور حالهما أثر فى صورته ، من تذكَّر أعمالهما بكى على غفلته .

وقفت وصحبى باللِّوى نأَمَلهم ... وقوفى به حتى وقفت ولا صَحبُ

أذاكرُه أيام أُنسِى بأهله ... فيشكو كما أشكو ويصبو كما أصبو

ولم أحسب الأطلال يُخضعها الهوى ... ولا أن جسم « الربع همه الحبو »[3]

تحدَّث بما أبصرت يا بارق الحِمى ... فإنك راوٍ لا يظن بك الكذب

وقفت على بعض قبور الصالحين فقلت : يا فلان بماذا نلت تردد الأقدام إليك؟ فقال لى : أقدمت على ترك الهوى بلا تردد ، فترددت لى الأقدام . كان عطرُ إخلاصى خالصًا ، فعبق نشرهُ بالأرواح فاستنشقه المريدون .

جرت مع الرسم لى محاورةٌ ... فهمتُ منها ما قاله الرسمُ

يُذكرُنى قوله زمانًا[4] على ... الخيف تقضَّى كأنهُ حلمُ

هل لك بالنازلين أرض منى ... يا عَلَمَ الشوق بَعدَنا عِلمُ/ ٢٦/أ

---

(١) هو بشر بن الحارث الحافى ، أصله من « مرو » ، وسكن بغداد ، ومات بها ، وكان سبب توبته : أنه أصاب فى الطريق ورقة مكتوبًا فيها اسم الله - عز وجل - قد وطئتها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية - نوع من الطيب -فطيب بها الورقة ، وجعلها فى شق حائط ، فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له : يا بشر طيبت اسمى ، لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة . مات - رحمه الله - سنة سبع وعشرين ومائتين ، وعمره سبعة وسبعين سنة . انظر : الرسالة القشيرية (ص ٥٤) .

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخى ، كان من المشايخ الكبار ، مجاب الدعوة ، وهو من موالى على ابن موسى الرضا ، مات سنة مائتين ، وقيل : سنة إحدى ومائتين ، وكان أستاذ السرى قسطى، وقد قال له يومًا : إذا كانت لك حاجة إلى الله ، فاقسم عليه بى . انظر : الرسالة القشيرية (ص ٤٩) .

(٣) لعله هكذا فى الأصل ، فهو غير واضح فيه .

(٤) فى حاشية الأصل : « زمان » وفوقها « خ » أى : فى نسخة .

أين نحن من القوم ؟! كم بين اليقظة والنوم ؟! إذا وُصِفت حالهم طربتَ ، وإذا حضرت ذكرهم غِبتَ .

ماءُ النُّقيب[١] ولو مقدار مضمضة شفاءُ وجدى وغيرُ الماء يشفينى
ونشقة من نسيم البان فاهَ بها جنحٌ من الليل تجرى فى العرانين[٢]
أشفى دموعى إذا ما بات فى سَدف صَريرَ أثل بـدار ما تُغنِّينى
هيهات نائك من نجد لقد بَعُدت عن المطى بتوانى[٣] ذلك البين

الفصل الرّابعَ عَشر

يا معاشر التائبين من الذنوب ﴿ **ثم يعودون لما نهوا عنه** ﴾ [سورة المجادلة : ٨]. أى زلزلة وقعت فى بلادكم فخربت ؟! ﴿ **كانت** ﴾ قرَى قلوبكم ﴿ **آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله** ﴾ [سورة النحل : ١١٢] . كيف نقضتم ما عقدتم ﴿ **وقد أخذ ميثاقكم** ﴾ ؟! [سورة الحديد:٨] ، ﴿ **ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى** ﴾ [سورة الحديد : ١٤] .

عودوا إلى الوصل عودوا فالهجر صعبٌ شديدُ

انتبهوا لخلاصكم ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم** ﴾ [سورة الزمر : ٥٤] ، أنتم على الإزعاج فما هذا التوطُّن؟! ﴿ **أتتركون فيما هاهنا آمنين** ﴾ [سورة الشعراء : ١٤٦] .

قال جامع بن شريك : دخلت على ابن زفر التميمى ، فجعلت أقلب بصرى فى بيته ، فقلت له : أرى بيتك بيت رجل مرتحل . فقال : أمَّا مرتحل فلا ، ولكنى أطردُ طردًا .

وقال لقمان لابنه : يا بنى ، لكل إنسان بيتان ، بيت غائبٌ وبيتٌ شاهد ، فلا

---

(١) النقيب : موضع بين تبوك ومعان . القاموس « ن ق ب » .
(٢) جمع العرنين : وهو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشَّمم . المعجم الوجيز (ص٤١٦).
(٣) فى الأصل غير منقوطة .

٢٦/ب يُلهينك بيتك الحاضر الذى فيه / عمرك القليل عن بيتك الغائب الذى فيه عُمُرك الطويل .

لا تكونوا كالأولى من قبلكم   لم يخافوا بأسنا حتى نزل

أما ترون أهل المقابر كيف أوثقهم أسر البلى عن حركة فى نجاة ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ [سورة سبأ : ٥٤] . ألا تشكرون من حبَسهم وأطلقكم ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل**﴾ [سورة الصافات : ١٣٧ - ١٣٨] .

ولقد مررت على ديارهم   وطلولها بيد البلى نهبُ

فوقفت حتى عجَّ من لغَب   نِضوى[1] وضج بعَذلى الركبُ

وتلفتت عينى فمذ خفيت   عنى الطلول تلفَّت القلبُ

يا هذا قد اشتريت الدنيا بدينك ، وبين الثمن والمثمن تفاوت عظيم ، والغبن الفاحش يوجب الرّد ، فرُدَّ المشترى ولا تتمسك به بعد اليقين بالعيب ؛ فإن الإمساك رِضى ، ويحك نسيم الدُّجى يفتح مستغلقَ الجسد ويُصحى السكران ، وخوف نسيم النهار يوجب استعاذة اللينوفر بالماء ، فلا نسيم التشويق يحركك ، ولا سَموم التخويف يزعجك .

ما يتناهى فطُوله قِصَرُ   ما يتلاشى فصفوه كدر

ما كان عقباه ترحَةً قُرنت   بحسرة فاقتناؤه غَرَر

أليس فيما رأيت معتبرُ ؟! أليس فيما سمعت مزدجر ؟! بلى ولكن قساوةٌ غلبت ، والقلب منها كأنه حجر .

٢٧/أ فى كل شيء عبرة تدل على البعض بخبر الكل ، إذا همَّت عروس / الغُروس أن تبرُز فُرش لها وجه الأرض بحلل الألوان المختلفة ، فخرجت من مَخدع الثرى فى صِيغة صِبغة صنعةٍ عجيبة ، فارتفع بكاء الدواليب[2] ، وندب شجوه

---

(١) النِّضو : المهزول من الإبل وغيرها . القاموس « ن ض و » .

(٢) جمع الدولاب : وهى الآلة التى تديرها الدابة ليسقى بها -الساقية- . المعجم الوجيز (ص ٢٣٩) .

العندليب، وناح الهزارُ [١] نوحَ سَليب [٢] ، فمخض ذو اللُّب أوطاب الخِطاب ، وقال : لا تكدر وقتنا قد طاب . فقالوا : رأينا النقص يتلو الكمال ، فنحن نُحنا على الزوال ، إذا تمّ أمرٌ دنا نقصهُ . طلب الورد أنيسًا من الأزهار لما نبت ، فأبت عن صحبته وقالت : أنت ملول ، لا تقيم على مودة ، فصاح به اليَاسمين : أنت صاحبى ، قد اشتركنا فى قِصر العُمر ، فأشر أنت إلى التائب باحمرار الخجل ، حتى أشير أنا إلى الخائف باصفرار الوجل .

يا هل لليـلات بجَمع [٣] عـودةٌ ... أم هـل إلـى وادى منـى مـن نظـرة
أبغى الشفـاء بذكـره من مُسقـمى ... عـجبًا لمـن هو عـلتى وتعِلّتى [٤]

إن التائبين كاتبوا الله بدموعهم ، وهم منتظرون الجواب ، بَقَق [٥] الدمع عنده أحسن من حُلوك [٦] المداد ، لو رأيته يلصق بطرس الخد ، فيُعَنون عن باطن الوجدِ كتابة لا نظام لحروفها ، قطع سلكُ عِقدها فاتصل سبيلها ، فأحاط المكتوب إليه علمًا بمضمونها .

هذا كتابى إليكم فيه معذرتـى ... يُنبئكُمُ اليوم عـن سُقمى وعن ألمى
أجللت ذكـركمُ عن أن يُدَنسـه ... لونُ المداد فـقـد سطرته بدمى / ٢٧/ ب
ولو قدرت على خدى لأجعلـه ... طرسى وأبرى عظامى موضع القلم
لكان ذاك قـليـلاً فى مـحبـتكم ... ومـا وجـدت له والله من ألم

ليت شعرى ماذا أوجب صفرة وجه هذا التائب ؟ ومن أى شيء سكر هذا الشاربَ ؟!

كلما زاد كربهُ فى هوى من يحـبُّه ... طار نحو الحبيب من شدة الشوق قلبهُ

---

(١) هو طائر مغرد . المعجم الوجيز (ص ٦٤٩) .
(٢) أى : المرأة التى مات ولدها . القاموس « س ل ب » .
(٣) أى : المزدلفة . القاموس « ج م ع » .
(٤) التَّعلة : ما يُشغل به . القاموس « ع ل ل » .
(٥) أىَ : شدة الدمع . القاموس « ب ق ق » .
(٦) أى : شدة سواد . القاموس « ح ل ك » .

كلفٌ كاد ينقضى بيد البين نحبه خبرونا عن العقيق متى سار رَكبه

أما تسمعون أنينه ، أما ترون حنينه ؟!

قد جَلى السلوان ما اشتبها وصحا السكران وانتبها

ونفى عنه غوايته وارعوى من غفلةٍ ونهى

ما باح حتى ناح ، ولولا قوة ضربه ما صاح .

بكى النوى[1] أمسِ فلم يدّخِر دمعًا يفيض اليوم فى التسريم[2]

خان بكاء الدمع أجفانه فناح والنوحُ بكاء الغريم

لاح له فى ظلام ظلمته نور أراه أنه على غير الجادة ، ثم سنح له سنا برق رجاءٍ لاحت به أرجاءُ الحِمَى ، فعرَّج به الشوق إلى السبيل .

رأى على الغور وميضًا فاشتاق ما أجلبَ البرق لماءِ الآماق

ما للوميض والفؤادِ الخفّاق قد ذاق من بين الخليط ما ذاق

داءٌ عُرامٌ[3] ما له من إفراق قد كَلَّ آسيه وقد ملَّ الرَّاق

٢٨/أ أحبّهم على الصبا والإبراق حُبَّ الضَّنين[4] المال بعد الإملاق[5]/

يا ناق اداَّك المودى[6] يا ناق ماذا المقام والفؤادُ قد تاق

هل حاجة المأسور إلا الإطلاق

---

(١) أى : البعد . القاموس « ن و ى » .

(٢) لعلها هكذا فى الأصل ؛ إذ هى غير واضحة فيه.
ومعناها : التقطيع . القاموس « س ر م » .

(٣) أى : شديد . المعجم الوجيز (ص ٤١٦) .

(٤) أى : الشديد البخل . المعجم الوجيز (ص ٣٨٣) .

(٥) أى : الفقر . القاموس « م ل ق » .

(٦) المودى : الأسد . القاموس « و د ى » .

الفصل الخامسَ عشر

يا من مَالَ به حبُّ المال إلى أقبح مآلٍ ، لو صح فهمك لعلمت أنه ليس لك عقد بيع ﴿ **إن الله اشترى** ﴾ [سورة التوبة : ١١١] . وبيان حكم البيع ظاهرٌ فى قوله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مُستخلفين فيه** ﴾ [سورة الحديد : ٧] . فإن قَصُرت همتك فعاملنا معاملة تاجر بخطاب : ﴿ **من ذا الذى يُقرض الله قرضًا حسنًا** ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥] . فإن نزلت عن هذا المقام فاحذر من ذم ﴿ **فلما آتاهم من فضله بخلوا به** ﴾ [سورة التوبة : ٧٦] . أو وعيد ﴿ **سيطوقون** ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٠] أو عقوبة ﴿ **يوم يحمى عليها** ﴾ [سورة التوبة : ٣٥].

يجنى الغِنَى للئام لو عَقَلوا ... ما ليس يجنى عَليهم العَدمُ
هم لأموالهم وليس لهم ... والعارُ يبقى والجرح يَلتئمُ

من تذكر الحساب مال عن جمع المال .

قال معروف الكرخى - رضى الله عنه - عند موته : تصدقوا بقميصى ؛ لأخرج من الدنيا كما دخلتها .

نفَّرها عن وردها بحاجر شوق[1] ... يعوق الماءَ فى الحناجر
وردَّها على الطّوى سَواغبًا[2] ... ذل الغريب وحَنينُ الذاكرِ

كانت الدنيا إذا قدمت إلى الصالحين قدموها إلى الآخرة ، نظروا فى ريع الزرع فبذروا حَبَّ القوت .

بعث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى أبى عبيدة - رضى الله عنه - أربعمائة ، / وقال للغلام : تلوَّ[3] فى البيت ساعة ، فانظر ماذا يصنع . فحملها إليه ففرقها ، وبعث إلى معاذ مثلها ففرَّقها . فقالت زوجة معاذ : ونحن والله مساكين فأعطنا -ولم يكن بقى فى الخرقة سوى دينارين- فدحا بهما إليها ، فرجع

٢٨/ب

(١) فى حاشية الأصل : « سوق » وفوقها : « معًا » يعنى : ما هو مثبت صحيح وما فى الحاشية صحيح كذلك .
(٢) أى : جواعًا متعبين . المعجم الوجيز (ص ٣١٢) .
(٣) أى : اتبعه . القاموس « ت ل و » .

الرسول فأخبر عمر بذلك ، فقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض .

تزاحم القوم على فعل الندى تزاحم الإبل على الأوراد

ودبَّروا المجد فسدُّوا ما ولُوا سَدَّ السيوف ثغر الأغماد

مشوا على الدارس من طُرق العلا يقتفيء الرائحُ إثر الغادى

لما حلا الرسول ﷺ عَروسَ الإسلام لم يكن بدٌّ من نِثار ، فأخرج عمرُ - رضى الله عنه - نصف ماله ، فنشر أبو بكر - رضى الله عنه - الكل ، فقام عثمان - رضى الله عنه - فى تجهيز جيش العُسرة بوليمة العرس ، فعلم على - كرم الله وجهه - حال الغيرة فبتَّ طلاق الدنيا ثلاثًا ، ثمَّ رأى بعض جهازها فى بيته - وهو خاتم - فرمى به فى الصلاة ، واعجبًا له سَلم وما سَلَّم .

كان القوم يبيعون الفانى بالباقى ، وأنتم قد عكستم ، كيف تُطلب الشجاعة من جبان ؟!

وإذا بعثت إلى السباخ برائد[1] تبغى الرياض فقد ظلمت الرائدا

هيهات ما ترد المطالب نائمًا عنها ولا تصل الكواكب قاعدا

تصلى وتصوم ولكن بلا قلب .

قِلة المعرفة تقفرُ ربع التعبد ، ويحك فتش على قلبك قبل الشروع ، فإن القيام والقعود لا يراد لذاته . / ٢٩/أ

ما لى أعلِّل قلبى بالوقوفِ على منازلٍ قد خلَت منكم وأطلال

إذا فرغ بيت قلبك من بُر[2] اليقظة ، فقدت أطفال جوارحك قوت المعاملة ، فتحين فى ظلام الليل وقت خلوة ، وقل بلسان الإفلاس والذِّلة : ﴿ **يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر** ﴾ [سورة يوسف : ٨٨] . يا نائمًا طول الليل أما تحسُّ برد السحَر ؟! أما تسمع صوت الداعى ؟! لقد نمَّ النسيمُ على الزهر ، ودلَّت أغاريد الحمام على دنو الفجر ، صاح الديك لتستيقظ فلم تنتبه ، فضرب جناحيه زيادة فى انتباهك ، ونومك ثقيل فقوَّى ذلك الضرب ؛ لطمًا على غفلتك . صفِّق إما

(١) الرائد : المرسل فى طلب الكلأ . القاموس « ر و د » .

(٢) البُر : حب القمح . المعجم الوجيز (ص ٤٥) .

ارتياحًا لسَنَى[1] الفجر ، وإما على الدجى أسفًا .

يا مطولاً بالقيام مستلذًا للتمام قم فقد فاتك يا مغبون أرباحُ الكرام

وخَلَوا دونك بالمولى وفازوا بالمرام وكذا يسبقك القومُ إلى دارِ السلام

من لم يدرك تكبيرة الإحرام ألحق بالجماعة فى التشهد ، من لم يقدر على قيام الليل كفاه أن يبكى فى النهار .

إذا فاتها روضُ الحمى وجنوبُهُ كفاها النسيم البابلى وطيبه

يلامُ على نجد ضَنينٌ بدمعه ومن فارق الأحباب جفَّت غُرُوبه

وما الناس إلا مَن فؤادى فؤاده لأهل الغضى أو مَن حبيبى حبيبه

أجد من قلق وحرقة ، إما فى زواية التعبد ، أو فى هاوية الطرد ، إما أن تحرق قلبك بنار الندم على الذنب ، والشوق إلى الحبيب ، وإلا فـ ﴿ **نار جهنم أشد حرًّا** ﴾ [سورة التوبة : ٨١] .

شجاك الفراق فما تصنع أتصبرُ للبين أم تجزع /

إذا كنت تبكى وهم جيرةٌ فكيف تكون إذا ودَّعُوا ٢٩/ ب

قال الجنيد - رضى الله عنه - : ربما جعلت نفسى كيوسف ، وقمت فى مقام يعقوب ، أحزن على ما فقدت من نفسى ، كما حزن يعقوب على فقد يوسف .

يا يوسف صِل فإننى يعقوب دمعى ودمى كلاهما مسكوبُ

والنوم إذا هجرتنى مسلوبُ ما أصبرنى كأننى أيوبُ

سَقيًا لزماننا على خيف مِنَى كم أسلفنى يدًا وكم نلت منى

من طيب سرورهم قد اعتضت عَنا يا ليت زمان وصلهم عاد لنا

كتب الأوزاعى إلى أخ : أما بعد ، فإنه قد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يُسارُ بك فى كل يوم وليلة ، فاحذر اللهَ والمقامَ بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به ، والسلام .

إخوانى : أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله - عز وجل - لم يعرف

---

(١) أى : ضوء . القاموس « س ن ى » .

الكُفارُ ربهم فنادوا يا مالك ، وذلك المسكين الذى عنده بقية من المعرفة حصل بين القوم ، فقابل حرَّ النار ببرد الذكر : « **يا حنان يا منان** »(١) ، كان موته فى المعاصى مسكنة(٢) فقُبر فى جهنم ، فلما تحرك الروح فى الباطن أخرج ولم يجعل خروجه بشفاعة مخلوق ؛ لأنه تمسك بأبلغ صفات المحبوب المذكورة فى الكرم : « يا حنان **يا منان** » .

٣٠/أ **هذا جزعى وما خلا مغناكم ... ما أصنع يوم بينكم حاشاكم /**

أقسمت بكم لكم وَحَسبى ذاكم ... لا أذكر غيركم ولا أنساكم

الفصل السَّادسَ عَشر

يا هذا استعرض نفسك قبل عَرَضك ، هل أنت من ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ [سورة الأنفال : ٢] . أم من الذين ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ [سورة السجدة : ١٦] أم من الذين ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ [سورة النور : ٣٧] ؟ أم طُبعت شقيًا ، فكلما صدمك الوعظ قيل: ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ [سورة الروم : ٣٠] ؟! ليس للمواعظ مواضع عند قوم ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٩] . مثِّل لسمعك صيحة الصُّور ﴿ **فإنما هى زجرة واحدة** ﴾ [سورة الصافات : ١٩ ، سورة النازعات : ١٣] . صوِّر لنفسك فناء الصور فى اللحُود ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٩] . تلمَّح بعين الإيمان أهل القبور ﴿ **يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر** ﴾ [سورة القمر : ٧] . ثم يحشرون إلى الحساب ﴿ **إلى ربك يومئذ**

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣ / ٢٣٠) ، وأبو يعلى فى مسنده ح (٤٢١٠) (٧ / ٢١٤ - ط. دار المأمون) عن أنس بن مالك مرفوعًا .

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٨٤) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح ، غير أبى ظلال ، وضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان . اهـ .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط ح (٤١٥٤) (٤ / ٢٦٥ - ط . دار الحرمين) عن أبى هريرة مرفوعًا .

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٦٠) : إسناده حسن . اهـ .

ولفظ حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « ينادى منادى فى النار : يا حنان يا منان » .

(٢) لم أستطع قراءتها فى الأصل ، ولعلها هكذا .

المساق ﴾ [سورة القيامة : ٣٠] . فيقفون حيارى ﴿ يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر ﴾ [سورة القيامة : ١٠] .

يا له من يوم عجز الوصف عن هوله ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ [سورة المرسلات : ١٤] . يقفون على الأقدام خمسين ألف عام ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [سورة المطففين : ٦] يا معاشر الغافلين فى لذَّاتهم ﴿ إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا ﴾ [سورة النبأ : ٤٠] . كم يلقى العاصى إذا أمن أذى ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ [سورة الواقعة : ١] بان والله الرابح من الخاسر ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ [سورة التغابن : ٩] نطق ميزان العدل ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة ﴾ [سورة الزلزلة: ٧] . وقع فصل الحاكم ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ [سورة الليل: ٥] . ﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ [سورة النازعات : ٤٠] ذِكرُ ذلك اليوم / طرد النوم عن جفون العقلاء ، فما مر بها إلا اختلاسًا ، اشتغلت عن حركات الدموع بسكون الرقاد ، وما عندك خبر . ٣٠/ب

رَقدتَ ولم ترث للساهر ... وليلُ المحبِّ بلا آخر

ولم تدر بعد ذل أب ... الرقاد ما فعل الدمعُ بالناظر

كان يزيد بن مرثد كثير البكاء ، وكان يقول : لو تواعدنى أن يسجننى فى الحمام ، لكنت حريًّا ألا تجف لى دمعة ، وقد تواعدنى إن عصيته أن يسجننى فى النار .

وكان عطاء السلمى كثير البكاء ، فعوتب فى ذلك فقال : إذا ذكرت أهل النار، وما ينزل بهم من العذاب ، مثَّلت نفسى بينهم ، فكيف لنفس تُغَل يداها ، وتسحب فى النار أن لا تبكى وتصيح .

دعونى فلى إن زُمَّت[1] العيسُ وقفةٌ ... أعلّم فيها الصخرَ كيف يئن

وخلُّوا دموعى أو يقال نعم بكى ... وزفرة صدرى أو يقال حزين

فلولا غليل الشوق أو دمعةُ الأسى ... لما خُلِقت لى أضلع وجُفُون

---

(١) أى : جعل لها زمام . المعجم الوجيز (ص ٢٩٢) .

وعوذنى عَرّاف نجد بذكركم فأعلمنى أن الغرام جُنُون
تعود داءً ظاهرًا أن يطبَّه فكيف له بالداء وهو دفين

كان يزيد الرقاشى إذا دخل بيته بكى ، وإن جلس إليه إخوانه بكى ، وإن شهد جنازة بكى ، فقال له ابنه : يا أبة كم تبكى ، والله لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا . فقال : ثكلتك أمك يا فتى ، وهل خُلقت النار إلا لى ولأصحابى ، ثم جعل يجول فى الدار ويبكى / ويصرخ حتى غشى عليه . ٣١/ أ

قد كنت أسرق دمعى فى محاجره تطيُّرًا بالبكاء فاليوم أنتحبُ
لا يُبعد الله قلبًا ظل عندكم لم يُغننى فيه نِشدان ولا طلب
فما أسِفتُ لشيء فائتٍ أسفى من أن أعيش وجيران الغضى غَيَبُ
وكل نار هوى فى الصدر كامنةٍ فاللّوم يذكى لها والعذل يحتطبُ

كان رياح القيسى يقف فى الصف يصلى ، فيُسمع وكَفُ دمعه على البوارى[1] طق طق .

وكانت رابعة - رضى الله عنه - إذا دخلوا عليها فتكلموا بشيء من أمر الآخرة، سمعوا صوت دموعها على البوارى كوكف المطر .

ما عرَّس الوجد فى ربع لوعته إلا رأيت به دمعى على سفر
إنى لأُخفى اشتياقى وهو مشتهر من أين يخفى ودمعى صاحبُ الخبر

كان منصور بن زاذان يختم القرآن كل يوم مرتين ، ويصلى الفجر بوضوء العشاء الآخرة عشرين سنة ، وكان يحل عمامته كورًا كورًا ويبكى ، ويمسح بها دموعه ، فإذا انتهت وضعها بين يديه ، ويبكى حتى يبلها .

القلب بكم رهينُ وجدٍ وعنا والجسم يذوب من سقام وضنا
والجفن جفا الكرَى وهلَّ الرهنا[2] هذا حالى فإن رحمتم فأنا
قد أصبح للسَّقام جسمى غَرضا العمرُ مضى وما بلغت الغرضا

---

(١) هى الأرض التى لم تزرع . المعجم الوجيز (ص ٦٦) .

(٢) أى : الحبس . القاموس « ر هـ ن » .

في حبكم السُّلُوُّ لي ما عَرَضَا والجوهر قد مضى فبقُّوا العَرَضا / ٣١/ب

قد صرت بهجركم وحزني حَرَضا[1] إن كان رضاكم بهذا فرضا

وصلِي معكم كان زمانًا[2] ومضى كالبرق على السحاب أومَى ومضى

الفصل السَّابع عشر

لما كان الصانع - عز وجل - غائبًا عن الإحساس ، سطرت يد قدرته في ألواح التكوين جميع الكائنات ، ثم وضعت الألواح في حجور العقلاء ؛ لتقرأها أذهان صبيان الطباع ، فإذا حذق الأطفال وحفظ المكتوب محا ما سطر في تلك الألواح ﴿ **إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت** ﴾ [سورة التكوير : ١ - ٢] ذرات الوجود تستدعيك إلى المُوجد ، من فهم علم التوحيد تجرد للواحد بقطع القواطع ، وترك العُلق ، أما ترى كلمتى الشهادة مجردة عن النقط ، شمس المعرفة تقع على معادن القلوب ، فتعمل فيها على مقدار جوهرها ، ليس معدن الياقوت كمعدن الجص ، أبدان العارفين أقفاص لطيور الأرواح ، تتمنى الخروج إلى الحبيب ، وأجساد الغافلين إصطبل لدواب الهوى ، تمضُغ اللجام حبًّا للعلف . انظر إلى جسدك أعرين[3] أم وِجَار[4] ؟! إذا مات المقصِّر تشبَّثت الروح بالجسد تقول : ما أحب أن أبرح . وإذا مات الصالح تشبَّث الجسد بالروح يقول : خذني معك . المطيع في دار أنس من يوم ﴿ **ألست** ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] . والعاصي هائم في بوادي الوحشة على الدوام . أتراه ما آن لذلك / الهائم أن يشتاق إلى الوطن . ٣٢/أ

وَارَحمتا للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا[5] انتفعا

---

(١) أي : مشرف على الهلاك . المفردات (ص ١١٣) .

(٢) في حاشية الأصل : « منامًا » وفوقها : « خ » أي في نسخة .

(٣) العرين : مأوى الأسد . المعجم الوجيز (ص ٤١٦) .

(٤) الوجار - بكسر الواو وفتحها - : جُحر الضبع . القاموس « و ج ر » .

(٥) كذا مصححًا في حاشية الأصل ، وفي الأصل : « وما » .

بيننا عهد من يوم ﴿ ألستُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] . ما الحب إلا للحبيب الأول .

لماذا أعرضتم عنَّا أعنَّ فى تكاليفنا ما عنَّا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى فقد وجلال الله حُلتم وما حُلنا

أرأيتم أكثر لطفًا أم وجدتم أغزر عطفًا ، أم شاهدتم أحسن ممن إليكم أحسن أحسن ؟!

هذى معالمهم وما لى منذ بان القومُ عهدُ
واهًا لعيشى بالحمى لو كان لى يومًا يُردُّ
ويلى أَحَظِّى كله من حبكم هجرٌ وصدُّ

يا من هدم ركن التوبة ، ارفع قواعدَ الأسف ، ذنب واحد بعد الإنابة أقبح من سبعين قبلها ، أتراك ما تستحى يوم عيد التائبين أن تمشى بينهم وثياب تقواهم جُدُد وقميصك مرقوع .

إن كنت مما يلج الوادى فسل بين البيوت عن فؤادى ما فعل
عزَّ هواك فأذل جلدى والحب ما رقَّ له الجلدُ وذل
أين ليالينا على الخيف وهل يَرُدُ عيشًا ماضيًا قولك هل / ٣٢/ب

قم فى سحر المناجاة ، وناد بعبارة الأسى .

كان لى قلب أعيش به ضاع منى فى تقلُّبه
ربِّ فاردده علىَّ فقد عيل صبرى فى تطَلُّبه
وأغِث ما دام بى رَمَقٌ يا غياث المستغيث به

انشد ضالتك فى وقت السحر فى مجمع العابدين ، توخ بقاع المحزونين ، قل : يا سالكى سبيل الجد هل وجدتم قلبًا ضل عن الجادة ؟

أُسائلكم عنها فهل من مخبِّر فما لى بنُعمٍ بعد فرقتنا علمُ
فلو كنت أدرى أين خيَّم أهلها وأى بلاد الله إذ ظعنوا أمُّوا

إذًا لسلكنا مسلك الريح خلفها ولو أصبحت نُعمٌ ومن دونها النجم

يا أصحاب القلوب الصافية اعرفوا قدر نعمة العافية ، استعيذوا بالله من الحَور بعد الكور ، على ذى سِرٍّ صافٍ تكدر ، وصاحب حالٍ حَالَ وتغير ، ردَّته الذنوب من الطريق ، ورمته العيوب فى مضيق ، فيا معاشر الأغنياء بالتقوى ، ويا أهل العز بالطاعة ، ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر .

هل الدهر يومًا بوصل يجود وأيامنا باللوى هل قعودُ

زمان تَقَضَّى وعيش مضى بنفسى والله تلك العُهُود

ألا قل لسكان وادى الحبيب هنيئًا لكم فى الجنان الخلودُ / ٣٣/أ

أفيضوا علينا من الماء فيضًا فنحن عطاش وأنتم وُرُودُ

أىٌّ تصرُّف بقى لك فى قلبك وهو بين إصبعين[١] ، كيف يطيب عيش من لا يدرى بم يختم له ؟!

قد عذبنى بكثرة الإعراض واعتاض ولست عنه بالمعتاض

يا من بوصاله شِفا أمراضى هل أنت علىَّ ساخط أم راض

المحنة العظمى ارتباط أمرك بمن لا يبالى بهلاكك ، فكم قد أهلك قبلك مثلك . « **رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورُبَّ قائم حظه من قيامه التعب والسهر** »[٢] . كم راهب فى صومعة تعبُّده وُقِّع على عبادته ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ [سورة الغاشية : ٣] ؟! كم عامل يعمل الخير يبقى بينه وبين الجنة ذراع ، فإذا شارفت سفينته إلى الشاطئ ضربها الجُرُف[٣] فغرقت ؟!

---

(١) يشير المصنف – رحمه الله – إلى ما أخرجه مسلم فى صحيحه ح (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك » .

(٢) أخرجه ابن ماجه ح (١٦٩٠) ، وأحمد فى المسند (٢ / ٣٧٣ ، ٤٤١) ، وابن خزيمة فى صحيحه ح (١٩٩٧) عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٣) أى : السيل . القاموس « ج ر ف » .

كان الحسن البصرى شديد الحزن كثير البكاء ، فسئل عن دوام حزنه ، فقال : أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى .

يا قلب إلام تطالبنى ... بلقا الأحباب وقد رَحَلوا

أرسَلْتُك فى طلبى لهم ... لتعود فضِعت وما حصلوا

سلِّم واصبر واخضع لهم ... كم مثلك قبلك قد قتلوا

ما أحسن ما علَّقت به ... آمالك منهم لو فعلوا

الفصل الثامن عشر

٣٣/ب يا معاشر التائبين ، اعرفوا قدر الفضل بالتوفيق للإنابة / ﴿ **اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** ﴾ [سورة البقرة : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢] . فإن عرضَ عدو يُسَوِّلُ لكم فـ ﴿ **استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ [سورة البقرة : ٤٥ ، ١٥٣] . فإن تحركت الطباع لما ألفت فذكروها خساسة المطلوب وعزَّة ما تُنيتُ ﴿ **أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير** ﴾ [سورة البقرة : ٦١] . ألا يصبر الجائع فضل ساعة بمقدار ما يتكامل نضج الطعام ، أما تعلمون أذى الفطير للمِعَد؟! .

من يعشق العِزَّ لا يرنو لغانية ... فى رونق الصفو ما يغنى عن الكدر

إخوانى: إذا تجمع حزب الهوى فألِّفوا أنتم جنود العزائم و ﴿ **ادخلوا عليهم الباب** ﴾ [سورة المائدة : ٢٣] . واثبتوا على أقدام الجد ، وقد أسرتم شاة الرقعة، وما ينتطح فيها عنزان ، ويحكم ظاهر الدنيا يُعجِبُ ويروق ، وباطنها جيفة مَستورة بالخلوق « **إياكم وخضراء الدِّمَن** »[1] .

---

(١) عزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص ١٣٥) إلى : الدارقطنى فى « الأفراد » ، والرامهرمزى والعسكرى فى « الأمثال » وابن عدى فى « الكامل » والقضاعى فى « مسند الشهاب » والخطيب فى « إيضاح الملتبس » والديلمى من حديث الواقدى، وذكر سنده إلى أبى سعيد مرفوعًا بهذا ، قيل : وماذا يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » .

قال ابن عدى : تفرد به الواقدى . وذكره أبو عبيد فى « الغريب » فقال : يروى عن يحيى بن سعيد بن دينار . قال ابن طاهر وابن الصلاح : يعد فى أفراد الواقدى . وقال الدارقطنى : لا يصح من وجه . اهـ .

وفى المقاصد كذلك : الدِّمَن جمع دِمنة : وهى البعر . اهـ .

لا خير فى لذاذة مطعم يصيب فى فِى الشره ، ثم يُولِّد فى الحشا تخمةً . « إن مما ينبت الربيع لما يقتل حَبطًا أو يُلم »[(١)] .

اصبروا اليوم ﴿ هذا يومكم ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٣] . جاز بعض إخوانكم على منظور يُشتهى فهمت عينه أن تمتدَّ فصاح :

حلفت بدين الحُب لا خُنتُ عَهدكم وتلك يمين لو عرفت غَموسُ

يا أطفال التوبة ، لا أنكر حنينكم إلى الرضاع ، ولكن ذوقوا مطاعم الرجال ، وقد نسيتم شرب اللبن . أترى صبيان / التوبة على ما عهدتهم ، أوَ فيهم من تغير؟!

٣٤/أ

تُرى الحى الأولى بانوا على العهد كما كانوا
أم الدهر بهم خان ودَهرُ المرء خوَّان
إذا عزَّ بغير الله يومًا معشرٌ هانوا

يا ريح الصَّبَا حدثينى عن أهل الصِّبا ، عهدتهم وقد تبدلوا ، فهل غيروا أو بدلوا ؟!

ناشدتك الله يا نسيمُ ما فعلت بعدنا الرسوم
هل استهلَّت بها الغوادى ونمَّقت روضَها الغيومُ
أم نسختها يَدُ الليالى حتى امَّحَى عَهدها القديم
وهل بها من عهدت فيها على عهود الوفا[(٢)] مُقيمُ

يا صبيان التوبة ، إن اجتمعتم فعلى[(٣)] الذكر والبكاء ، وإلا فالفرقة أصلح ، ليخبر كلٌّ منكم أخاه بعيبه ، فالمؤمن مرآة المؤمن ﴿ **وتعاونوا على البر**

---

(١) أخرجه البخارى (٢ / ١٤٩ - ١٥٠) ح (١٤٦٥- فتح) ، (٨ / ١١٣) ح (٦٤٢٧ - فتح) ، ومسلم ح (١٠٥٢) عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا .
ومعنى حبطًا : تخمةً وهى امتلاء البطن وانتفاخه من الإفراط فى الأكل .
ومعنى أو يُلمُّ : أى يقارب الإهلاك .

(٢) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « الهوى » .

(٣) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « على » .

والتقوى ﴾ [سورة المائدة : ٢] . إذا استصلح القدرُ أرضًا قلَبَ قلبها بمحراث الخوف ، وبذر فيها حَبَّ المحبَّة ، فترى نبات التقى قائمًا على سوقه ، ينادى بلسان المنَّة : ﴿ **ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ [سورة الواقعة : ٦٤] .

جاءت السحرة تحارب وخلع الصلح قد جُيِّبت ، وتيجان الرضا قد رُصعت ، وشراب الوصال يُرَوِّق ، مَدُّوا أيدهم إلى ما اعتصروا من خمر الهوى ، فإذا به قد استحال خلاًّ ، فأفطروا عليه ./ ٣٤/ب

وا عجبًا لسكارى من شراب الحُبّ ، عربدت عليهم المحَبَّة ، فصُلبوا ﴿ **فى جذوع النخل** ﴾ [سورة طه : ٧١] ارتقى سلطان عزمهم إلى سماوات قلوبهم ﴿**فأوحى فى كل سماء أمرها** ﴾ [سورة فصلت : ١٢] .

هبت رياح وصالهم سحرًا ... بحدائق للشوق فى قلبى
واهتز غصن الوجد من طرب ... فتناثرت ثمر من الحُبِّ
وبدت شموس الوصل حارقةً ... بشعاعها لسُرادق الحُجب
وصفا لنا وقت أضاء به ... وجه الرضا عن ظلمة العَتب
وبقيت لا شيئًا أشاهده ... إلا ظننت بأنه حِبِّى

تأملوا يا أولى الألباب ما فعل الحب بالأحباب،تلمّحوا يا غافلين أحوال الشباب التائبين ، أين ورد خدود الصبيان ؟! صيَّره الحياءُ من الذنوب نرجسًا ، أين شحوم الأبدان ؟! أذابها حرّ الحذر ، أين خيلاء العجب ؟! بدلت بذلة المسكنة والحزن .

قد تشاكينا الذى حلَّ بنا ... وبردنا بالدموع الحُرقا
وإذا أطنب فى شكوى الهوى عاشق ... قال الطَّنا[1] قد صدقا

إذا رأيت ما يجرى على التائبين فاعذرهم .

حاشاك مما عندهم حاشاكا

تذكروا خيانة العهد فارتعدت فرائصُ القلوب ، فلا تحسبن دمعهم ما يسيل ، إنما هى أرواح تذوب .

---

(١) الطَّنَى : المرض ، والطَّنا : العافية من لدغ العقرب . القاموس « ط ن ى » .

ومهوِّن للوجد يحسب أنها يوم العذيب مدامع وخدود / ٣٥/أ

سل بانة الوادى فليس يفوتها خبر يطول به الجوى ويزيد

تفكروا فيما جَنوا فضعفت قوى التماسُك، ذكروا أنهم مالوا عن الصواب فمالوا تصوروا الوقوف للعتاب فاصفرُّوا ، هيهات ما عند الشبعان خبر من الجائع .

لو كنت تبلو غداة السفح أخبارى أيقنت أن ليس ما عُيرتُ بالعار

شوق إلى الوطن المحبوب جاذب أضلاعى ودمع جرى من فرقة الجار

ووقفةٌ لم أكن فيها بأول من بان الخليط فداوى الوجدَ بالدار

ولمتَ فى البرق زفراتى فلو علمت عيناك من أين ذاك البارق[1] السارى

طارت شراراته من نحو كاظمةٍ تحت الدجى بلُباناتى[2] وأوطارى

أتدرون هذا التائب لم انزعج ؟! لما يجد فى نفسه من الحر والوهج .

صبًا لنسيم الصبا إذ نفح وأرَّقهُ لمح برق لَمح

وأذكره عيشه بالحِمَى وعهدَ تقادم سِرب سنح

فحن إلى السفح سفح العقيق فساح له دمعه وانسفح

وكان كتومًا لسر الهوى ولكن جرى دمعه فافتضح

فدعه ينادى طُلول الحمى ويسأل رامة عمَّن نزح[3]

كلما رأيت التائبين تقلقل قلبى ، فإذا تلمحت اصفرارهم تبلبل لُبِّى ، فإذا سمعت أصواتهم تبدَّد ما أعَيِّى .

ما ناح فى البان الحَمام إلا ورنَّحنى الغرامُ

فكأننى ثملٌ تمشت فى مفاصله المُدامُ[4] / ٣٥/ب

ما لى وبانات الحمى لولا الصبابةُ والهُيام

(١) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « الطارق » .

(٢) جمع لُبانة : وهى ما يطلبه المرء عن رغبة وشهوة . المعجم الوجيز (ص ٥٥٠) .

(٣) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « سنح » .

(٤) أى : الخمر . القاموس « د ا م » .

الفصل التّاسع عشر

يا عازمًا على سفر التوبة ، خذ للتغرب أهبة ، ليس كل من خرج للبرية سافر، النقطة قبل الدائرة ﴿ **وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ [سورة البقرة : ١٨٩] اندم على ما مضى من المآثم ، واردد على المعاملين المظالم ، وشمِّر عن ساق الجد، تقوى على قطع طريق التقوى ، قاطع أصدقاءك على المعاصى ﴿ **واتبع سبيل من أناب إلىّ** ﴾ [سورة لقمان : ١٥] . فإن لاذوا بك يذكرونك لذاذة الهوى ، فقل : ﴿ **قد يعلم الله المعوقين منكم** ﴾ [سورة الأحزاب : ١٨] . فإن أحسست بقوة توقان الطبع ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق** ﴾ [سورة الروم : ٦٠ ، سورة غافر : ٥٥ ، ٧٧] . لابد من ضيق معاش التائب ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥ ، سورة محمد : ٣١] فإن صبر : ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ [سورة النحل : ٩٧] .

إخوانى : الشيطان يراصد فى جميع المقاصد ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ [سورة النساء: ٧١] . لا يتوقنَّ أحدكم إلى لباس الجديد ، فالمرقع لمن أحسنَ أحسنُ ، لا تزدروا حُلل الفقر ؛ فإن عليها أنوارَ المهابة ﴿ **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** ﴾ [سورة النحل: ٦] . إذا رأى رُفقاؤك على الهوى فعلك اليوم فقالوا : ما الخبر ؟ فقل : ﴿ **هذا رحمة من ربى** ﴾ [سورة الكهف : ٩٨]، إذا قالوا: كان فلان جبلاً فى المعاصى . فقل : وعيد المؤمنين جعله دكًا . حضرتُ مجلس الذكر فذكَّرنى عهدَ ﴿ **ألستُ بربكم** ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢] . فأخبرنى قرب الحساب على بضاعة العُمر ، فنظرت فى دستورى ، فإذا بى قد مزَّقت رأس المال بكفِّ / اللعب ، فبكيت أسفًا وصِحتُ قلقًا . ٣٦/أ

حدثتنى عن الغضا وأهله ... فانكشف السر ونمَّ الكاتم
للبارقات مطرٌ وهذه ... مؤنتها دُمُوعىَ السَّواجمُ[1]
سلا المحبُّون وعندى زفرةٌ ... بحيث لا تطيقها الحيازمُ[2]

---

(١) أى : الكثيرة . المعجم الوجيز (ص ٣٠٣) .

(٢) جمع حيزوم : وهو الصدر . المعجم الوجيز (ص ١٤٨) .

أسائل الدوح وأبكى كلما ناحت على أغصانها الحمائمُ

إذا عُلم مقصود المجتهد أعين بالإلطاف ، سَلَّم الخليل فجاء لطفُ ﴿ **كونى بردًا وسلامًا** ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٩] . واستسلم الذبيح فأتى رفقُ ﴿ **وفديناه** ﴾ [سورة الصافات : ١٠٧] . وخرج أهل الكهف من بيوت الرفاهية ، فجَدُّوا فى قطع فلاةِ الجد ، فاستلب توقهم أزمَّةَ نوقهم فأنضاها(1) ، فألفوا فى مهد الرفق فناموا ، وقامت عزائمهم تتعبَّد ، « **نِيَّةُ المؤمن خير من عمله** »(2) ، « **من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه** »(3) .

عقَر سليمان الخيل ﴿ **فسخرنا له الريح** ﴾ [سورة ص : ٣٦] . وا عجبًا ! أسُلِّيك عن الدنيا .

وهل هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلابٌ همُّهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سِلمًا لأهلها وإن تجتذبها هارشتك كلابُها

يا عاشق الصُّور ، فقد استرقت عقله واسترقَّته ، تأمّل بعين الفكر باطنَ ما خدَعَك ظاهره ، ترى الوسَخَ محشواً فى وعاءِ الحُسن ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمِضوا فيه** ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٧] ، ويحك دع سَلمَى وسل ما ينفعُك .

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارمُ / ٣٦/ ب

وتعظم فى عين الصغير صغارُها وتصغر فى عين العظيم العظائمُ

---

(١) أى : هزلها وأتعبها . المعجم الوجيز (ص ٦٢١) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٦ / ١٨٥- ط . مكتبة العلوم والحكم) عن سهل بن سعد الساعدى مرفوعًا .

والحديث ذكره الحافظ فى الفتح (١١ / ٢١٤) ولم يضعفه ، وللحديث شواهد أخرى ، قال السخاوى فى المقاصد (ص ٤٥٠) : وهى وإن كانت ضعيفة فبمجموعها يتقوى الحديث . اهـ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٥ / ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٦٣) عن أبى قتادة وأبى الدهماء - قرفة بن بهيس - قالا : أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوى : أخذ بيدى رسول الله ﷺ فجعل يعلمنى مما علمه الله - تبارك وتعالى - وقال : « إنك لن تدع شيئًا اتقاءً لله - جل وعز - إلا أعطاك الله خيراً منه » .

قال السخاوى فى المقاصد (ص ٣٦٤) : رجاله رجال الصحيح . اهـ .

شهوات الجنة لمتعلقى القلوب بها ، فأما ظمآن القلب فإنه لا يسليه قصر ولا يرويه نهرٌ .

الأطفال يقرءون ما كتبوا فى ألواحهم ، والبالغون أناجيلهم فى صدورهم ، العبادُ يطلبوننا فى المحاريب ، والعارفون يسألون عنا القلوب ، الديوان للعوام وبابُ الحُجرة للخاص .

الناس من الهوى على أصناف هذا نقضَ العهدَ وهَذا وَافِى

هيهات من الكدور تبغى الصافى ما يصلح للحَضْرة قلبٌ جافِ

لا تتعرض لنار المحبة إلا أن يكون لك[1] جلدُ السَّمَندل[2] أو صبرُ الفراش . لمّا احترق الفراش بنار الشمعة وقع فى الطست ، فقالت النار : اصبر إلى آخر الليل فأنا أنزل إليك . من صبر على سهَر أوَّل الليل جُوزى فى آخره ، « **ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا** »[3] .

من أجل هواكمُ هويتُ العِشقا قلبى كلف ودمعتى لا ترقا

فى حبكمُ يهُون ما قد ألقى ما يحصل بالنعيم من لا يشقى

كان أبو عبيدة الخواص - رضى الله عنه - قد ولع به الولهُ ، وكان يمشى فى الطريق مؤتزرًا بخرقةٍ مرتديًا بأخرى ، ويقول: وا شوقاه إلى من يرانى ولا أراهُ . وبقى سَبعِين سنة لم يرفع / رأسه إلى السماءِ ؛ حياءً من الله تعالى ، وكان يقبض على لحيته ويبكى ويقول : قد كبِرتُ فاعتقنى . ٣٧/أ

هذا ولهى وكم كتمت الولها صون الحديث من هوَى النفسِ لها

يا آخرَ محنتى ويَا أوّلها أيامُ عنائى فيك ما أطولَها

كان إبراهيم بن أدهم - رضى الله عنه - يبكى الدم من شدة خوفه ، ويقول : إن كنتَ وهبت لأحدٍ من المحبين لك ما يستريحُ بِهِ فهب لى .

---

(١) ألحقت فى حاشية الأصل وفوقها « صح » .

(٢) هو طائر بالهند لا يحترق بالنار . القاموس « س م ن د ل » .

(٣) أخرجه البخارى (٢ / ٦٦) ح (١١٤٥ - فتح) ، (٨ / ٨٨) ح (٦٣٢١ - فتح) ، (٩/ ١٧٥) ح (٧٤٩٤ - فتح) ، ومسلم ح (٧٥٨) عن أبى هريرة مرفوعًا .

سـاروا وأقـام فى فـؤادى الكمـدُ ... لم يلـق كـمـا لقـيتُ قـبلى أحَدُ
شـوق وجـوًى ونارُ وجـدٍ تقد ... مـا لى جَلَدٌ ضَعُفـت مَا لى جَلَدُ

إخوانى : إذا رأيتم قلقًا عند ذكر حبيبه فاعذروه ؛ ففى فؤاد المُحِب نارُ جوىً ، أحرّ نارِ الجحيم أبردُهَا ، لا تلوموا مضـروبًا فى أنينه ؛ فإن سياط الوجد تقع على نياط القلب[1] .

أَنّ من الشـوق فلولا دمـعُه ... أحـرق مـا بين العُذيب والنـقـا
فـاسـتـعـبـرت أنفـاسـه وإنما ... تلتـهـب الأنفـاس من حَر الجَوَى
مـرُّوا على وادى الغضى وقلبـوا ... من الجـوى قلبى على جمـر الغضى

نيران المحبة فى قلوب المحبين لا تخبوا ، وقلق الأفئدة من الحذر لا يسكن .

أجن بأطراف النهار صبابة ، وبالليل يدعـونى الهوى فأجيبُ ، إذا سمع المحب أوصاف الحبيب ، ثارَت نيرَانُ / الشوق ، فلا يدرى ما يصنع ، فاعذروه فما يرى بحضرته أحدًا . ٣٧/ ب

ظن الأراك لَدَى واديه إظعـانـا ... فـمـا استطاع لما أخـفـاه كـتـمـانا
فـبـان للركب مـا قـد كان يستـره ... عن كل مُستـخـبـر من حُب من بَانا

لا تصح المحبَّة حتى يمتحى الاسم المعروف باسم متجدد ؛ فإن اسم قيس نسى، وعرف بالمجنون .

كم أُصبحُ والهًا وأمسـى قلقًا ... والحـزن وقلبى قلَّ مـا يفـترقـا
من بعـد الصفـو عـاد عيشى رَنِقًا[2] ... كم يصـبـرُ قـلبى لـيـتـه مَا خُلقـا
قـد ذاب من الهم وأمسـى عَلَقًا[3] ... يا مـالكَ رقى كم أُقـاسى الأرقـا
فارحم ومُر الجفـون أن تنطبقا

---

(١) نياط القلب : ما عُلّق به إلى الرئتين . المعجم الوجيز (ص ٦٣٩) .
(٢) أى : كدر . القاموس « ر ن ق » .
(٣) أى : تمكن الحب من قلبه . المعجم الوجيز (ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

الفصل العشرُونَ

يا هذا ، تأمل لماذا خُلقتَ ، ومـا المراد مَنك ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا** ﴾ [سورة المؤمنون : ١١٥] عليك ملك[١] يرفع عملك . يا مطالبًا بحركاته وسكناته وكلماته وعزماته ﴿ **أيحسب الإنسـان أن يترك سدى** ﴾ [سورة القيامة : ٣٦] . لابدَّ من جمع تبدُّدك فى البلَى للقيـام فى القيامة ، يصور[٢] وصفُ الأعمال على السامع ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدَّمَ وأخر** ﴾ [سورة القيامة : ١٣] . ثم يُكر إلى الميزان ﴿ **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزىَ الذين أحسنوا بالحُسنى** ﴾ [سورة النجم : ٣١] ويحك خذ بتلابيب نفـسك قبل أن يأخذ ملك الموت بها ، وقل : أيتها الحمقاء إن كان محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم صادقًا فالمسجدَ ، وإلا فالدّيرَ ، تأمل دليل / الانقياد قبل السعى ، من آمن بموسى ﷺ لصورة ثعبانه كفر بصياغـة العجل ، ومن أبصر حقـائق معجزاته هان عليـه وعيدُ ﴿ **لأصلبنكم** ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٤ ، سورة طه : ٧١ ، سورة الشعراء : ٤٩] . أكبرُ دليل علينا أنت . يا مـودَعًا دقائق الأسـرار ، كنت بَدَدًا فى ظهور الأصـول ، فنظمتَ بالقدرة نظمًا عجيبًا خاليًا عن العيب ، فما تُنقض إلا لأمر هو أعجبُ منه ، مُدَّت أطنابُ العُرُوق ، وحُفِرت خنادق أنهار الأعضاء ، وضربت أوتاد المفاصل ، وأقيمَ عَمَدُ الصُلب ، ثم مُد الـسُرادق ، فنصِبَ سـريرُ القلب فى البـاطن لـلملك ، «**ويسعنى قلبُ عبدى المؤمن**»[٣] .

٣٨/أ

إذا لم يجد صب على النائى مخبراً	**عن الحى بعد البـين أين أقامــــوا**
فـعند النسـيم الرطب أخبـارُ منزل	**به لسُليـمى بالـعقيق خيـــــامُ**

إذا أعشب بالمعرفة وادى النفس صَعُب الوصُول إلى ذلك العُشب ، فقل : من يقـدر أن يرعى ذلك الزرع ؟! هذا الهـوى سبُع ضـارٍ ، والغضب أسَدٌ لجـوج ، فقيل : قيدوا سباع الوادى بسلاسل العقل ؛ ليتمكن الحَاصِد من جَز الزرع .

---

(١) ملحقة فى حاشية الأصل ، وقد وجدت نفس الكلمة عقب كلمة « عملك » وفوقها ضبة هكذا: « صـ » .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، وكأنها هكذا .

(٣) تقدم تخريجه ، ولمعرفة مواضعه راجع فهرس الأحاديث .

يا هذا ، لو عرفت قـدرَ نفسك ما أهنتـها بالمعاصِى ، يا جـوهرة بمَضيَعَة ، يا لُقَطَةً تداس[1] ، يا يهوذا ، معك قميص يُوسف وما تشم ريحه، أما أسجدت لك الملائكة بالأمس ، أمـا جعلتهم اليـوم فى خدمـتك ، أما أخبـرتك أنهم فى الجنة يُسلمون / عليك ، أمـا أنا القائل لهم قـبل وجودك : ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾[سورة البقرة : ٣٠] . ٣٨/ ب

يا متعبـدين فى صوامع السماء معجبين بصُور العبـادات ، اطلعوا من خوخات زواياكم فانظروا ما أصنع ، أخـذت قبضة من تراب ، فصببت عليها قطرات من ماء ﴿ **مرج البـحرين يلتقـيان** ﴾[سـورة الرحمن : ١٩] . نـفخت فى صـرف الباطن فإذا طفـل التعليم بيده لوح التفهـيم ، فقلت له : ﴿ **أنبئهم بـأسمائهم** ﴾ [سورة البـقرة : ٣٣] . ﴿ **يخرج مـنهما اللؤلـؤ والمرجان** ﴾[سورة الرحمن : ٢٢] أما يكفى فى إقامـة أعذار الخاطئين : « **لو لم تذنبوا** »[2] . أما فى رسـائل : «**هل من سائل** »[3] دليل الكرم .

لاح وعــقل الليل مـــسـلوبُ برق بـنار الشـوق مـــشــبــوبُ

أسـأله عـنكم وفـى لمعــــــه سـطر من الأحـبـــاب مـكتــوبُ

يا مشـغولاً عنى ، يـا من أبعده الزَّلل منـى ، كنـت فى رفـقة ﴿ **تتجافى** ﴾ [سورة السجدة : ١٦] . فصرت فى حزب أهل النوم ، أين القـلق لفراق المألوف من الخيـر ؟! مسـاجد الدجى تسـتوحش لصلاتـك ، مواطـن الطـاعـة تتوق إلى عبادتك .

يا ديار الأحـبـاب كـيف تغـيـرت ويا عـــهـدُ مــــــا الذى أبلاكـا

هل ألاك الذين عــهـدى بهـــــم فـيك على عـهـدهم وأين ألاكـا

(١) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا .

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٧٤٩) عن أبى هريرة قال : قـال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

(٣) أخرجه البخارى (٢ / ٦٦) ح (١١٤٥ - فتح) ، (٨ / ٨٨) ح (٦٣٢١ - فتح) ، (٩/ ١٧٥) ح (٧٤٩٤ - فتح) ، ومسلم ح (٧٥٨) عن أبى هريرة مرفوعًا .

الذَّميلَ [١] الذَّميل يا ركبُ إنى لضَمِينٌ أن لا يخيبَ سُراكا

تعلق بالليل ؛ فإنه شفيع مشفع ، ادخل فى زمرة المجتهدين على وجه التطفيل، ناد فى فلوات الخلوات بلسان التذلل /، يا مؤنسى بقربه ، سل وحشتى بعدك ما جرّ عَلَىَّ البعد ، يا هذا ، « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »[٢] .

٣٩/أ

والذى يعنى العبدَ خدمة سيده وغيرها لا يعنيه ، فإن أقبلت عليه بقلبك استقبلك، « **وإنى إلى لقائهم لأشد شوقًا** »[٣] وإن أعرضت عنه رفضك بيد العز ﴿ **إن الله لغنى حميد** ﴾[٤] [سورة إبراهيم : ٨] . يَدٌ تشج وأخرى منك تأسُوفى ، إذا قال العبد : يا رب ، أين أطلبُك ؟ قيل له : فى قلبك . فإذا قال : متى ؟ قيل : الآن .

لئن كنت عنى فى العيان مغيبًا فما أنت عن قلبى وسرى بغائب

إذا اشتاقت العينان منك لنظرة تمثلت لى فى القلب من كل جانب

احم حديدة العزم فى نار التخويف ، ثم اكو بها عرق حُبِّ الدنيا فى باطن الطبع ، تجد طعم العافية ، امدد يد المعاهدة على الوفاء ، فمزق بها ثوب الغدر ، أجل بصر الفكر فيما جنت أيام الجفا بسيل الدموع .

صون دمعى هتكته ودمى قد سفَكته

لحبيب حببته فجفانى فخِفته

غاب عن مُقلتى وفى سر قلبى وَجَدته

وحياة الهوى وحرمة ليل سَهِرته

---

(١) الذميل : السير اللين ما كان ، أو فوق العنق . القاموس « ذ م ل » .
قال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد ، فإن ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم . شرح القاموس .

(٢) أخرجه الترمذى ح (٢٣١٨) عن أبى هريرة مرفوعًا .
وحسنه النووى فى رياض الصالحين (ص ٥٠ - ٥١) .

(٣) تقدم تخريجه بلفظ : « وأنا إلى لقائهم . . » .

(٤) فى حاشية الأصل بخط مغاير : « عن العالمين » ، يشير إلى أن الآية الكريمة هكذا : ﴿ إن الله لغنى عن العالمين ﴾ [سورة العنكبوت : ٦] .

لا تغيَّرت فى هواك الذى لا عَدِمتهُ

مجلسُنا بحرٌ يرده العصفور والفيل ، فيأخذ كل منهم على قدر حوصَلته ﴿ **قد عَلِمَ كل أناس مشربهم** ﴾ [سورة البقرة : ٦٠] . كم بين حِدَّةِ نظر هُدهُد / وبين عَشا عين الخُفاش . أطيار البلاغة قد خرجت من برج القلب ، فوقعت على غُصن اللسان ، تستريح إلى التغريد ، فأين الطروب ؟! سحائب التفهيم قد هطلت بودق البيان ، أفتراها أخضلت[1] رياض الأذهان ؟! ليس كل مجلس مجلسًا ، ما كل قميص يرد عين يعقوب . أحسنُ البساتين بساتيننا ، وأقوم البيان بياننا ، وأظرف الأغصان أغصاننا ، وأوطا الميادين ميداننا ، كلما سحت أجفاننا صحت أبداننا ، كلما تاب خُوَّاننا كثر إخواننا ، كلما صفت عزائمنا صعد بنياننا ، فالوقت بحمد الله لنا والزمان زماننا .

٣٩/ب

وقفنا فمن باك أجابت دموعه ومعتصم بالصبر لم يملك الصبرا
ومن ساتر أجفانه بيمينه ومُلقٍ على أحشائه يده اليُسرا
ومن طائشٍ لم يُسعد الدمع وجده وشر البكا ما استفذ الأدمع الغزرا
وقد قَلِقت خوض الركاب لبيننا فلم نستطع ضعفًا لشاردها زجرا

الفصل الحادى والعشرونَ

يا كثافة الغفلة على قلوب الغافلين ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا** ﴾ [سورة الروم : ٧] هِممهم مقصورة على تحصيل المطعم والمشرب ﴿ **إن هم إلا كالأنعام** ﴾ [سورة الفرقان : ٤٤] . سبحان من أعمى بصائرهم مع نفوذ أبصارهم ، فإذا قاموا فى القيامة ﴿ **أسمع بهم وأبصر** ﴾ [سورة مريم : ٣٨] . ويل للهائمين فى معاصيهم ، إذا أخذ بنواصيهم ﴿ **يوم يسحبون فى النار على وجوههم** ﴾ [سورة القمر : ٤٨] ./

٤٠/أ

وا عجبًا لكم الحديث أما تسمعون ، كل الأسماع تتساوى فى وصول الكلام إليها ، إنما يقع التفاوت فى فهم المقصود ، القطرُ عامٌّ الوقع ، غير أن حكم السَّبخ

---

(١) أى : بللت . المعجم الوجيز (ص ٢٠١) .

غيرُ حُكم الجُرز ﴿ **تُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل** ﴾ [سورة الرعد : ٤] . الحذَرَ الحذَرَ من الغَبن الفاحش ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتى** ﴾ [سورة الزمر : ٥٥] تيقظوا من رقداتكم ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة** ﴾ [سورة الزمر : ٥٥] . ويحكم أعماركم تُنهَبُ وأيامكم تذهب ، وآثامُكم تكتبُ، أصمم عن النصائح[١] ، أم عمًى والأمر واضح ﴿ **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ [سورة النساء : ٧٨] . كم علَّلتم مريضًا ورأيتم كربهُ، ثم أخرجتموه ذليلاً إلى قبره ، وتركتموه وحيدًا فى لحده ، ورجعتم إلى اقتسام كسبه ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة** ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] . أرباب القلوب القاسية يخرجون من المجلس كما دخلوا ﴿ **سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم** ﴾ [سورة البقرة : ٦] رانت الذنوب على القلوب ، فالمواعظ تحوم على المنافذ فلا تجد طريقًا ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم** ﴾ [سورة البقرة: ٧] ومع هذا فلا بأس ؛ فإن الخمرَ تنقلب خلاً فى ليلة واحدة .

خرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو أقسى قلبًا من الصفا فلان عنده[٢] .

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمرُ

ما دام قلبك عند التوبيخ ينكسرُ ، وعينك عند العتاب تدمَعُ ، ففيك بعدُ حياةٌ، إنما المعاصى أوجبت سكتةٌ . أنشق قلبك / حُرَّاق التخويف وقد عطَست ، الرياضة تكسر عَوادىَ دواعى الطباع ، من راض نفسه كف كفها عن الفضول ، وزوى يدَ الزوائد ، من وقف نفسه على صراط الاستقامة وبيده ميزان المحاسبة ، أمِنَ من الغَبن ، بمحك الورَع تستعرض أعمالُ النفس ، ويُرد البهرج إلى كِير التوبة، فمن استعمله سَلم من رد الناقد يوم القبض . ٤٠/ب

(١) فى حاشية الأصل : « الناصح » وفوقها : « خـ » يعنى : فى نسخة .

(٢) فى حاشية الأصل : « فى نسخة أخرى : فلان عند رؤية الرسول ﷺ يكون أجاجًا دونكم فإذا انتهى إليكمُ تلقى طيبكم فيطيب » .

السقم على الجسم له تَرداد والصبر يقل والهوى يزدادُ
ما أبعد شُقّتى وَمَا لى زادُ ما أكثر بهرجى ولى نقّادُ

يا من يفرط فى أعماله ويتكل على الشفاعة ، رُبَّ أمل خاب ، ويحك كن رأسًا بنفسك ؛ فإن السبُعَ لا يأكل إلا ما افترس ، كل يوم تحضر فى المجلس يقف لك الشيطان على الباب ، علمًا منه بضعف عزيمتك فى التوبة ، فإذا خرجت كما دخلت قال : فديت من لا يفلح . ويحك ما عندك من الإيمان إلا رسمه .

صَدٌّ وهجر وجفا وَرَسمُ دار قد عَفَا
لم يبق إلا نَفَسٌ لولا التّمنِّى لَانطفا

كيف يستنير قلبك مع هذه الغفلة ؟! كيف تحضر لك روضة ما جادتها ديمة دمع؟! وا أسفًا كم تطلب الخُضَرَ ولا ترى إلا اليابس ، عندك قوت سنة وسنتين ، وما لك علم أنك تعيش يومين ، ثم هذا حرصك على جمع الدنيا ، أعلمتَ / ٤١/أ الآن أن الهوى يتلهى بك .

يا قلب كيف عَلقت فى أشراكهم ولقد عهدتُك تُفلت الأشراكا
أهوىً وذلاً فى الهوى وضراعةً وطماعةً أبدًا[1] فما أشقاكا
لا تشكوَنَّ إلىَّ وجدًا بعدها هذا الذى جرت عليك يداكا

الحرص ليل ، والأمل ظلمة ، والتوبة صبح ، ومخالفة الهوى شمس ، إذا المرء لم يغلب هواه أقامه بمدرجة فيها العزيزُ ذليل ، يا صبيان الهوى ، أنتم تخرجون لقتل سبع ما آذاكم إلا ليقال عن أحدكم : ما أجلده . فكيف تتركون سبُعَ الهوى وقد افترسكم ؟! إذا خرجتم إلى سبع البرية مَدَحكم جُهال العوام ، ولو خرجتم إلى سبع الهوى غبطكم راسخو العلماء . هذا سَبُع الهوى قد أغار على سَرح القلوب ، فهل فيكم عارم[2] ؟!

أما ترون أقدام التائبين قد انطلقت ، أما تشاهدون دموع العاصين قد استبقت ،

---

(١) عقبها : « تعالى الله » لكنها مضروب عليها .

(٢) أى : شديد . القاموس « ع ر م » .

أما تبصرون أفئدة المجرمين قد احترقت ، أما تنظرون إلى أغصان البان[١] كيف اعتنقت ؟!

سقى الحيا أرض الحِمَى أعذب ما تسقى السماواتُ به الأرضينا

وخص بآنات[٢] على كاظمة وزادها نضاوة ولينا

وواصلت ما بينها ريح الصَّبا فعانقت غُصُونها الغُصُونا

يا متمنيًا لحاقهم وهو قاعد هلاَّ حركت قدمًا أو ساعد / ٤١/ ب

أتمنىَّ والمنى جُهد المُقل وأقضى الدهر فى ليت وهل

وأداوى كلف العيش إذا أظلمت لى بطلاوات[٣] الأمل

سلوةٌ وهى الغرام المشتكى وتعاليلُ أسًى وهى العِلل

يا هذا ، عينك تبكى إذا رأيت التائبين ، وعزمك على المعاصى يضحك .

بالغــور دار وبنجــد هوىً

تقبض ثمن يوسف قلبك وقت الضحى ، وتبكى عشاءً عند يعقوب ، رميت يوسف قلبِك فى جُبِّ[٤] الهوى ، وتتهم به ذئب الصحراء .

ما أنت يا قلب وأهل الحمى وإنما هم أمسُك الذاهب

ودون نجد وظباء الحِمَى أن يقرح المِيسمُ والغاربُ

بالله عليك اعرف ما ضاع منك وابك عليه بكاء عاقل ، كان لك قلب فانقلب، كان لك وقت فذهب ، فاندب ندب ثدب ، لعل الخِصبَ ينسخ الجدب.

هذا قلبى وربعُه قد أقوى هل تحسن بى إلى سواك السكرى

أنت المبلى فكن مُزيلَ البلوى هل يُسعد ذا الضعيف إلا الأقوى

يا أجفانىَ اسمحى بدمع ودم وابكى دنفًا وجوده كالعدم

---

(١) البان : نوع من الأشجار . القاموس « ب و ن » .

(٢) جمع أناة : وهى الحلم والوقار . المعجم الوجيز (ص ٢٨) .

(٣) جمع طلاوة : وهو الانتظار والإبطاء . القاموس « ط ل و » .

(٤) هى البئر التى لم تطو . المفردات (ص ٨٥) .

من كنت أرَجِّيه يُداوى سقمى ... قد أمرضنى وزادنى فى ألمى

الخلق بطيب وصلكم قد سَعِدوا ... وأنا المضنى بهجركم منفرد

قد قل تصبُّرى وطال الأمد ... أبدى جلداً وما بقى لى جَلَدُ

الفصل الثّانى والعشرُون/ ٤٢/أ

يا مظهرًا من الخير ما ليس فى باطنه ، لا تبع ما ليس عندك ، لو عُرِضت خبايا صَدرك على جيرانك لرجموك بالحجارة ، حدثت عن أوصافك بالصدق فتغير لونك ، إن صاحب البهرج إذا رأى المحَك ارتعد ، أسمج[1] الملابس ثياب الربا ، لليهود تمايل بلا سكر ، ما تباع سلع الخلاص إلا بدراهم الإخلاص ، «**ربَّ صائم حظُّه الجوع والعطش ، وقائم حظه السَّهَر** »[2] ، ومصلٍّ قد أتى بالأركان يضربُ وجههُ بصلاته .

وا عجبًا سجدَت السحرة بلا وضوء ، إلى غير القبلة ، فى ثياب غير طاهرة ، فنالوا بتلك الصلاة الصِّلات .

تكاملت طهارتهم بجريان الدماء عند تقطيع الأيدى ، وزين خشوع صلاتهم بالصلب على جذوع النخل ، وجدوا صدق القصد وفقدت ، إذا كان الميل إلى الأسباب يُؤذى ، فكيف العمل لأجل الخلق ؟! قال يوسف - عليه السلام - للساقى : ﴿ **اذكرنى عند ربك** ﴾ [سورة يوسف : ٤٢] فلبث .

استتر زكرياءُ - عليه السلام - فى شجرة فنمَّ عليه ثوبهُ . ﴿ **ويوم حنين إذ**[3] **أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا** ﴾ [سورة التوبة : ٢٥] . كان الصالحون يسترون التعبد كما يستر العاصى الزلة ، كان على بن الحسن يقوت مائة أهل بيت ، ولا يدرون من يبعث لهم قوتهم . وكان حسان بن أبى سنان يشترى أهل البيت فيعتقهم ، ولا يعلمهم من هو .

---

(١) أى : أقبح . القاموس « س م ج » .

(٢) تقدم تخريجه ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

(٣) كتبت خطأ فى الأصل : « إذا » .

٤٢/ب صحبوا الله راكبين إلى العز ... طريقًا من المخافة وعرا/
شربوا الموت فى الكريهة حلوًا ... خوف أن يشربوا من الضيم مُرّا
كل عجلان قوله لأخيه ... العلاء العلاء إن كنت حُرّا
وإذا استصرخوا العضّة عام ركبوا ... الجُود يطردون الفقرا
لا يبالى الجيران ما أطلقوا ... الأيمان أن تمسك السماءُ القطرا

هذه طريق القوم فأين السالك ؟! هذه صفاتهم فأين الطالب ؟!

هذى المنازل والعقيق ... فأين ليلى والخيام
لم يبق مذ صاحوا النوى ... لمتيَّم فيها مقام

يا من يتعب فى التعبد ولا يجد لذّة ، أنت بعدُ فى سَوادِ البلد ، اخرج إلى البادية تجد نسيم نجد ، لو صح قصدك فى الخدمة حمل عنك أعباء التعب .

بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى

لمّا استسلم الذابح والذبيح لامتثال الأمر ألقى الآمر على السكين السكون . غلبت حرارات الخوف على قلب داود - عليه السلام - فصار كفه كير ﴿ **وألنا له الحديد** ﴾ [سورة سبأ : ١٠] وقويت روحانيَّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنبع الماء من بين أصابعه[١] .

لولا مدامع عشاق ولوعتهم ... لبان فى الناس عزٌّ الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت ... وكل ماء فمن دمعٍ لهم جار

يا هذا « أردت أن تنظر إلى »[٢] الحياة بعد الموت ، أقبل على طيور هواك فصرهن إليك ، قطعهن بسكين زهدك ، وفرقهن على جبال عزائمك / ثم ادعهن ٤٣/أ إلى باب توبتك ، يأتينك سعيًا ، أمر الخليل بأربعة من الطير ، كلٌّ يشير إلى حال الآخر ، أخذ حمامًا ينوح من طول شجنه ، وغرابًا يبكى على غربته ، وطاووسًا يتباهى فى زينته ، ونسرًا يدل بامتداد أجله . يا واقفًا مع الصُّوَر خالط عالم

---

(١) أخرجه البخارى (٤ / ٢٣٥) ح (٣٥٧٩ - فتح) عن ابن مسعود مرفوعًا .
(٢) ما بين قوسى التنصيص ملحق فى حاشية الأصل ، وفوقه : « صح » .

المعنى، أنت تحبس البلبل لطيب صوته ، فلو تأملت المعنى ، علمت أنه يبكى لفراق أحبّته .

أفنى عُددى عدٌّ ليالى الهجر كم أصبرُ قد حَلَّ قوائى صبرى

قد طال علىَّ يا عذولى دهرى فاليوم يمر بى كألفى شهر

أطيب الزمان زمان الربيع ، ومن أحسن أزهاره الورد ، وزيارته زيارة طيف فى ليل صيف ، بالله لو علم قصر مدته ما تبسم ، بينما هو ينشر بزَّ ريحه فى شمال البكور بزّه الناظور[1] ، فإذا هو فى زجاجة التنور ، وقيل له : لم اغتررت بزور ؟ كلما أوقدت نارُ العتاب تحته سال دمعه على تفريطه . فيا من يؤنسه الأمل ، ويا من عُمُرُه كالورد ، واغتراره كضحكه ، أسِل بنار الخوف دمع الأسى على التفريط؛ لتصلح قطراتك لطيب الملوك ، عين بكت من خشية الله لا تمسها النار أبدًا . خلق الله سبعة أبحر واستقرض دمعة .

الماء عندك مبذولٌ لشاربه وليس يرويك إلا دمعة الباكى

٤٣/ب

يا أطيار الأدَميّة إما عبّادان التعبد ، وإما استفراخ / العلم ، وإلا فالذبح .

إخوانى : إما طول همَّة ، أو انكسار استعطاف ، أو تواضع ذلة . استطال الصولجان فنال كفَّ الملك ، انحنى رأس الصولجان ليقبِّل خدَّ الأُكرة[2] ، استدارت الأكُرة لتكون كلها خدًّا تُعَفِّره بين يدى الصولجان .

وا عجبًا لطارد يطردها بالضرب ، ثم يُسرع فى طلبها ، فافهموا من ذلك : اهبط أنت وزوجك ، « **ينزل إلى سماء الدنيا** »[3]، ﴿ **اهبطوا منها جميعًا** ﴾ [سورة البقرة : ٣٨] . ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾ [سورة يونس : ٢٥] وحدى أتكلم وخدى يتألم ، ألا مُرِيد يد يتعلَّم ، ألا مودع فيسلم .

هو الحمى ومغانيه مغانيه فاحبس وعان بليلى ما تعانيه

---

(١) هو حافظ الكرم والنخل . القاموس « ن ظ ر » .

(٢) الأُكرة : لغية فى الكرة . القاموس « أ ك ر » .

(٣) تقدم تخريجه ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

ما فى الصِّحاب أخو وجدٍ تطارحه حديث نجد[١] ولا صَبٌّ تجاريه

إليك عن كل قلب فى أماكنه ساهٍ وعن كل دمع فى مآقيه

يوهى قوى جلدى من لا أبوح به ويستبيح دمى من لا أسَمِّيه

يجنى فما فى لسانى ما يعاتبه ضعفًا بلى[٢] فى فؤادى ما يدانيه

الفصل الثالث والعشرون

إخوانى : أنستم بسماع العلم ، واستوحشتم من العمل ، وإنما تدفع الشدائد بالاستعداد لها ، لا بالخوف منها . الهربَ الهرب من دار يُتباعد عنها كل يوم ، الطلب الطلب لدار يُتقرب منها كل وقت[٣] ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ [سورة المزمل : ١٩ ، سورة الإنسان : ٢٩] كيف تأمنون / النار ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ [سورة مريم : ٧١] ؟!وكيف تؤثرون الفانى على الباقى ﴿ **وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع** ﴾ [سورة الرعد : ٢٦] وكيف تنسون عيب المعاصى ﴿ **ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ [سورة الزلزلة : ٨] ؟! إن الجزاء مُرصَدٌ ﴿ **ليس بأمانيكم** ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] .

٤٤/أ

لو رأيتم العاصى يتأسف ﴿ **يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى** ﴾ [سورة الفجر : ٢٣] . إذا واجه سفرًا طويلاً بغير زاد ﴿ **يقول يا ليتنى قدمت لحياتى** ﴾ [سورة الفجر : ٢٤] .

يا من إذا أصبح طلب الشهوات ، وإذا أمسى تقلب على فراش الزلات ، أين أنت من قوم نصبوا الآخرة بين أعينهم ؟ فقلوبهم وجلة ، وأفئدتهم قلقة ، هيهات هيهات ما لك سهم من نصيبهم ﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾ [سورة ص : ٤٦] . نقضوا الدنيا فبنوا الآخرة ، قلبوا العادات : فأكلوا بالليل وقاموا بالنهار .

قالت بنت الربيع بن خيثم : يا أبة ما لى أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ؟!

---

(١) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « ليلى » .

(٢) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « ولا » .

(٣) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « يوم » .

قال لها : يا بنيه ، إن أباك يخاف البيات[١] .

دعوني ونعمان الأراكِ أرودُه   يجاوب صوتى طيره المتناوِحَا

عسى سانح من دار ميَّة يا من   يُقيض لى عن شائمٍ طار بارحا

قالت أم عمر بن المنكدر : يا بنى أشتهى أن أراك نائمًا . فقال : يا أماه ، إن الليل يَرِدُ علىّ فيهُولنى ، فينقضى عنى وما قضيتُ أربى .

من ناظر لى بين سَلع وقُبا   كيف أضاء البرق أم كيف خبا / ٤٤/ب

نبهنى وميضُه ولم تنم عينى   ولكن ردَّ عقلاً عَزَبَا

قرَّت لى بنات صدرى خافقًا   واستبردته أضلعى مُلتهبا

يا لنسيم سحر بحاجر ردت به   عهد الصبَّا ريحُ الصَّبَا

سل من يدل الناشدين بالغضى   على الطريد ويَرُد السَّلبَا

أراجعٌ لى والمنى تعِلَّةٌ   وطالع نجمُ زمان غَرَبَا

إذا اطمأنت أضلعى تذكرت   نواك فاهتزت جوىً لا طرَبَا

فلا تدعنى أسأل الركبان عن   قلب دوى وأستطبَّ الكتبَا

كان بشر بن الحارث الحافى لا ينام إلا أن يُغلب ، فقيل له : ما لك لا تنام ؟ فقال : أنا رجل مطلوب .

وخلف الضلوع زفير أبَى   وقد بردَ الليل أن يَبردَا

كان بعض العباد يصلى فى الليل ركعتين يختم فيهما القرآن ، ثم يتم الليل بالبكاء إلى الصباح .

ما على ذى لوعة نبَّههُ   بارق من قتل الغور فشامَا

كلما أومض من نحو الحِمَى   قعد القلب من الشوق وقامَا

حبذا الدار وإن لم يلقنا   ساكنُ الدار بها إلا لِمَامَا

يا خليلى انظر عنى الحمى   إن طرف العين بالدمع أعَامَا

(١) يعنى : يأتيه الموت فجأة فى جوف الليل .

أخلق الربعُ وأعلاق الهوى مستجدّاتٌ ولوعًا وغرامًا

آه من برق على أرض الحمى نبّه الشوقَ على القلب وناما

٤٥/أ أخرجهم الخوف إلى مقام الوله[1] ، فلو رأيتهم لقلت مجانين ، / اشتغلوا عن نفوسهم بإصلاح قلوبهم ، عَرِى أويسٌ حتى جلس فى قوصرّة[2] . وقدم بشر الحافى من عبادان وهو مؤتزر بحصير .

إذا المرء لم يدنس من اللوم عِرضه فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

كان أويس يلقط النوى فيبيعه بما يُفطرُ عليه ، فإذا أصاب حشفة[3] ادخرها لإفطاره ، ويلتقط الخرق من المزابل فيغسلها فى الفرات ويرقعها لستر عورته ، ويفر من الناس فلا يجالس أحدًا ، فقال له أهله : هذا مجنون .

قالوا جُننت بمن تهوى فقلت لهم ما لذة العيش إلا للمجانين

فبنوا له بيتًا على باب دارهم ، فكانت تأتى عليه السنون لا يرون له وجهًا ، وكان إذا خرج ضرب الصبيان عقبيه بالحجارة حتى تدمى ، وهو ساكت ، ولسان الحال يقول :

ولقيت فى حُبك ما لم يلقه فى حب ليلى قيسُها المجنون

لكننى لم أتَّبع وحش الفلى كفعَال قيس والجنون فنون

علِمَ القوم أن رضاه فى ابتلائهم ، فأحبوا البلاء ، دخلوا على سويد بن غفلةَ وقد أضنِى على فراشه ، فلولا أن امرأته كلمته ما علموا أن تحت الثوب أحدًا ، فقال : والله ما أحبُّ أن الله نقصنى منه قلامة ظُفُر .

٤٥/ب روحٌ تردَّد فى مثل الخلال[4] إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يَبِنِ/

كفى بجسمى نحولاً أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

---

(١) الوله : شدة الحزن حتى يذهب العقل . المعجم الوجيز (ص ٦٨١) .

(٢) القوصرة : وعاء التمر . القاموس « ق ص ر » .

(٣) الحَشف : الخبز اليابس . والحَشَف : أرداأ التمر . القاموس « ح ش ف » .

(٤) الخِلال : المنفرج بين الشيئين . المعجم الوجيز (ص ٢١٠) .

لقى رجل إبراهيمَ بن أدهم فى البرية فقال له : أين العُمران ؟ فأومأ بيده إلى المقابر ، فضربه فشج رأسه ، فقيل له : هذا إبراهيم بن أدهم ، فرجع فاعتذر إليه، فقال له إبراهيم : الرأس الذى يحتاج إلى اعتذار تركته ببلخ .

وكانت على الأيام نفسى عزيزةٌ فلما رأت صبرى على الذل ذلَّت

كانت نفس إبراهيم تترفع بالكبر ، وتمرح فى بوادى العُجب ، فلما عرفت حقيقة الأمر عَزَفت عن الهوى ، وقدمت من سفر الجهل .

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

مرّ رجل بإبراهيم بن أدهم وهو ينطر[1] كرمًا ، فقال : ناولنى من هذا العنب . فقال : ما أذن لى صاحبُه . فقلب السوط وضرب رأسه ، فجعل إبراهيم يطاطى رأسه ويقول : اضرب رأسًا طالما عصى الله .

من أجلك قد جعلت خدى أرضًا للشامت والحسود حتى ترضى
مولاى إلى متى بهذا أحضى[2] عُمرى يفنى وحاجتى ما تُقضى
لو قطّعنى الغرام إربًا إربًا ما ازددت على الملام إلا حُبًّا
لا زِلت بكم أسيرُ وجدٍ صبًّا حتى أقضى على هواكم نحبا
يا من هجروا وجملتى تهواهم قلبى سكنوا فلِم جفوا مأواهم / ٤٦/أ
ما أطيب فى فمى بهم ذكراهم فليحتكموا فليس لى إلاَّ هُم

الفصل الرابع والعشرون

يا معاشر المذنبين ، إن كان يأجوج الطبع ومأجوج الهَوى قد عاثوا فى أرض قلوبكم ﴿ **فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما** ﴾ [سورة الكهف : ٩٥] . اجمعوا لى عزائم قوية لا ضعيفة ﴿ **آتونى زبر الحديد** ﴾ [سورة الكهف : ٩٦] . تفكروا فى ذنوبكم السالفة لتثور صُعَداءُ أنفاس الأسف ، فلا أحتاج أن أقول ﴿**انفخوا**﴾ [سورة الكهف : ٩٦] شيدوا بنيان العزائم بهجر المألوف ؛ ليستحجر

---

(١) نطر الكرم : حفظه . القاموس « ن ط ر » .

(٢) حضأ النار : أوقدها . القاموس « ح ض أ » .

البناء فيستغنى أن نفرغ عليه ﴿ قطراً[١] ﴾ [سورة الكهف : ٩٦] ، فقد فعل هذا مَن قبلكم ، فجاء الأعداء ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾ [سورة الكهف :٩٧] .

ليس عزمًا ما فرط المرءُ فيه ... ليس همًّا ما عاق عنه الكلامُ

من يهُن يسهُل الهوان عليه ... ما لجُرح بميت إيلامُ

الدنيا دارُ ابتلاء تشبه قصر مِصرَ ، استبق الباب فيها يوسف الصبر ، وزليخا الهوى ، وقُمُصُ الأعمال تعرض على يعقوبَ الشفاعة ، فمن رأى قميصه قد من قُبل قال : سُحقًا سحقًا ، ومن رأى قميصه قدَّ من دُبر قال : ادَّخرت شفاعتى . من أراد أن ينظر إلى محاربة العقل والهوى ، فلينظر إلى الضباب والشمس كيف يتحاران[٢] فتارة تقوى عليه ، وتارة يقوى عليها ، فإن قوى عليها حجبها عن العيون من حُجب الغيوم ، وإن قويت عليه نسخته فكان يوم صحوٍ ، فالضباب / الهوى والشمس العقل . إذا هبت شمال التخويف نسفت غيم الغفلة ، فإذا نسمت صبا التشويق جاءت بريَّا[٣] القرنفل ، ففتح المتيقظ عينه ، فإذا روض رياضٍ غداة صحوٍ ، وإذا شآبيب[٤] العيون تجرى بلا غيم .

٤٦/ب

أحبُّ الشمال وأهوى الجنوبا ... لأنهما يسعدان الحَبيبا

تمر الشمال بريح الحبيب ... فتفعل بالقلب شيئًا عجيبا

وتأتى الجنوب برد الجواب ... فيأخذ ذو الوجد منها نصيبا

إلهى ، الملائكة قالت عنا : ﴿ أتجعل ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . والشياطين أجالت علينا يوم ﴿ فأزلَّهما ﴾ [سورة البقرة : ٣٦] . والهوام تقصدنا بالأذى وطباعنا جاهلة بالمصالح ، فصديقنا منها شرٌّ من العدو ، والذنوب قد شدَّت فسدت أبواب المعاذير ، وزَلَلُنا فى مخالفتك أكثر من طاعته ، وطاعتنا مدخولة بآفات أقلها غفلتنا ، فما بقى لنا إلا رجاؤك ، فإن أعرضت عنَّا فالهلاك ناجز ،

---

(١) أى : نحاسًا مذابًا . المفردات (ص ٤٠٨) .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى من الحوير : وهو العداوة والمضادة . القاموس « ح و ر » .

(٣) هى الريح الطيبة . القاموس « ر و ى » .

(٤) جمع شُؤبوب : وهو الدفعة من المطر ، وأول ما يظهر من الحسن . القاموس « ش أ ب » .

بحرمة جِدالك عنَّا يوم ﴿ **إنى أعلم** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . وتفضيلك لنا حين قلت : ﴿ **اسجدوا** ﴾ [سورة البقرة : ٣٤] . وإقطاعك الجنة لنا يوم ﴿ **اسكن** ﴾ [سورة البقرة : ٣٥] . ولطفك فى إخراج أبينا بمنشور ولاية ﴿ **إنى جاعل** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . وقربك منا فى إعلام ﴿ **فإنى قريب** ﴾ [سورة البقرة : ١٨٦] . واستعراضك حوائجنا كل ليلة فى رسالة : « **هل من سائل** »[1] . ومداواة جريحنا بمرهم ﴿ **لا تقنطوا** ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] . ودعائك إيانا فى مضمون ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾ [سورة يونس : ٢٥] وإرشادك لنا إلى أرباح ﴿**هل أدلكم على تجارة** ﴾ [سورة الصف : ١٠] . / بحرمة ملاطفة ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا** ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥] . بخصيصة سرّ ﴿**يُحبُّهم**﴾ [سورة المائدة : ٥٤] . لا تُدِل[2] علينا أعداءَنا ، واشف أنت داءَنا .

٤٧/أ

حبيبى أعدائى كثير وشقّتى بعيد وأسـاعى [3] لديك قليل
وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعِلة فأفنيتُ عِلاتى فأيـش أقول
إذا لم يكن بينى وبينك مُرسل فريح الصبا منى إليك رسُولُ

ابعُد يا إبليس ، فأبونا نزل بولاية الخلافة ، وأنت مطرود ﴿ **قال اذهب** ﴾ [سورة الإسراء : ٦٣] . باب الكرم مفتوح لمذنبينا ليلاً ونهَاراً ، ورسائل الدجى لا تنقطع عنا ، وأنفاس صالحينا تُحرقُ كلَّ حجاب .

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى حبذا أنت لو مررت بنجدِ
أجرِ ذكرى نعمتِ وأنعت غرامى بالحمى ولتكن يداً لك عندى

نسمات الأسحار رسل يهتز العرش لما حملت

قال داود - عليه السلام - : يا جبريل ، أى الليل أفضل ؟ قال : ما أدرى ، إلا أن العَرش يهتز من السحَر .

---

(١) تقدم تخريجه ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

(٢) من الإدالة : وهى الغلبة . القاموس « د و ل » .

(٣) من السعى : وهو القصد . القاموس « س ع ى » .

يا نسيم الريح هل من وقفة تطفئُ الغُلَّة أو تشفى الأوامَا

كن رسولاً بسلام عائداً نحو من أنفذ لى فيك السلامَا

لم تُثر شجوى حمامات اللِّوى بل غرامى عَلَّم الشجوَ الحمامَا

عجبًا من فقد قلبى بعدكم كيف لم أفقد مع القلب الغرامَا

عندكم عقلى فردُّوا بعضه أحمل اللوعة فيكم والملامَا / ٤٧/ب

أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة ، لما حملت الصَّبا ريح قميص يوسُفَ لم يفضض ختامَها إلا يعقوب ، ما وجدها أهل مصر ومن عندهم خرج ، ولا يهوذا وهوَ الحامل ، ولا أهل كنعان وإليهم وصل ، وإنما قال صاحب الوجد : ﴿إنى لأجد﴾ [سورة يوسف :٩٤] . «ربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[١] .

تَمُرُّ الصَّبا صفحًا بساكن ذى الغضا ويصدع قلبى أن يُهب هبوبها

قريبةُ عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حلَّ حبيبها

ويح الأسحار تأتى بألطاف الحبيب ، لا يَسل عن عبادى غيرى ، ثم تعود فَيجًا[٢] تطلب رسالة ، فمن لم يكتب كتابًا فماذا يبعث ؟!

يا نفحات الريح مُرِّى سَحَرًا فقبِّلى طُرَّةَ أرض بابل

صفى لأهل بابل ما بلى[٣] وبلِّغيهم فى الهوى رسائلى

كم من دم طُل بغير ثائروكم قتيل كلفٍ بالقاتل

الفصل الخامس والعشرون

عباد الله ، اذكروا العهد الأول: ﴿ألستُ بربكم﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]. ﴿أوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾ [سورة البقرة : ٤٠] . ما تفسير العهد؟ ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [سورة يوسف : ٤٠] ما تمام العهد إلا العمل بمقتضاه ﴿ فاتقوا

---

(١) أخرجه أبو داود ح (٣٦٦٠) ، والترمذى ح (٢٦٥٦) وقال : حديث حسن . اهـ . وابن ماجه ح (٢٣٠) ، وابن حبان فى صحيحه ح (٧٢ - موارد) عن زيد بن ثابت مرفوعًا .

(٢) لعلها من الفوج : وهو الإسراع . القاموس « ف و ج » .

(٣) أى : ما أهمنى . القاموس « ب ل ى » .

الله ما استطعتم ﴾ [سورة التغابن : ١٦] .

تلك العهـود بشدها مختومـة عندي ... كما هي عقـدهـــــا لم يحلل

نار الجد والاجتهاد تقع في حراق ﴿ **ألستُ** ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]. والحُرَّاق الذي عندك قد تركته في أنداءِ[1] الهوى فخفَّفه بالتخويف وقد / وقعت فيه . ٤٨/أ

يد الهوى تَحُلّ عـقد العهـد ، وكفُّ التوبة تُعِيدُ الشـدَّ ، للقلب يقظة وللنفس غفلة ، واليقظة مقهورة لانبساط جنود الهوى في مدينة البدن ، فإذا جاءت الموعظة أمـسك هوى النفس عن عـمله ؛ شغـلاً بتـدبر النصح ، فنهـضت يقظة القلب، فوجدت حارس الهوى مبهوتًا ، فإن أَسَرْت أَسَرَت كل من كان مطلقًا من جنوده. جناحـا الطائر يعجـزان عن حمل جُملتـه ، فقـد أُعين بخلق الريش على جميـع البدن، فإذا حرك الجناحين دخل الهواءُ في باقي الريش ، فصار كجناحين آخرين، فيقطع الأفلاك بجميع البدن ، فتحريكه الجناحين في وزان الكسب ، وخرقُ الهواء الريش في مقام التوفيق .

ألا فـاجَهـد الـنفس في نيلهـا ... ولا ترقبنَّ عســـى أو لعـلا

إذا المرء لـم يحظ بعـد الطِّلاب ... فـبـالجَد لا قـدمُ المرء زلاَّ

لا أنكر أن طبعك يميل إلى الدنيا ، « **يهرم ابن آدم ويشِبُّ منه اثنتان الحرص والأمل** »[2] . ولكنَّ أثر الاجتهـاد يلين أحكام الشكر ، « **ليس الشديد بالصرعة ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب** »[3] معالجـة الداء الدفين أمرٌ صعبٌ ، وأثبت الأمراض : « **شح مطاع وهوىً متبعٌ وإعـجاب المرء بنفسه** »[4] قد عرفت احتيال

---

(١) جمع ندى : وهو الثرى . القاموس « ن د ا » .

(٢) أخرجه البخاري (٨ / ١١١) ح (٦٤٢١ - فتح) ، ومسلم ح (١٠٤٧) عن أنس مرفوعًا ، واللفظ أقرب لرواية مسلم .

(٣) أخرجه البخاري (٨ / ٣٤) ح (٦١١٤ - فتح) ، ومسلم ح (٢٦٠٩) عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٥٤٥٢) (٥ / ٣٢٨) ، والقضاعي في مسنده ح (٣٢٥) (١ / ٢١٤ - ط مؤسسة الرسالة) عن أنس مرفوعًا .
وعزاه العجلوني في كشف الخفا (١ / ٣٨٦) إلى البزار والطبراني وأبي نعيم ، وقال : بسند ضعيف . اهـ .

٤٨/ب الهوى عليك حتى أوقعك فى شَرَكه فالآن قد / أفلتتك التوبة ، « **والمؤمن لا يلسع من جحر مرتين** »[(١)] . إياك والشبع ؛ « **فما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطن** »[(٢)] لازم الأزْمَ[(٣)] ؛ « **فالحمية رأس الدواء** »[(٤)] تصبَّر لقطع الميدان ، فاليوم الرِّهان وغدًا السباق ، لا ينفع الفرسَ إذا سُبق كونه عربيًا ، « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** »[(٥)] أحسن أعمال التائبين البكاء .

قال ﷺ : « **ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين : قطرة دمع من خشية الله ، وقطرة دم تُهراق فى سبيل الله** »[(٦)] .

وقال ﷺ : « **كلُّ عين باكيةٌ يوم القيامة إلا عين غُضت عن محارم الله ، وعين سهرت فى سبيل الله ، وعين يخرج منها مثلُ رأس الذباب من خشية الله** »[(٧)] .

وكان من دعائه ﷺ : « **اللهم ارزقنى عينين هطَّالتين تبكيان بذروف الدمع ، وتشفيانى من خشيتك ، من قبل أن يكون الدمع دمًا والأضراس جمرًا** »[(٨)] .

---

(١) أخرجه البخارى (٨ / ٣٨) ح (٦١٣٣ - فتح) ، ومسلم ح(٢٩٩٨) عن أبى هريرة مرفوعًا : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

(٢) أخرجه الترمذى ح (٢٣٨٠) وقال : حسن صحيح . اهـ . والنسائى فى الكبرى ح (٦٧٦٨)، وابن ماجه ح (٣٣٤٩) عن المقدام بن معدى كرب مرفوعًا .
وقال الحافظ فى الفتح (٩ / ٥٢٨ ط . دار المعرفة) : حسن . اهـ .

(٣) الأزم : الإمساك وترك الأكل ، وأن لا يدخل طعامًا على طعام . القاموس « أ ز م » .
وقد ضبطت هذه الكلمة فى الأصل بفتح الزاى .

(٤) قال السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص ٣٨٩) : لا يصح رفعه إلى النبى ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره . اهـ ، وكذا قال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٦ ط . دار المعرفة) ، وملا على القارى فى المصنوع (١ / ١٧٢ط . مكتبة الرشد) .

(٥) أخرجه مسلم ح (٢٦٩٩) عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ : « من بطّأ . . » .
وأخرجه بلفظ المصنف - رحمه الله - : الترمذى ح (٢٩٤٥) ، وأبو داود ح (٣٦٤٣) ، وابن ماجه ح (٢٢٥) عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٦) أخرجه الترمذى ح (١٦٦٩) وقال : حسن غريب .اهـ . وابن أبى عاصم فى الجهاد ح (١٠٨) (١ / ٣٢٣ ط . مكتبة العلوم والحكم) عن أبى أمامة مرفوعًا .

(٧) عزاه فى الجامع الصغير (ص ٩٨) إلى أبى نعيم فى الحلية عن أبى هريرة مرفوعًا ، وقال السيوطى : حسن . اهـ .

(٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢ / ١٩٦ ط . دار الكتاب العربى) وخيثمة بن سليمان فى كتاب « من حديث خيثمة » (١ / ١٩١ . دار الكتاب العربى) عن ابن عمر مرفوعًا.

إخواني : من تفكر فيما جنى ، جنى فكره البكاء . من تذكر هتك الحِمَى نهكته الحُمَّى « **ألا وإن حمى الله محارمه** »[١] .

بات كلابُ بن جزء على ساحل البحر ليلة فبكى حتى كاد يموت ، فقيل له : ما هذا البكاء ؟ فقال : رأيت أمواج البحر فتذكرت إطباق النيران وزفرتها .

جَنَّ الظلام فجُن منه جَنانُهُ … وتضايقت بهمومه أغصانُه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى … بَرقٌ تألَّق مَوهِنًا لمعانه / ٤٩/أ

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه … والماء ما سحَّت به أجفانه

يقول الله - عز وجل - في بعض كتبه : وعزتي لا يبكي عبدي من خشيتي إلا أبدلته ضحكًا في نور قُدسي ، قل للبكائين من خشيتي : أبشروا فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت ، قل للمذنبين من عبادي : فليجالسوا البكائين من خشيتي لعلي أصيبهم برحمتي إذا رحمت البكائين .

دمعي لفراقكم يحاكي المُزنا[٢] … والشوق يزيد فوق حزني حزنا

كم أخدع بالوصال قلبي المُضنا … أرجو وعسى هجرهم أن يفنى

من يرجع دهرنا بأرض الجزع … بين الأثَلات والرُّبا في سَلَع

قالوا لي اصبر وليس ذا في وسعي … يا حُزن اقم وأنت سِر يا دمعي

قال النضر بن سعيد : ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرّم الله على جسدها النار ، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلَّة يوم القيامة ، ولو أن عبدًا بكى في أمة من الأمم ، لأنجى الله تعالى ببكاء ذلك العبد تلك الأمة من النار ، وما من عمل إلا وله وزن إلا الدمعة فإنها تطفئ بحورًا من النار .

كان في خد عمر - رضي الله عنه - خطَّان أسودان من البكاء . وكان في وجه ابن عباس - رضي الله عنه - مثل الشِّراك[٣] البالي من البكاء . وبكى عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - حتى بكى الدم .

(١) أخرجه البخاري (١ / ٢٠) ح (٥٢ - فتح) ، (٣ / ٦٩ - ٧٠) ح (٢٠٥٦ - فتح) . عن النعمان بن بشير مرفوعًا .

(٢) أي :السحاب . القاموس « م ز ن » .

(٣) هو سيرُ النعل على ظهر القدم. المعجم الوجيز (ص ٣٤١) .

٤٩/ب

من شانك خَدَّ صحن خدِّى شانى أنى أنســـاك يا جِلا أحزانى /
شوقى الباقى وصبر قلبى الفانى إن جفت أجفانى عليك ما أجفانى
قلبى وَلِهٌ وجفنُ عينى دامى قد حِرتُ فما أُبصِرُ ما قُدَّامى
يا عاذل كم هممت بالإقدام إن أهجرهم فما مست أقدامى

بكى العلاء بن زياد حتى عَشِى بصره . وبكى هشام الدَّستوائى حتى فسدت عينه ، فكانت مفتوحة وهو لا يكاد يبصر بها .

وبكى سعيد بن جبير حتى عمش ، وبكى ثابت البنانى حتى عمى بصره أو كاد يذهب ، فقيل له : ما نعالجك إلا على أن لا تبكى . فقال : لا خير فى عين لا تبكى . وكان عون بن عبد الله إذا بكى مسح وجهه وقال : بلغنى أن النار لا تمس موضع الدموع .

قوت المريدين البكاء ، وحُزن المريدين حمل ثقيل على القلب لا يخففه إلا البكاء، فإن رزقوا ذلك فى خلوة تضعفت الراحة ، لو رأيتهم من شدة الكرب يتشبثون بذيل الظلام ، ويأنسون بنوح الحمام ، ويهربون إلى الفوات ، وغاية لذتهم الخلوات .

قال سرِى : بتُّ بقرية فإذا بطائر يقول طول الليل : أخطأت لا أعود . فقلت لأهل القرية : ما هذا ؟ فقالوا : طائرٌ يُسمى فاقدَ إلفه .

وشَت حمامةُ سلع فى الأراكة بى كأنما عندها من لوعتى خبرى[1]

الوُرق[2] توافق المحبين فى الصورة ، إلا أن الفرق فى المعنى : أننا نبكى وتغنى .

٥٠/أ

وهاتفة فى البان تُملى غرامَها وتتلو علينا من صَبابتها صِحبا /
عجبتً لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويسجو قلوب العاشقين حنينُها وما فهموا مما تغنت به حَرفا

---

(١) غير واضحة فى الأصل ، وكأنها هكذا .

(٢) تقدم معناها مرات ، وهى نوع من الإبل .

ولو علموا ما تحت غامض قولها من السِّرِّ والمعنى لكان لهم حتفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقًا ولا خَضَبت كفا
أجارتَنا أذكرتِ من كان كامنا[١] وأضرمت نارًا للصَّبابة ما تطفا

نوَّاح الحمام لا يطلب من المشتاق أجرة ، بينهما أنسٌ ممزوج بمنافرة .

إن كنت تنوح يا حمام البان للبين فأين شاهدُ الأحزان
أجفانك للدموع أم أجفاني لا يُقبل مدَّعٍ بلا بُرهان
كم كم أشكو وأين نفع الشكوى قد قلَّ تصبُّرى وجلَّ البلوى
ما لى جَلَدٌ على جفاهُم يقوى أهوى قلقى إذا جفا من أهوى
الجسم يُذيبُه الأسى والسَّهَدُ والقلب يذيبه[٢] الجوى والكمدُ
هم قد وجدوا وهكذا ما وَجَدوا ما جُنَّ بهم مثل جنونى أحَدُ

الفصل السادس والعشرون

يا معاشر التائبين ﴿ يدعوكم ليغفر لكم ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠] . إنما أحضركم مجلس الذكر ليخرجكم من الظلمات إلى النور . وقد كشف المقصود بقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [سورة النساء : ٢٧] لا تطمعوا فى العفو مع الإصرار ﴿ ليس بأمانيكم ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . لا تخاطروا بمساكنة خواطر المعاصى ﴿ إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [سورة النساء : ١] . الدنيا بحر عميق / قد هلك فيه خلق كثير ، ما أقل السالمين فى بحر الهوى ، أعجب الأشياء فى بحر القلزم سفينة تصل إلى الساحل ، قيل لبعض المسافرين فى البحر : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : سلامتى . ما أكثر الحاضرين وما أقل الحاضرين ، « الناس كإبل مائة ، لا يكاد تجد فيها راحِلة واحدة »[٣] . أفٍّ لراقد

٥٠/ب

(١) كذا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « ناسيًا » .

(٢) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ،وفى الأصل : « يميته » .

(٣) أخرجه البخارى (٨ / ١٣٠) ح (٦٤٩٨ - فتح) ، ومسلم ح (٢٥٤٧) عن ابن عمر مرفوعًا .

الهمة ، أما يسمع أصوات الحداة[1] ، ويحكم دعوا محبَّة الدنيا ، فعابر السبيل لا يتوطَّن .

أقول لنفسى قد سلا كُلُّ عاشق ونفَّض أثواب الهوى عن مناكبه

وحبك لا يزدادُ إلا تجردًا فياليت شعرى ذا الهوى من مناك به

الدنيا فاجرة إذا تزوجها ذو غيرة طلَّق ، وما يدوم على صحبتها إلا مخنَّث .

كان الصالحون يفرون من الدنيا إلى الله ، والآن الفرار من الله إلى الدنيا .

تغيرت البلاد ومن عليها

يا متشبهًا بالصالحين ، عند المحَكّ يتبيّن الفرق ، دود القز ينسج والعنكبوت ، الآدمى يمشى على رجليه والدب ، يا أسير الشهوات يا مقيدًا بالزلات ، استوثق والله منك الفخ ، وما تنتظر إلا الذبح ، ويحك تماوت بالانكسار لعل الصياد يفلتك .

ولأخضعن على هواك لعاذلى حتى يعود القلبُ وهو[2]

١٥/أ عرضت سلعة المحبة فى سوق البيع ، فبذلت الملائكة[3] / ﴿ **ونحن نسبح** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . فقيل : ما تُوتَرُ[4] سكةُ نقدكم ؛ لأن عُجبَ الضارب بسرعة الضرب ، أوجب طمسًا فى المكتوب على الدرهم . فقال آدم : ما عندى إلا فلوس إفلاس ، نقوشها ﴿ **ربنا ظلمنا أنفُسنا** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] . فقيل : هذا الذى ينفق علينا ، أنين المذنبين أحب إلينا من وَجَل المسبحين ، ويحك أيها العاصى تعال إلينا قبل أن يستحضرك ملك الموت ، فيقال : ما جئتنا حتى بعثنا إليك عنيفًا ، بادر ذبح السكين فى شبابك ، فقد عَلِق الشبابك[5] .

---

(١) جمع الحادى : وهو الذى يسوق الإبل بالحُداء - أى : الغناء - . المعجم الوجيز (ص ١٤٠) .

(٢) قدر كلمة غير واضحة فى الأصل .

(٣) قدر كلمة غير واضحة فى الأصل ، لكنها لا تؤثر فى المعنى .

(٤) أى : ما تنقص . المعجم الوجيز (ص ٦٥٩) .

(٥) لعل المصنف - رحمه الله - يقصد الشبابيك وهى جمع الشبكة .

كان بعض الصالحين يقول : يا معاشر الشباب ، بادروا زمانكم ، فإنى أتأسف على أيامى السالفة .

إذا مـا ثغـور الدهـر يومًا تبسّمت إليك ببـشـر فـانتـهـز فرصـة البـشـر

رعى الله أيامًا جنَينـا ثمارهـــا بأيدى المنى من بـين أوراقهـا الخضـر

الشاب التائب كمُسيِّل الماء فى طريق الحجاز ، والشيخ التائب كساقى الماء على دجلة .

إخوانى : الذنب على الذنب يميت القلب ، وربما هجمت العقوبة قبل الإنابة .

قال مالك بن دينار : أصاب رجل معصية ثم أتى نهرًا ليغتسل ، فناداه النهر : يا عاصى ، لو دنوت منى لغرقتك .

وكـان سـراج الـوصل يزهر بيننا فـهبّت بـه ريحُ القطيـعـة فـانـطفى

إخوانى : معالجة المعصـية إذا خطرت حتى تذهب أهون من مداراة التوبة حتى تُقبَل ؛ لأن مـجاهدتها فى البداية بكفِّ / الخاطر ، وفى النهـاية بالندم والأسف والبكاء ، ثم لا يدرى أقبلت أم لا . ٥١/ب

أنوح علـى نفـسى وأبكـى خَطِيـةً تقـود خطايـا أثقلت منِّى الـظهـرا

فـيـا لذةً كـانت قلـيلاً بقـاؤهـــا ويا حـسـرة دامـت ولم تُبق لى عُذرا

ذنوب التائبين منصوبة بين أعينهم مرآةً مقابلة ، كلما أداروا وجوههم دارت .

مأتم المذنبين لا ينقضى آخر الدهر أو يَحُلوا اللحُودا .

كان على بن الفضيل يبكى ويقول : آه كم من قبيحة تكشفها القيامة غدًا .

فــــخـــــذ لـك منك على مُهلة ومُقــــبل عـــــيــــشك لم يـدبر

وخَف هجـمـــةً لا تُقيل العـثـارَ وتطوى الورود عـلى الضــــــــرر

وَمــــثِّل لنفـسك أى الرعـيلين ضــمك فى حلبـة المحـشــــــر

نظرة من داود - عليه السلام - قلبت دولة ملكه حتى أثَّرت فى صوته ، فكان يقول : بحَّ صوتى فى أصوات الصِّديقين .

فوا حسرتا ما أمرّ الفراق   وأعلق نيرانه بالكبُود[1]

لما خرج سليمان - عليه السلام - من ملكه جعل يستطعم ولا يطعم ، فيقول: أنا سليمان ، فلا يلتفتون إليه . ما تخفى سمة الذنب على المذنب ، ولقد كاد المُريبُ يقول : خذونى .

٥٢/أ

قد أشكل والله علىَّ الأمرُ   وازداد تشوقى وقل الصبر/

يا من هجروا إلى متى ذا الهجرُ   يا طولَ عناىَ قد تولى العُمرُ

الدمع يبل بعدكم أردَانى[2]   إن دام علىّ هجركم أردانى[3]

يا من سلب الرقاد عن أجفانى   ما عافيتى بغير من أبلانى

يا مرميًّا فى مطمورة البُعد ، استغث بمن حبسك ﴿ فلنِعْم المجيبون ﴾ [سورة الصافات : ٧٥] . إذا رأيت قطار التائبين مُتَّصلاً فتعلقَ عليه ، بالله ما حث الحادى إلا وقد قرب الموسم .

أهل الغرام تجمعوا   اليومَ يومُ عِتابنا

نعق الغرابُ ببيننا   فغُرابُنا أغرى بنا

إن الذين نحبهم   قد وُكلُوا بعذابنا

قوموا بنا بحياتكم   نمشى إلى أحبابنا

يا قلوب التائبين ارهبى ، يا نفوس المذنبين اهربى ، يا أفئدةَ المشتاقين اطربى ، يا خيل الله اركبى ، « **من مشى إلىّ هرولت إليه** »[4] .

دعوناك بالوسائط فلم تأت فأتَى المُرسِلُ ، « **ينزل إلى سماء الدنيا** »[5] . النطق متشابه ، والذوق محكم .

---

(١) أى : المشاق والعناء . المعجم الوجيز (ص ٥٢٥) .

(٢) جمع الرُّدن : وهو أصل الكم . القاموس « ر د ن » .

(٣) أى : أهلكنى . القاموس « ر د ى » .

(٤) أخرجه البخارى (٩ / ١٤٧ - ١٤٨) ح (٧٤٠٥ - فتح) ، ومسلم ح (٢٦٧٥) عن أبى هريرة مرفوعًا بألفاظ متقاربة .

(٥) تقدم تخريجه ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

ولما رأيت الحبَّ قد مُدّ جسرُهُ ... ونودى بالعشاق قوموا بنا فأسروا
خرجت مع الأحباب كيما أجوزَه ... فصادفنى الحرمان وانقطع الجسرُ
ومالت بى الأمواج من كل جانب ... ونادى منادى الحُبِّ قد غَرِق الصّبْرُ

انكسف اليوم السرُّ ، فافتضح العاصى والعارف .

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت / ٥٢/ب

لو ترى العاشقين فى مأتم البين ... وقد شُقّقت جيوبُ الوصَال
لعذرت الذى بُلى بفراق ... ورحمت المُحِبَّ فى كل حال

كأنى أرى الخلع قد خُلِعت على المقبولين ، كأنى أرى الملائكة تصافح التائبين ، فتعالوا نبكى على المطرودين .

يا موحشَ ناظرى وقلبى مأواه ... أشكوك إليك آه من هجرك آه
إن كان فمى بسرِّك المُودَع فاه ... فاجعل حُرقَ الغرام والصَّدِّ جزاه
أسباب هواك أوهنت أسبابى ... من بعد جفاك فالضَّنى أولى بى
ضاقت حيَلى وأنت تدرى ما بى ... ارحم فالعبد واقف بالباب

الفصل السَّابعُ والعشرُون

إخوانى : ذودوا[(١)] هممكم عن مرعى الأمانى ، فإنه وخم[(٢)] يزيدها عجفًا[(٣)] ، لا تُوَلوا الهوى على مدن الأبدان ﴿ **إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾ [سورة غافر : ٢٦] . ابرءوا من بلوغ الأغراض . « **فالدنيا سجن المؤمن** »[(٤)] ، كل حاصل من الدنيا يُفرح به فلابدّ من حزن يزيد على فرحه، إما أن يذهب عنك أو تذهب عنه ، وَلِّ الدنيا ظهرك تنضُو[(٥)] لك الآخرة

(١) أى : اطردوا . القاموس « ذ و د » .

(٢) فوقها فى الأصل ضبة تصحيح هكذا « صـ » وليس فى حاشية المصورة شيء .

ومعنى وخم : أى لا ينجع كلؤها . القاموس « و خ م » .

(٣) أى : هزالاً . القاموس « ع ج ف » .

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٩٥٦) عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٥) أى : تنزع . المعجم الوجيز (ص ٦٢١) .

نقابها ، خلِّها من يد التمسُّك فطلاقها مهر الأخرى ، ذكر الحساب على اللقمة شوك فى مجرى البلعوم ، كل ما تأكله الشاة من العلف يخرجه العفصُ[١] من جلدها بلا صابون ، شحم كانون[٢] يذوب فى تمُّوز[٣] ، تبلَّغ فالبلغة تريح الهم ، فضول العيش أكثرها هموم ، وأكثرُ ما يضرك ما تحب ، / إذا اتفق القليل وفيه سِلمٌ ، فلا ترِدِ الكثير وفيه حَرْبُ ، المالُ إذا وصل إلى الكرام عابر سبيل ، وإكرام عابر السبيل تجهيزه للرحيل . جسم البخيل يعرق كله إلا الكف ، كفُّهُ مكفوف ما تنفتق من غَرَزة[٤] ، يردُّ على السائل قبل أن يسمع السؤال . أُفٍّ لسمين المال مهزول النوال ، ثروة فى الثريَّا[٥] وهمة فى الثرى[٦] ، كأنه يرى المكارم من المحارم . ٥٣/أ

دنياهم نار بلا جنة والقوم منها فى عذاب أليم

والمالك الهالك والموسرُ المخسرُ والسالمُ مثل السَّليم

لو بقى عليك من دين الزهد حبّة لم يكتب لك التقبيض . « **المكاتب عبد ما بقى عليه درهم** »[٧] ، الزهد عن الزهاد مناجزة ؛ لأنه اشترى متاعًا بمتاع ، وهو عند العارف رفض لما يشغل سره عن الحق ، الخلطة مذلة ، والمخلِّط مُدَلَّه[٨] ، وعُزلة الزاهد عِزٌّ له . من قال بالعزلة قلى[٩] الخلق ، وخلاَّ المخالطة ، يلزم

---

(١) هو داوء قابض مجفف ، يَرُدُّ المواد المنصبَّة . القاموس « ع ف ص » .

(٢) هما شهران من الشهور السُّريانية ، كانون الأول وهو ما يسمى « ديسمبر » من الشهور الرومية ، وكانون الثانى وهو ما يسمى « يناير » من الشهور الرومية . المعجم الوجيز (ص ٥٤٣) .

(٣) هو الشهر العاشر من الشهور السُّريانية ، يقابله « يوليو » من الشهور الرومية . المعجم الوجيز (ص ٧٨) .

(٤) أي : من تمسُّك ،القاموس « غ ر ز » .

(٥) الثُّريا : النجم . القاموس « ث ر و » .

(٦) الثرى : التراب الندى . القاموس « ث ر ى » .

(٧) أخرجه أبو داود ح (٣٩٢٦ ، ٣٩٢٧) ، والترمذى ح (١٢٦٠) وقال : حسن غريب . اهـ. وابن ماجه ح (٢٥١٩) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا ،ولفظ أبى داود فى الحديث (٣٩٢٦) أقرب الألفاظ لما أورده المصنف - رحمه الله - .

(٨) هو الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه ، أو هو من لا يحفظ ما فعل وما فعل به . القاموس « د ل هـ » والمعنيان سائغان فى كلام المصنف .

(٩) القلى : شدة البغض . المفردات (ص ٤١٣) .

المتمذهب رفعُ أذيال قميص الدين ، أكثر من تلقى يُلقى من عدد الإخوان ، فإن شككت فاخبُر تقله[1] ، النفس تجالس من تجانس ، « **الأرواح جنود مُجَنّدة** »[2] ، متى تستوحش من معاشرة الخلق ؟! متى تستأنس بمناجاة الحق ؟!

أوحَشتنى خلواتى بك من كل أنيس وتفردت فعاتبتك فالغيب جليسى

كانت ريحانة العابدة تقوم من أول الليل إلى الصلاة وتقول : / قام المحبُّ إلى المؤمَّل ، قومةً كاد الفؤاد من السرور يطير ، فإذا انقضى الليل صاحت : وا حرباه وا سلباه . ٥٣/ب

ذهب الظلام بأنسه وبأُلفه ليت الظلام بأنسه يتجدَّدُ

أفدى قومًا عيشهم المناجاة ، وعُشهم النجاة .

ما أطيب عيش من تخلى بحبيب يلتذ به بلا محاشاة رقيب

أعيا مرضى بحبكم كل طبيب ما أشقى من يأمُلُ شيئًا فيخيب

إذا جَنّ الغاسقُ جُنَّ العاشق

طال ليلى دون صحبى سَهِرت عينى وناموا

قالت أم سعيد النخعى : كان بيننا وبين داود الطائى حائط قصير ، فكنت أسمع حسَّه عامَّة الليل لا يهدأ ، وربما سمعته يقول : همُّك عطَّل علىَّ الهموم وحالف بينى وبين السهاد ، وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى الشهوات ، وحال بينى وبين اللذات ، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب .

يا مالك مهجتى ووالى دِينى كم ينشرنى الهوى وكم يطوينى

هجرانك مع محبتى تضنينى هلى تدركنى بنظرة تُحيينى

ما لى شغل سواه مَا لى شغل ما يصرف عن هواه قلبى عذل

ما أصنع إن جفا وخاب الأمل منى بدَل ومنها لى بدل

---

(١) لعل معناها : ترفعه وتحمله . القاموس « ق ل ل » .

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٦٣٨) عن أبى هريرة مرفوعًا .

رياح الأسحار أقوات أرواح المحبين ، تحمل رسائلهم وتربى[١] سائلهم .

٥٤/أ

أفى نَجد تجاوبك القبول ... أظنُّ الريح تفهم ما تقول /

تغنَّت فى رِحال الركب حتى ... تشافهت الذوائب والذيول

صحبنا فى دياركم صباها ... يُباريها التنفس والنحُولُ

وأمطرنا سحاب الدمع حتى ... حسبنا أنه مهجٌ تسيلُ

وعُجنا[٢] ذاهلين فما علمنا ... أنحن السائلون أم الطُّلولُ

وأغرينا بذكركم الخزامى ... فمال مع النسيم كما يميلُ

قيام الليل جهاد ، ولكن ليس للجبان حضور المعترك .

قال عبد الله بن إدريس : ما رأيت الليل أخف منه على أبى حيَّان التيمى ، كان إذا أظلم الليل فكأنه الزنابير هيجت من عشها .

وكانت منيرة العابدة إذا جَنَّ الليل قالت : ما أشبه هذه الظلمة بيوم القيامة ، ثم تقوم فلا تزال تصلى حتى تصبح[٣] .

إن هواك الذى بقلبى ... صيّرنى سامعًا مطيعًا

أخذت قلبى وغَمض عينى ... سلبتنى العقل والهجُوعَا

فذَر فؤادى وخذ رقادى ... فقال لا بل هما جميعا

فمرّ عنِّى بذا وهذا ... فبتُّ تحت الدجى صريعا

أين العبادُ ؟! أين الزهاد ؟! ذهبوا وبقى أهل الرقاد .

ألا لا تُذكرَنى الحِمى إن ذكره ... جوًى[٤] للمشوق المستهام المعذب

أتت دون العهد أيامُ جُرهم[٥] ... وطار بذاك العيش عنقاءُ[٦] مُغرِب

---

(١) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا .

(٢) أى : صِحنا ورفعنا أصواتنا . القاموس « ع ج ج » .

(٣) انظر : صفة الصفوة (٤ / ٣١٥) .

(٤) أى : شدة وجد . القاموس « ج و ى » .

(٥) هو حى من اليمن ، تزوج فيهم إسماعيل عليه السلام . القاموس « ج ر هـ م » .

(٦) هو طائر متوهم ، يضرب به المثل فيما هو مستحيل . المعجم الوجيز (ص ٤٣٧) .

خلت والله منهم المساكن ، وترحَّل المقيم الساكن ، ذهب الصحيح وبقى المعقور[١] فى أسفل الوادى لا فى الغُور[٢] ./ ٥٤/ب

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا　　بانوا عنها فليتهم ما بانوا

سلها عنهم لتنطق الأوطان　　مذ ارتحلوا أقامت الأحزان

مضى أهل المعانى وبقى أرباب الدعاوى ، يا ديار الأحباب ، عندك خبر .

ها إنها منازل تعوَّدت　　منى إذا شارفتُها التسليما

وقفت فيها سالمًا رأد[٣] الضحى　　ورحت من وَجد بها سليما

وللهوى سريرة يعرفها من　　حالفٍ الأشجان والهُمُوما

قد وكلتنى أنشد البروق عن　　أهل الحمى وأسأل الرُّسوما

أرعى الهوى وإن حَمَلت　　عِبْأهُ الثقيل أو عذابه الأليما

سجيَّةٌ عُذريَّةٌ إن الهوى　　العُذرى لا يفارق الكريما

يا نفحة الشمال من تلقائها　　ردِّى علىَّ ذلك النسيما

نمت عليك نفحةٌ نجديَّةٌ　　حُمِّلت من عرارها[٤] شميما[٥]

زُرت ولم تُمتعِ[٦] وذُدت مُقلةً　　عنْ الكرى[٧] عودتها التهويما[٨]

---

(١) هو من البعير : الذى قطع إحدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه .المعجم الوجيز (ص ٤٢٧) .

(٢) فى حاشية الأصل : « الغُورُ : ما ارتفع من الأرض » .
والذى فى القاموس والمصباح المنير « غ و ر» : الغَور : هو المنخفض من الأرض .

(٣) أى :ارتفاعه .القاموس « ر أ د » .

(٤) العَرار : واد . القاموس « ع ر ر » .

(٥) أى : مرتفعًا . القاموس « ش م م » .

(٦) أى : لم تبلغ الغاية .القاموس « م ت ع » .

(٧) ذُدت مقلة عن الكرى : دفعت عينك عن النوم .

(٨) أى : التحير . القاموس « هـ و م » .

الفصل الثامن والعشرون

مثل المجلس كمثل المُنْخُل[١] ، فالسابقون إلى التوبة التحريكة الأولى كالحُوارى[٢] ، والتابعون بالحث كالخشكار[٣] ، واللاحقون بالحصق الثالث كالقُطاعة[٤] ، والخارجون كما جاءوا كرد المنخل ، يرمى بين يدى البهائم .

لما قويت ظلمات الشرك فى بيداء الضلال وقعت الجاهلية فى جُبِّ التلف فرد صاحب / الشرع فأرسل رشاء[٥] التخليص ، فمنهم من كان متيقظًا للوارد كبلال وسلمان ، ومنهم من احتاج إلى الخطاطيف كالمؤلفة قلوبهم ، ومنهم من أخذ يقطع الحَبل ولا يصعد كابن أُبى ابن سلول ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ [سورة القصص : ٥٦] . وا عجبًا يبعِّد القريبُ ويقرِّبُ البعيد ، إنى لأجدُ نفَسَ الرحمن من قِبَل اليمن ، « **يا عمرُ ويا على إن لقيتما أويسًا فاسألاه أن يستغفر لكما** »[٦] . « **وا شوقاه إلى إخوانى** »[٧] .

١/٥٥ أ

هبت لنا من رياح الغور رائحة ... بعد الرقاد عرفناها بريّاك[٨]

ثم انثنينا إذا ما هزّنا طرب ... على الرحال تعلّلنا بذكراك

---

(١) هو آداة الغربلة والتصفية . المعجم الوجيز (ص ٦٠٧) .

(٢) الحُوَّارى :الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق . القاموس « ح و ر » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى القاموس « خ ش ر » :الخشار الردىء من كل شىء وسفلة الناس. اهـ .

(٤) هى الحُوَّارى ونخالته. القاموس « ق ط ع » .

(٥) أى : الحبل .المصباح المنير « ر ش ش » .

(٦) قال الحافظ فى الإصابة (١ / ٢٢٠ ط . دار الجيل) : روى الرويانى فى مسنده من طريق بكر ابن عبد الله عن الضحاك عن أبى هريرة - فذكر حديثًا فى وصف الأتقياء الأصفياء - قال : فقلنا يا رسول الله ، كيف لنا برجل منهم ؟ قال : « ذاك أويس » وساق حديثًا فى توصية النبى ﷺ عليًا وعمر إذا لقياه أن يستغفر لهما ، وفيه قصة طلب عمر إياه . اهـ .

وأخرج مسلم ح (٢٥٤٢) عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قوله له : « فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » .

(٧) أورده القرطبى فى تفسيره (٥ / ١٦٣ ط . دار الشعب) ، والآمدى فى الإحكام (١ / ٢٦٩، ٤/ ٢٤٠ ط . دار الكتاب العربى) .

وأخرجه النسائى فى الكبرى (١ / ٩٥) ، والصغرى (١ / ٩٣) ، وابن ماجه ح (٤٣٠٦)، ومالك فى الموطأ (١ / ٢٨) عن أبى هريرة بلفظ : « وددت أنى قد رأيت إخواننا . . » .

(٨) أى : رائحتك الطيبة .

خِلَعُ الاصطفاء على الأولياء يستنشق ريحها المجانسون ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف** ﴾ [سورة يوسف : ٩٤] سهم أصاب وراميه بذى سَلَم ، ما صَلَح لبصر يعقوب أن يقع إلا على مثل يوسف ، فلمَّا فقد المنظورَ ذهب الناظر ، فلما عاد عاد .

لا أُتبعُ الطرف إلى غيركم عينى لكم عين عَلَى قلبى

أَتُرى أنت ممَّن ؟! أترى أنت فيمن ؟! أترى أنت مع من ؟! إن عَزُب فهمُك لكثرة أشغالك بالنهار ، فأجمِّ فكرك بنومة من أول الليل ، ثم انتبه لعلك تنتبه ﴿ **إن ناشئة الليل هى أشد وطأ** ﴾ [سورة المزمل : ٦] الق نفسك على باب الذل فى السحر ، وقل : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] . اكتب قصة الندم بمدادِ الدمع ، وابعث ريح الزفرات تَحملُها ، لعل الجَواب يصل برفع الجوى ./ ٥٥/ب

إن كنت ذللت بعد عز فاخرِ واستغرقك الهوى ببحر زاخر

فاصبر فالصبر نعمَ ذُخرِ الذاخر لابد لكل أول من آخر

لما أخطأ أبوك بتلك اللقمة بدت له سوأته ، فانطلق هاربًا ، فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم أفرارًا منى ؟ قال : لا ، ولكن حياءً ممَّا جئت به ، فنزع جبريل التاج عن رأسه ، وحلَّ ميكائيل الإكليل[١] عن جبيه[٢] ، فلما هبط بكى ثلاثمائة عام ، حتى جرت الأودية من دموعه ، فأوحى الله تعالى إليه : ما هذه البليَّة التى قد أحاطت بك . قال : إلهى عظمت مصيبتى ، وأحاطت بى خطيئتى ، فكيف لا أبكى[٣] ؟!

يا مُمطِرَ ناظرى ومضمى كبدى يا ناء وهو قاطن فى خَلَدِى

هجرانك والجفا أذابا جَلَدِى أقبلتُ إليك تائبًا خُذ بيدى

---

(١) الإكليل : طاقة من الورود والأزهار على هيئة التاج تكلِّل الرأس أو تطوق العنق للتزيين أو التكريم. المعجم الوجيز (ص ٥٣٩) .

(٢) هو ما يدخل منه الرأس عند لبسه . المعجم الوجيز (ص ١٢٩) .

(٣) فى حاشية الأصل : « كيف لا أبكى على عيش مضى، بعت عمرى بحقير الثمن؟! كيف أرجو البرء من داء الهوى ، وطبعى فى الهوى أمرضنى ؟! » وفوقها « خـ » يعنى : فى نسخة .

ما غرَّد طائر على الأغصان إلا وبطيب ذكركم أشجانى

يا شدة حسرتى ويا أحزانى هل يرجع ذاهب الزمان الفانى

قال آدم - عليه السلام - لابنه : يا بنى طال والله حزنى على دار خرجت منها، فلو رأيتها زهقت نفسُك . ثم ما زال يبكى حتى أتاه جبريل - عليه السلام - فقال : ارفع رأسك فقد غُفر لك .

قف بتلك الطُّلول وابكها يا رسول وأقِرَّ عنى سلامى مَن عليها نزول

ربَّ سكان دار فى فؤادى حُلول واسأل الدار عنهم واستمع ما تقول

لى وللبين فيهم شَرحُ حال يطول قد كفانى غرامى لا تُطِل يا عذول

لست أدرى إذا ما لمتنى ما أقول خلَّفونى معنًّى والمعنَّى حمول/ ٥٦/أ

ليس لى غيرُ وَجدى والضنا والنحول

كان كلما تذكر ما كان فيه أنَّ ، وإذا قوِى شوقُهُ بكى وحَنَّ .

تمنَّت أحاليبَ الرِّعاءِ وخَيمةً بنجد فلم يُقدَّر لها ما تمنت

إذا ذكرت نجداً وطيب ترابه وبردَ حصاه آخرَ الليل أَنَّتِ

لها أنةٌ وقت العشاء وأنةٌ سحيرا فلولا أنَّتاها لجُنَّتِ

حجل[1] الناقض للعهد لا يحدُّ ، مريض لا يحب أن يعاد ، ولا يودُّ أن يزول عما يقول ، وحيد يؤثر أن لا يُرى ، مطرق يكره أن يرفع البصر ، يصيح فى خلواته بلسان حسراته : ترى الحبيبُ الغضبان يعود لى كما كان .

كل عضو منك قد شيك ، وتلفُه قريبٌ وشيك ، كلما تقلقل استقال ، ولو أنشَدَ لقال :

ملكت عنان الهوى مرّة فقد ملك القومُ منى العِنانا

وقد كنت جلداً على هجوكم فقد صرت عنه ضعيفًا جبانا

وإنى من خوفكم والرجا أرى الموت والعيش فيكم عيانا

---

(١) الحِجل : الخلخال ، ويسمى القيد حِجلاً على الاستعارة . المصباح المنير « ح ج ل » .

فمُنُّوا على تائب مذنب أتاكم ينادى الأمان الأمانا

قلق الخائف[1] ظاهر بادى ، وقد أزعجَ به الحاضر والبادى ، فلو سمعتموه فى الليل المنادى ينادى :

أيها الغضبان جُد لى بالرضا وارحم الصبَّ وإلا افتضحَا

كل سكران صحا من سكره وفؤادى من هَوَاكم ما صحا/ ٥٦/ب

إن تَذَكَّرَ ربوع الصِّبا تكدر عيشه ، وإن تصور وقوع الجفا زاد طيشه .

ليس لنار الهوى حَمُودُ[2] ولا لدمع الأسى جمُودُ

أقرَّ دمعى بسر قلبى هيهات ما فى الهوى جحود

لو ذاق طعم الغرام وضوى لبات من وجده يميد[3]

قد حمَّلُونى عذاب شوقٍ يعجز عن حَمله الحديدُ

قلت وقلبى أسير وجدٍ متيَّم بالجفا عميد

أنتم لنا فى الهوى موالٍ ونحن فى أسركم عبيدُ

قال بعض السلف - رضى الله عنهم أجمعين - : رأيت شابًّا فى سفح جبل عليه آثار القلق ، ودموعه تجرى ، فقلت : من أنت ؟ قال : آبق من مولاه . قلت : فتعود وتعتذر . قال : العذر يحتاج إلى إقامة حجة ، فكيف يعتذر المقصر؟! فقلت : تتعلق بمن يشفع لك . فقال : كل الشفعاء يخافون منه . قلت: فمن هو ؟! قال : مولى ربانى صغيراً فعصيته كبيرًا ، فواحيائى من حسن صنعه وقبح فِعلى ، ثم صاح وخرَّ ميتًا ، فخرجت عجوز وقالت : من أعان على قتل البائس الحيران ؟! فقلت : أقيمُ عندك أعينك على تجهيزه ، فقالت : خله ذليلاً بين يدى قاتله ؛ فعساه يراه بعين معين فيرحمه .

لا مُسعِدَ لى إلا الأسَى والفِكَرُ كم أحمِل من جوًى وكم أصطبر

---

(١) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « التائب » .

(٢) أى : ليس له فعل يحمد عليه . القاموس « ح م د » .

(٣) أى : يتحرك ويضطرب . القاموس « م أ د » .

٥٧/أ

مالى جلَد ولا لصبرى خَبَر ... صبحى حزن وطول ليلى سهر /

بالله عليك يا فتى الأعراب ... إن جُزت على مواطن الأحباب

فاشرح سقمى وقل لهم ممّا بى ... ذاك المضنى يموت بالأوصاب

العين عليك دمعها مسفوح ... والقلب بمدية[1] الهوى مجروحُ

صِلنى فلقد أذابنى التبريح[2] ... قد متُّ تُرى متى يعودُ الرُّوحُ

الفصل التاسع والعشرون

يا أرباب القلوب القاسية ﴿ **لا تيأسوا من روح الله** ﴾ [سورة يوسف : ٨٧] .

يا أهل الخوف من عواقب الذنوب طيبوا قلوبكم ﴿ **أنه من عَمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

حُلُّوا عقد الإصرار يطل خيط القَبُول ، قلوبكم على أصل الطهارة وإنما نشبت بين أنجاس المعاصى ، فأصابتها رشاش ، فاغسلوها بيسير من مياه العيون وقد طهرَت .

تذكرت أيامًا مضت ولياليًا جرت ... فجرت من ذكرهن دموعُ

ألا هل لها يومًا من الدهر أوبة[3] ... وهل لى إلى أرض الحبيب رُجوعُ

وهل بعد إعراض الحبيب تواصُل ... وهل لبدور قد أفلن[4] طُلوعُ

احتالت إخوان طبعك على يوسف عقلك بحيلة ﴿ **يرتَع ويلعب** ﴾ [سورة يوسف : ١٢] فرمته فى جُبِّ[5] حبِّ الدنيا ، فلو قد صدق تقلقله بُعثت إليه سيارة الفرج .

خرج عمر ليقتل الرسول ﷺ والقدر يقول : يا من خرج ليقتل ، إنما خرجت لتقبل ، فانقلبت التاء باءً .

---

(١) أى : سكين . القاموس « م د ى » .

(٢) أى : توهج الشوق . القاموس « ب ر ح » .

(٣) أى : رجعة . القاموس « أ و ب » .

(٤) أى : غِبنَ . القاموس « أ ف ل » .

(٥) هى : البئر الواسعة . المعجم الوجيز (ص ٩٠) .

كانت ذرَّات الخير مـتفرقة فى تراب طبعه / فـألقى صائغ التأليف ذرةً من زئبق التوفيـق ، فلفقت المتفرق ، فـدخل دار الخيزران[١] وفى باطنه باطيةٌ[٢] خمر سوءِ القصد ، فلم يخرج حتى استحالت خلاً فحلّت . ٥٧/ ب

يكون أجـاجًا دونكم فـإذا انتـهى إلـيكم تلقى طيـبكم فـيطـــيب

إذا أجـدبت أرض القلوب ، فخـرج أهل القـرى إلى صحـراء مجلس الذكـر يستسقون ، هبت رياح لطف ﴿ **حتى إذا أقلت سحابًا ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخـرجنا به من كل الثمرات** ﴾ [سـورة الأعراف : ٥٧] عـمت قطرات المواعظ مـواضع القلوب ، فاحـتمل كل قلب علـى قدر طاقـته ﴿ **فسـالت أودية بقدرها** ﴾ [سورة الرعد : ١٧] كلما لطف الفهم زاد الحظ من الخير .

مـا رأينا قط الفـضائل إلا فـى خفـاف الرحـال لا فى الثـقل ، ينظم الدرُّ فى السلوك ، وتأبى عـزَّة الدُّر نظمه فى الحبل ، يا هذا ، تسـمع ما يجـرى وما لك عين تجرى ، أحديد قلبك ؟! إذًا حجر ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار** ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] ويحك تعرف قبح ما تأتى ثم تدعى إلى التوبة وما تأتى.

حبك الشيء يعمى ويُصم

عقلك يحثك على الإنابة ، وطبـعك يمنعك منها ، وهذا حين الحرب ، والآن حمى الوطيس[٣] . إذا وقع طبيب على دائك فاستكتـبه نسخة ، « **فالحكمة ضالة المؤمن** »[٤] .

انهض فـهـذى عَذَبات رامـة[٥] ومـاؤها العـذب الـنمـيـر البـارد/
وانشـد هنـاك لى فـؤادًا ضـائعًا لولا الهـوى مـا ضل ثمَّ راشـــدُ ٥٨/ أ

(١) دار الخيزران : بمكة . القاموس « خ ز ر » .

(٢) هى إناء عظيم من الزجاج وغيره يحفظ فيه الشراب . المعجم الوجيز (ص ٥٥) .

(٣) حمى الوطيس : جدَّت الحرب واشتدت . المعجم الوجيز (ص ٦٧٤) .

(٤) أخرجه بهـذا اللفظ القضاعى فى مسنده من حديث الليث عن هشـام بن سعد عن زيد بن أسلم مرفوعًا . كذا فى المقاصد الحسنة (ص ١٩١) .

(٥) موضع بالبادية ، قيل : بالعـقيق ، وقال عمارة بن عقيل : وراء القـريتين فى طريق البصرة إلى مكة ، وقيل : إنه من ديار بنى عامر . اهـ . القاموس « ر و م » مع هوامشه .

إذا رأيت التائبين قد أخذوا فى سلوك الطريق فصِح فى أعقابهم : دعونى واتباعى ركابكم . فإن لم تلحقهم فأعلُ نشر الأسف ، واستنشق ريح الآثار ، وسل نسيمها عنهم .

هل مجاب يدعو مبدَّد أوطارى ... بجمع يردُّ أيام جَمع

أو أمين القوى أحمِّله ... همًّا ثقيلاً يحطه دون سلع

فافرجا لى عن نفحةٍ من صباه ... طال مَدِّى لها الصَّليف[1] ورَفعى[2]

إن ذاك النسيم يجرى على ... أرض ثراها فى الريح رقيةُ لَسع

استغث بالمقبولين ، وناد فى نادى المحبين : يا واصلين اشفعوا فى منقطع ، يا نسيم الرحمة قوِّى[3] نفس سقيم .

عَلِّل بَروح الرجاء ... صبًّا أنفاسه للجوى سمومُ

وعُد فسلِّم على أناسٍ ... ما أنا من بعدهم سليمُ

واشرح لهم حال مستهامٍ ... أنت بأشواقه عليمُ

وقل غريب ثوَى[4] بأرض ... فى غيرها قلبه مقيمُ

أحبابنا تنقضى الليالى ... وما انقضت تلكم الكلوم[5]

ذاك اللديغ الذى عهدتم ... بعدُ على حاله مقيم

نحا هذا الشوق حين يمسى ... وتعترى قلبه الهُموم

لم يجر ذكرُ الفِراق إلاَّ ... حَنَّ كما حَنَّتِ الرَّءُوم[6]

٥٨/ب ما أحسن قلق التائب ، ما أحلى قدوم الغائب . /

أبصر الركب على الجزع ضحىً ... فتوالى دمعه مُنسفحا

---

(١) أى : المتكبر المتفاخر . القاموس « ص ل ف » .

(٢) هو ضد الوضع . القاموس « ر ف ع » .

(٣) كذا فى الأصل بإثبات حرف العلة ، وهو جائز على وجه .

(٤) أى : أقام . القاموس « ث و ى » .

(٥) أى : الجروح . المعجم الوجيز (ص ٥٤٠) .

(٦) يقال : شاة رءوم : أى ألوف تلحس ثياب من مر بها . القاموس « ر أ م » .

يا خليليَّ بجرعاء الحمى سائلاً — من حَلَّ ذاك الأبطحا
وخذا عنى أحاديث الغضى — بَخِل الراوى بها أو سمحا
واستملاها بدمعى واكتبا عن — أخى الشوق جوًى ما شرحا
وإذا هب الصبا قولا له عُد — فقد هيَّجتَ قلبًا ما صحا
يا ذهيل الحى من كاظمةٍ — عاد مستور الهوى مفتضحا

سبحان من أرق نسيم الأسحار ؛ ليرفق بأجساد المحبين ، يكفى ما يجرى عليهم طول الليل .

ما أشوقنى إلى نسيم الرندِ[1] — يشفى كبدى إذا أتى من نجدِ
والشيح[2] فإنه مثير الوجد — شوقى شوقى به ووجدى وجدى
سلمت على النسيم أذهب صبا — فارتاح إليه سر قلبى وصبا
يا نجدُ لقد ردت فؤادى وصبًا — هل يرجع فيك عصر وصل وصبا
من لى بهمُ فما أرى إلا هُمُ — القلب يريدهم ولا يأباهم
روحى لهم فكيف لا أهواهم — مهما فعلوا فإننى ما أنساهم

الفصل الثلاثون

الرضا بالقضاء تسليم تسليم[3] للحكم والحكمة ، وما لك نصيب فيه ، الرضا كعبةٌ توجبُ العُبُوديّةُ حجها ، فإذا ابتدأت السّفر فلاحت لك العقبة استرجعت أجرةَ الجمَّال ، عبد هواك متى وافق القدرُ مُرادك رضيت ، ومتى نبا عن / هواك سخِطت ، ثم لا تقنع بسخط قلبك على الأقدار حتى ترميها بسهام الاعتراض عن قوس اللسان ، ويحك إنما رَمَى نمرود بسهم واحد ويَدُ تسَخُّطك فى القوس ما تبرح ، كلما نفد نشابك استقرضت ، لا ترضى بما يفعله سيدك ، ولا تفعل ما يرضاه ، ويحكم إنما العبد من رضى بما يفعله السيد ، ويفعل ما يرضاه ، فالقطع

٥٩/أ

---

(١) هو شجر طيب الرائحة . القاموس « ر ن د » .

(٢) الشِّيح : نبت . القاموس « ش ى ح » .

(٣) فوقها فى الأصل ضبة هكذا : « صـ » . وليس فى الحاشية شيء .

عليه فى باب الرضا كالوصل ، الرضا واجب عليك فى كل الأحوال ، إما لموجَب محبَّة ، أو لِمَلزَم مِلكيَّة .

أألام فيك وهل يلام متيَّم فى الحُبِّ ذو كبد عليك مفتَّت

هيهات لا جذب السُّلوّ بمقودى أبدًا ولا ظفر الملام بسلوتى

اقطَع وصل أو صُدَّ عنى عامدًا طبع الغرام على هواك سجيَّتى

أين أنت وأين الرضا ؟! يا من لا يقدرُ على الصبر ، إنما تفعل الطاعة إذا لم تشاقق هواك ، فأما ما يصعب على الهوى فمهجور .

وا عجبًا تعُد التسبيح بسبحة ، فاجعل أخرى لعد المعاصى ، ستندم إذا شاهدت عملك ﴿ **يوم يتذكر الإنسان ما سعى** ﴾ [سورة النازعات : ٣٥] . وستبكى إذا فات التدارُك ﴿ **وجيء يومئذ بجهنم** ﴾ [سورة الفجر : ٢٣] . كثيرٌ لمن يفعل فعِلك أن يشمَّ الهواء ، متى تفيق من خمار[1] الهوى ؟! متى تنتبه من رقدة الغفلة؟!

٥٩/ب

يا قلب ما أطول هذا الغرام يوم نوى[2] الحى ويوم المقام/

متى تفيق اليوم من لوعة وأنت سكرانُ بغير المدام

يا بعيدًا عن العابدين ، يا وحيدًا عن السالكين ، فتح الباب لأرباب الألباب ، ورُدَّ فى وجهك . أما لك لسان تسألنا به ، أما لك وقت تناجينا فيه ، ولا قلب تجدنا عنده .

أمستوحش أنت مما جنيت فأحسِن إذا شئت واستأنس

بالله ما أظن قساوة القلب الدائمة إلا من أثر سخط الله ، والله إن الرَّمَد ما يخفى من العمى ، دُم على القلق والاستغاثة ، فإن حصل المقصود ، وإلا فلا وجه للسكون .

قيل للخنساء : ما أشد بكاءَك . فقالت : لفقد الأحباب . قيل لها : فإنهم قد

---

(١) أى : الخمر . القاموس « خ م ر » .

(٢) أى : ارتحلوا من مكان إلى آخر . القاموس « ن و ى » .

صاروا إلى النار ، قالت : فذاك أشدُّ لحُزنى .

ماذا على حادى المطايا لو وقف	بقدر ما أنشد قلبى وانصرف
أقالت العيسُ له يوم النوى	إذا رأيت باكيًا فلا تقف
نارُ غَرام وانسكابُ أدمع	يا عجبًا ضدٌّ لضدٍّ قد أَلف
فكلما أطفأتُ هاتيك طفَت	وكلما كفكفت هاذاك وكَف
هوًى وبَينٌ وأسًى وحُرقة	ومدمع هام فممّن انتصف
ما قيل لى هذا الحمى إلا حمى	عن مقلتى طيبَ الكرى طول الأسف
ولا اللوى إلا لويت أخدعى	عنه وأخدعت عن النفس التلف
ولا القليبُ من ديار عامر إلا	برى قلبى بشوق ووَجَف

يا قاسى القلب مثِّل لنفسك وقوع النفس فى حشرجة الموت / لعل يرق قلبك للتوبة ، صورِّ اجتذاب الملك إياها من كل عرق ، قدر ملاحظة القبائح فى ذاك الوقت ، وما تلقى فى القبور ، وما ترى فى المحشر ، وما تقرأ فى الكتاب ، وكيف تمشى على الصراط ، والطامَّة الكبرى إن حُملت إلى جهنم . ٦٠/أ

تفكر فى أحوال أهل المعاصى ﴿ **يوم تقلب وجوههم فى النار** ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٦] . ذكر عينيك إذا امتدت إلى الحرام سيلانها على جمر جهنم ، لعلها تغض .

إخوانى : ليس لأهل النار راحة إلا دوام البكاء .

كان عطاء السُّليمى يقول : إذا ذكرت أهل النار مثلتُ نفسى بينهم ، فكيف بنفس تغل يداها إلى عنقها ، وتسحبُ فى النار أن لا تصيح وتبكى؟ ![1] .

لا تُبلينى بجفا يزيد خضوعى	يكفيك أن النار بين ضلوعى
وحياة سُقمى فى هواك فإنه	قَسَمُ الهوى وحَقِّ فيض دموعى
لأوكلنَّ عليك عينى بالبكا	ولأعشِقَنَّ عليك طول هُلوعى

---

(١) انظر : صفة الصفوة (٣ / ٢٢٠) .

لا تعجـبوا من قاسى القلب قـرعه سوط المواعظ فـسالت عينه ، فـإن موسى ضرب بعصاه الحجر ﴿ **فانفـجرت منه اثنتا عشـرة عينًا** ﴾ [سورة البـقرة : ٦٠] مُليمٌ لِيمَ فنزع ، وضالٌ هدى فرجع ، تذكر جنابته فخجل وبكى ، وتلمَّح خيانته فآثر الذكر والبكا .

أطاع عاذله فى الحبِّ إذ نصحـــا ... وكان نشوان من سكر الهوى فصَحَا

وربما اسـتـدعت الأطلال عَبــرَته ... وشـاقـه البرق من نجـد إذا سنَحَا

٦٠/ب يا معشر التائبين ، من حرَّك قلوبكم وسكَّن قلوبنا؟! من أقامكم / وأقعدنا ؟! من قربكم وأبعدنا ؟! ﴿ **إن نحن إلا بشـرٌ مثلكم ولكن الله يمنُّ على من يـشاء من عباده** ﴾ [سورة إبراهيم : ١١] .

يا راحلين إلـى الحـبيب تـوقـفـوا ... فـالقلب بين رحـالكـــم خـلَّفـتُه

مـا لى سوى قلبـى وفيك أذبتـــه ... ما لى سـوى دمـعى وفيك سـفـحتـه

أبكـى إذا جنَّ الظلام تـشــــوقًا ... فى طـول ليلٍ فى هـواك سـهـــرتُه

وأنوح إن ناح الحمـام ضحـــىً ... على إلف فقـدت الصبر حين فـقدتُه

ما كنت أعرف ما الغرام ولا الأسى ... والـشـــوق والتـبريح حتـى ذُقتُه

إذا رأيتم تائبًا قـد غير زيَّه ونكَّس رأسـه ، فلا تعـجبـوا ؛ فإن « **القلوب بين إصبعين** »[1] ، إذا شاهدتم قلبـه قد انتعش بعد موتـه فلا تدهشوا ﴿ **كذلك يحيى الله الموتى** ﴾ [سورة البقرة : ٧٣] قُرئ عليه عهد ﴿ **ألست** ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] . فتذكر الإقرار ، وعرف الشهود فخجل من الخيانة فى الضمان ، فجرى ما جرى .

أرأيت مـــا فـعلَت بـنا الأشـواق ... لمّا اسـتـقـلّت للفراق نيـــاق

بالله لا تصـلوا الصـدودَ وتقطعـوا ... حـبل الوصـال فـيتلـف المشتـاق

يا حادى الإظـعان عج[2] متـوقـفًا ... وانظر دم العـشـاق كـيـــف تراق

---

(١) أخرجـه مسلم ح (٢٦٥٤) عن عـبد الله بن عمـرو بن العاص مرفـوعًا : « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء .. » .

(٢) الإظعان : السير ، عُج : ازجر . القاموس « ظ ع ن ، ع ج ج » .

صبروا على مُرِّ التهاجر والقِلى وتجرعوا مُرَّ الفِراق وذاقوا

كان العاصى قتيل عشق الدنيا ، فكشفت الزواجر نقاب المعشوقة ، فبانت القبائح ، ثم جلت المشوقات محاسن الأخرى، فالتفت الجيدُ[1] إلى الجيد .

ألا لها وللحُدا تغريد عن رامة إن ذُكرت ورود/ ٦١/أ

ولاح برق بثنيات الحمى تَشيمُه للأعين الرُّعود[2]

فمالت الأعناق منها طربًا كما يُميلُ الناشدَ المنشودُ

هيهات يخفى ما به متيَّم دُمُوعه بوجده شهودُ

الفصل الحادى والثلاثون

يا مستكثرين من المعاصى ، ضيقتم على أنفسكم الخِناق ، تنامون فى سكر الغفلة ، وتنتبهون على الخمار ، أتظنون أن ما مضى من الخطايا قد انقضى ؟! ﴿**ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾ [سورة ص : ٨٨] . أأمن مجانبو البر أن نخسف بهم جانب البر . يا مستوطن المزبلة ، أى شىء يقال لهذا المرائى تعمل عمل فرعون وتطلب مقام موسى ، حملك أمانة لقمة فى زمن الصوم ، فإن صبرت إلى المغرب هيِّئت لك المطاعم الشهيَّة ، « **أد الأمانة إلى من ائتمنك** »[3] البصر عندك أمانة ، « والسمع عندك أمانة »[4] ، والفرج عندك أمانة ، وغسل الجنابة أمانة ﴿ **فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه** ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٣] .

تغلق بابك على المعاصى مطمئنًا ضاحكًا فإذا سمعت صوت الطارق انزعج قلبك خوفًا من الخلق ، وهذا الفعل أقبح من الذنب ﴿ **وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم**﴾ [سورة النور: ١٥] بينا العصاة يسرحون فى بيداء لهوهم قيَّدهم المرض فمحق القوى وأخرس الألسن ﴿ **فلا يستطيعون توصية** ﴾ [سورة يس: ٥٠] فلما

---

(١) أى : العنق . القاموس « ج ى د » .

(٢) جمع رعد : وهو صوت السحاب . القاموس « ر ع د » .

(٣) أخرجه أبو داود ح (٣٥٣٥) ، والترمذى ح (١٢٦٤) وقال : حسن غريب . اهـ . عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٤) ما بين قوسى التنصيص ملحق بحاشية الأصل ، وفى آخره : « صح أصل » .

أخذت رواحل الأرواح فى السفر ، نظروا إلى طريق سيرهم فإذا ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض** ﴾ [سورة النور : ٤٠] . ركبوا فُلك اللهو / ﴿ **وجرين بهم بريح طيبة** ﴾ [سورة يونس : ٢٢] فانقلبت الشمال جنوبًا و ﴿ **جاءتها ريح عاصف** ﴾ [سورة يونس : ٢٢] .

٦١/ب

إخوانى : الجدَّ الجدَّ قبل بغتات المنايا وانقطاع الحيل ، اليقظة اليقظة قبل مجاورة الموتى فى دار البلى ، يا هذا ما لك سوى نفس واحدة ، فإن ذهبت على خسران فلا وجه للتدارك ، يا بخيلاً بما له كيف هانت نفسك عليك ؟! رضيت لنفسك مع فطنتك وذكائك أن تعيش عيش البهائم ، نهارك لهو وليلك نوم ، وبين يديك الجزاء والحساب ، أين أنت من أقوام كشفت عن بصائرهم أغطية الجهالة ؟! فهموا المقصود بالوجد فشمَّروا لسُلوك السبيل ، فالفقر من الدنيا عندهم غنىً .

رضوا بوجود مجدهمُ فلم يتسخطوا العدما
وجاءوا فاستدرَّ الغيث من أيديهم الكرما
رمت فوق السَّماء بهم مَساعٍ كلهنَّ سَمَا

قوت المريد الذكر ، وراحة المحزون الدمع ، وخزين[1] التائب القلق ، ولذة العارف الخلوة .

يا حبذا الذكرى وإن أسهرت بعدك والدَّمع وإن أرمدا
بالغَور[2] دار وبنجدٍ هوًى يا لهف من غار بمن أنجداَ

إذا صدق هذا الزاهد فى الدنيا انقلب الذل إذلالاً « **ربَّ أشعث أغبر** »[3] كل ذرة من العارف تنطق بمحبة الخالق ، / فى الفؤاد ألف وادٍ ، فى كل واد

٦٢/أ

(١) أى : مخزون . القاموس « خ ز ن » .

(٢) موضع بديار بنى سُليم . القاموس « غ و ر » .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى مسنده ح (١٢٣٦) عن أنس مرفوعًا : « رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره » .

وأخرجه مسلم ح (٢٦٢٢) ، ح (٢٨٥٤) عن أبى هريرة مرفوعًا : « رب أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » .

ألف وادٍّ[1] .

وإنِّى لتعرونى لذكراك لوعةٌ كما انتفض العصفور بلله القَطر

فيا حبُّه زدنى جوًى كلَّ ليلةٍ ويا سلوة الأحباب موعدك الحشر

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صَبرُ

المحبُّ عند ذكر المحبوب منزعج ، وصاحب الوجد لا تخفى سرائره ، بالغ فى ستر الحُب غير أن الدمع لا يترك النميمة .

كتمت الغرام ولكن أبنتُ بحكم الصبابة من مدمعى

وأودعت سرَّك سفح الغوير[2] فضل الوفاءُ عن المُودَع

وصارت صباه تبثُّ الحديث وتَنشُد عن بانة الأجرَع[3]

إذا رأيت مُحبٍّ ولم تدر لمن ، فضع يدك على نبضه وسَمِّ كلَّ من تظنه المحبوب ، فإن النبض لا ينزعج إلا عند ذكر اسم الحبيب ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ [سورة الأنفال : ٢ ، وسورة الحج : ٣٥] .

ألا فتى يسأل قلبى ما لهُ ينزو إذا برق الحمى بدا له

فمكث يرجو خبراً من الغضى يسنده عنه فما يُروى له

أراد نجداً معه ببابل إرادةً هاجت له بَلبَاله

وانتسم الريح الصبا ومن له بنفحة من الصَّبا طُوبى لهُ

ويوم ذى البان وما قد أَسأَرت منِّى إلا أن أقول ما لهُ

المحبة نبض فى زند القلب لا تفتر حركتها ، وسكون النبض علامة الموت / .

٦٢/ ب

كل نار تخبو سوى جمرة الشوق بطول المدى تزيد اتقاداَ

منبتُ الحب فى الفؤاد فما بَالِىَ أهوى من لم يدع لى فؤادا

---

(١) أى : محب . القاموس « و د د » .

(٢) سفح الغوير : أسفل الكهف . القاموس « س ف ح » ، « غ و ر » .

(٣) أى : المكتوم . المعجم الوجيز (ص ١٠١) .

يا غافل القلب ما الحديث معك ، من يوم ﴿ **ألستُ** ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] غاب عنك يوسف ، فإن صَلَحت الحال صاح المنادى : ﴿ **ادخلوا مصرَ إن شاء الله آمنين** ﴾ [سورة يوسف : ٩٩] .

إلى متى وراء الباب ؟! إلى كم خلف الستر ؟! زفرة مشتاق القلب ريح تكشف النقاب ، أُفٍّ لزلل أوحش بيننا وبينك ، لا كان عدو تسبب فى بُعدك .

لما نزل آدم - عليه السلام - بكى على ذنبه ثلاثمائة عام ، وكلّما ذكر الجنة زاد البكاء ، وإذا رأى الملائكة تصعد اشتد القلق .

والذى بالبعد والبين بلانى ... ما تذكرت الحمى إلا شَجَانى
حبَّذا أهل الحِمَى من ساكن ... شفنى[1] الشوق إليهم وبرانى
كلما رمت سلوًا عنهم ... جذب الشوق إليهم بعِنَانى
أحسد الطير إذا طارت إلى ... أرضهم أو أقلعت للطَّيران
أتمنى أننى أصحبها نحوهم ... لو أننى أُعطَى الأمانى
لا تزيدونى غرامًا بعدكم ... حل بى من بعدكم ما قد كفانى
ذهب العمرُ ولم أحظ بكم ... وتقضى فى تمنيكم زمانى
يا خليليَّ احفظا عهدى الذى ... كنتما قبل النوى عاهدتمانى
واذكرانى مثل ذكرى لكما ... فمن الإنصاف أن لا تنسيانى
وسَلا من أنا أهواه على ... أى جُرمٍ صدَّ عنى وجفانى / ٦٣/أ

جاءت طليعة من جند الغيب ، خرج كمين من حزب الرفق ، فتح باب من أبواب القرب ، هُزَّت شجرات من شجرات الوصل ، غنَّت حمامات الهوى فى أرض نجد ، تنفس ذو وجد فانقشع الليل ، سعى سمسارُ المواعظ فى الصُلح .

---

(١) أى : نحل جسمى . القاموس « ش ف ف » .

هبت لنا وبرود الليل أسمَال[١] ريح لها من جنوب الوصل أذيال

مرت بسفح اللِّوى[٢] والشِّيحُ مُتشِح بلؤلؤ الطّل[٣] والحرباءُ معطال[٤]

مريضة فى حواشى مِرطها بلل يُهدى لكل مريض منه إبلال[٥]

دع جمرة لسواد القلب محرقة يا لائمى ثُمَّ قل لى كيف أحتال

حدثت عن منحنى الوادى ونازله كرر حديثك لا ضاقت بك الحال

وامزُج بماء المنى ما قلت من خَبرٍ فإن أخبار ذاك الحى جريالُ[٦]

الفصل الثانى والثلاثون

إخوانى : أدنى مراتب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق[٧] ، فيا من طرقه مملوءة بحسك الخطايا ، نظِّف ثم اسلُك .

لا تتسع فى الأمر حتى تستعد له سَعىٌ بلا عُدة قوس بلا وتر

لم ينج نوح ولم يغرق مكذِّبه حتى بَنى الفلك بالألواح والدُّسُر

همَّتك همة النساء ، يعجبك ثوب ومطعم ، أين علامات الرجوليَّة؟! تضيع منك حَبَّةٌ فتبكى ، وقد ضاع عمرك وأنت تضحك ، تستوفى مكيال هواك ، وتطفِّفُ فى كيل صلاتك ﴿ ألا بُعداً لمدين ﴾ [سورة هود : ٩٥] . خمسين سنة فى مكتب التعليم وما حذقت أبا جاد ./ ٦٣/ ب

غداً توبخ وقت عرض الألواح ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ [سورة

(١) جمع سَمَل : وهو الخَلَقَ البالى . المعجم الوجيز (ص ٣٢٢) .

(٢) سفح اللِّوى : أسفل الرمل . القاموس « س ف ح ، ل و ى » .

(٣) أى : المطر الضعيف . القاموس « ط ل ل » .

(٤) الحِرباء معطال : مسمار الدرع أو رأسه فى حلقة الدرع ليس عليه حُلِى . القاموس « ح ر ب ، ع ط ل » .

(٥) أى : تحسنت حاله بعد الهزال . القاموس « ب ل ل » .

(٦) الجريال : صبغ أحمر ، وحمرة الذهب ، وسُلافة العصفر ، وما خلص من لون أحمر وغيره ، والخمر أو لونها . القاموس « ج ر ل » .

(٧) أخرجه مسلم ح (٣٥) برقم فرعى (٥٨) عن أبى هريرة مرفوعًا : « الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

فاطر : ٣٧] . يا مجنون الهوى ، إما مارَستان[١] العُزلة ، وقيد الحمية ، ومعالجة سلاسل التقوى ، ومرافقة الجنيد والشبلى ، وإلا فمارستان جهنم فى أنكال العقوبة ، ومرافقة إبليس . يا هذا ، قلبك عذب ، ونفسك أجاج ، فاجعل المجاهدة برزخًا بين البحرين . ويحك قوة الأمل عقدة فى وجه منشار الجد ، الرياء عيب فى رئة التقوى ، يسُلّ المريض إلى السل ، شدة الحرص سُدَّة[٢] فى كبد الإيمان ، غير أن شراب العزيمة يحلّل السدد ، فيفتح المنافذ بين القلب والغيب .

لكلٍّ إلى شاوِ العُلا حركـات ولكـلٍّ عزم فى الرجال ثبات

إذا ربضت النفس مشت وانساقت ، وإذا ذكر لها وصف الحبيب تحركت واشتاقت ، إنها لخبيرة بالأمر ، قد عرفت وذاقت غير أن طباعها عن المراد عاقت، أغمى عليها[٣] باتباع الهوى ، فإذا انتهت أفاقت .

أرى الطَّرف كالطِّرف[٤] الجموح تكفُّه شكيمته[٥] ، فاكفف لحاظك بالغض ﴿خذ العفو﴾ [سورة الأعراف : ١٩٩] فالمبنى للهدم ، والهوى رسول النوى ، والختم داعية الغض ، يا معاشر الشباب[٦] ، احذروا زمان الجنون ، زيدوا فى سلاسل الهوى ؛ فإن شيطان الصبا مارد .

كان أبو بكر بن عياش يقول : وددت أن يدىَّ قطعنا وعفا لى عن ذنوب الشباب . / ٦٤/أ

لهفى على شَرَخ[٧] شباب مضى أنقض[٨] ظهرى وزره وانقضى

---

(١) هى المصحة أو المستشفى . المعجم الوجيز (ص ٥٧٨) .

(٢) فى حاشية الأصل مقابلاً لها : « عَلَى البَانى » وليس هناك علامة إلحاق ، فلعل مكانها هو عقب قوله : « فى كبد الإيمان » .

(٣) غير واضحة فى مصورة الأصل .

(٤) هو الرغيب العين الذى لا يرى شيئًا إلا أحب أن يكون له . القاموس « ط ر ف » .

(٥) الشكيمة : الأنفة . القاموس « ش ك م » .

(٦) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « التائبين » .

(٧) أى : أول الشباب . القاموس « ش ر خ » .

(٨) أى : أثقله حتى جعله نقضًا أى : مهزولاً .القاموس « ن ق ض » .

أخلِق[1] بدين العُمر أن ينقضى   وهو بأنفاس الصِّبا يُقتضى

الغضبُ سبُعٌ ، والشهوة كلب ، والشره طفل ، وأنت تُنفق عُمرَك فى خدمة كل واحد منهم على حدة ، أين تأثيرُ العقل فى استعمال الصبر عن كل ما يؤذى؟! .

قال أبو بكر الزاهد : دافعتُ نفسى الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة .

ما زلت أغلب شهوتى بمُرُوَّة   وسِبِّبَتى[2] تصبو بها الشهواتُ

حتى انفردت بهمةٍ مَلَكيَّة   فى ترك لذَّتها لها لذَّاتُ

يا هذا أنت أجيرٌ وعليك عملٌ ، فإذا تفرغت فلك ما تشتهى .

خلوا المطىّ فهذه نجد   بلغ المدى وتجو ورا الحَدِّ

يا حبذا نجدٌ وساكنُه   لو كان ينفع حبّذا نجدُ

رُمز إلى آدم - عليه السلام - بأنك عبدٌ فى قوله تعالى : ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى** ﴾ [سورة طه : ١١٨] . وذلك أن العبد ليس له إلا ما سَدَّ الجوعة وستر العورة ، فجاء إبليس يطمعه فى الملك ، فلمّا خرج إلى الطمع خرج، فقيل له : خذ معك من الحَبِّ الذى افتتنت به ، فأخذ فزرع فخرج من كل حَبَّة حبَّاتٌ ، فقيل : خذ مَا يخرج لمكان تعبك ، وقد أحلنا الفقراء بالأصل وهو عُشرُ / الخارج ، فإن زاد تعبُك فى العمل فأعطهم نصف العشر . انظروا إلى أثر الخطايا ، بالأمس يُسجَد له ، واليوم يَحرُث . ٦٤/ب

تزايد ما ألقى وقد جاوزا الحداً   وكان الهوى مزحًا فصار الهوى جداً

وقد كنت جَلداً ثم أوهننى الهوى   كذاك الهوى ما زال يستوهن الجَلدا

أتيتك أستعدى عليك من الهوى   ومن كان مثلى لا يلام إذا استعدى

نام آدم فى الجنة فانتبه وقد خُلقت منه حواءُ ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : من يرد النوم يُخلق له ضجيع . كفى بالشوق مسهراً ، ما ضاع من مالك ما أدَّبك ، مذ

---

(١) أى : جديرًا .القاموس « خ ل ق » .

(٢) أى : ناصيتى . القاموس « س ب ب » .

وقع فى الزلل طار النوم .

متى شُقَّ جيبُ الجنح بالبارق الومضِ وهبَّت قبول فالسلام على الغمض

ربّ زلة أوجبت تقويمًا ، من لم يذق مرارة الفراق لم يدر ما حلاوة التلاق ، زلل المحبوب مغفور ، « **لو لم تذنبوا** »[1] . إنحناء القوس ركوع لا اعوجاج ، إنما اعوجاج الخشب انحراف .

كانت محبة آدم - عليه السلام - للحق أصلية ، وكان تعبُّد إبليس تكلفًا ، والتكلف لا ينبت والعرقُ نزَّاع ﴿ **كان من الجن** ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] . وإنما يُعالجُ الرَمدُ لا الكمهُ ، ما حَزَن إبليس على الطرد ولا فرح آدم بعد الذنب .

ما زلت بعدهم حليف أسىً لفراقهم أبكى وأنتحبُ

أذرى المدامعَ كالعقيق على وادى العقيق وأهله عتب

١/٦٥ **فهُمُ وإن صَدُّوا وإن غضِبُوا شغفى وإن بعدوا وإن قربوا/**

يا أرباب الدنس ، يا وِسَاخ الذنوب ، لا تقنعوا بصب ماء التوبة على ظاهر البدن « **بلُّوا الشعر وأنقوا البشر** »[2] ما لم تسُح بدمع عينك لم تأت بسنة الغسل .

فلو داواك كل طبيب دير[3] بغير كلام ليلى ما شفاكا

أبلغُ المراهم فى داء[4] الخطايا الندم ، وأحسَنُ زى التائب حلية الانكسار ، وأنجح الألفاظ فى اجتلاب الرحمة ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا** ﴾ [سورة الأعراف :

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٧٤٩) عن أبى هريرة مرفوعًا : « والذى نفسى بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

(٢) أخرجه أبو داود ح (٢٤٨) ، والترمذى ح (١٠٦) ، وابن ماجه ح (٥٩٧) عن أبى هريرة مرفوعًا .

وقال أبو داود : الحارث بن وجيه حديثه منكر ، وهو ضعيف . اهـ . وقال الترمذى : حديث الحارث بن وجيه حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو شيخ ليس بذاك . اهـ .

قال الحافظ فى التلخيص (١ / ١٤٢) : مداره على الحارث بن وجيه وهو ضعيف جدًا . وقال الشافعى : هذا الحديث ليس بثابت . وقال البيهقى : أنكره أهل العلم بالحديث البخارى وأبو داود وغيرهما . اهـ .

(٣) يقال لمن رأس أصحابه : رأس الدِّير . القاموس « د ى ر » .

(٤) كذا مصححًا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « داوء » .

٢٣]. وأوطأ ما يُمَهِّده الخائف فراش التملُّق .

يا غاية منيتى وأقصى طلبى ... ما أسرعَ ما طرتنى[1] واعجبى
لم أقض على ظمائى منكمُ أربى ... حتى مَ أعيش بالمنى واحَربى
ما أذكر عيشنا الذى قد سَلفا ... إلا وجف الفؤاد كم قد وجفا
قد كان حلا عيشى حينًا وصَفا ... فالآن زمانى يتقضَّى أسفا
يا من بسهامه لقلبى جرحَا ... صِل مكتئبًا بغيركم ما فرحا
ما ناح له مطوِّق أو صَدَحا[2] ... إلا شرب الدمع وعاف القدحا

الفصل الثالث والثلاثون

الدنيا بحر عميق ، وجسدك السفينة ، وأعضاؤك خَدَمُ الشراع ، وروحُك الراكبُ ، والقلب بانى المركب ، فإن عصف هواءُ الهوى فحملك إلى بلاد الروم حملوك على النصرانيَّة ، أو ألقاك فى بعض الجزائر الخراب عدمت القوت فمُتَّ ، أو كسَرَ مركبك كنت رزقًا للتماسيح[3] ، والسلامة أعزُّ من الكبريت الأحمر ، أكثر / الأرواح الخارجة من الدنيا هائمة فى بيداء الندم ، فإن اجتمعت ففى مأتم الندب ، يبكيهن نائح ﴿ **يا ليتنى قدمت لحياتى** ﴾ [سورة الفجر : ٢٤] . البدار البدارَ ، فأطيارُ العمر فى سباق . ٦٥/ب

إنما هذه الحياة متاع ... فالسفيهُ الجَهُول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمَّل غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

ويحك قد قرب السَّفر فأحكم أحمال الأعمال ، واقطع عُلقك من البلد ، فإذا طرب بوق الرحيل كنت أول سائر ، كم تُعاهد ثم تغدر ؟! وما تترك ذنبًا حين تقدر ، أأمنت غِبَّ زجرنا أم قد رضيت عتب هجرنا ؟! أما لك عن مخالفتنا مندوحة لنا ؟! أبواب وصلنا لك مفتوحة ، على كل حال أنت محبوب ، والمحبُّ

(١) أى : أتيت بى من مكان بعيد . القاموس « ط ر و » .

(٢) أى : رفع صوته بالغناء . القاموس « ص د ح » .

(٣) كذا فى حاشية الأصل ، وفى الأصل : « للحوت » وفوقها ضبة : « صـ » .

يغطى العيوب .

سلام عليكم لا وفاءٌ ولا عهدُ　　أما لكم من هجر أحبابكم بدُّ

أأحبابنا قد أنجز البين وعده　　وشيكًا ولم يُنجز لنا منكم وعد

أيا ناسيًا ميثاق ﴿ ألستُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] ، حسن العهد من الإيمان . ومن كرم المرء فرط الحنين لأوطانه وقديم الزمان . إذا قلّت المعرفة قفر رَبع[١] التعبد ، إن كان ذكرك موقوفًا على لسانك انقطع بالبلاء ، اجعل رُوحَك الذاكرة فإنها لا تموت ، إن كنت محبًّا فحبيبك معك عند الموت ، وفى بطن الجنة[٢] هناك تلوح لوائح الآمال ، ثم تفوح روائح الأعمال . / ٦٦/أ

يا حبذّا العرعرُ[٣] النجدى والبان[٤]　　ودارُ قوم بأكناف الحِمَى بانوا

وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوًى　　سُمُّ الخياط مع المحبوب مَيدان

صورة طاعتك نطفةٌ ، فإذا كانت عن معرفة صارت علقة ، فإذا تمَّ الإخلاصُ صارت مضغةً ، فإذا وقعت مشاهدة القلب للمعبود صارت عظمًا ، فإذا تحققت المحبة نُفخ الروح فى العمل .

أُحبك لا ببعضى بل بكلى　　وإن لم يُبق حبك لى حراكا

وفى الأحباب مختصٌّ بوجد　　وآخر يدَّعى معه اشتراكا

إذا اشتبهت دُموع فى خدودٍ　　تبيَّن من بكى ممَّن تباكا

يا غافل القلب عنا ، ما هذا الكلام لك ، ليس على الخراب خراج ، لقلقة لسانك إذا لم تصل إلى قلبك صوت جَرَسٍ « لا ينظر إلى صوركم »[٥] القشورُ تُلقى ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠١] . عشرة دارهم يبذلها اليهودى فيعصم ماله ونفسه ، دع حديث السالكين فليس من

---

(١) أي : محلَّة . القاموس « ر ب ع » .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا .

(٣) هو شجر السَّروِ . القاموس « ع ر ر » .

(٤) البان : شجر ،ولحب ثمره دهن طيب .القاموس « ب و ن » .

(٥) أخرجه مسلم ح (٢٥٦٤) عن أبى هريرة مرفوعًا .

لغتك ، لا تدَّع نسب المجتهدين ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ [سورة هود : ٤٦] . لا يعرف البحر إلا سابح ولا الزناد إلا قادح[١] .

ضمَّنا يوم تنادوا للنوى[٢] موقف يعرفه من عَشِقا

لما عَشِقَت اللبلابةُ الشجَرَ تقلقلت لاعتناق الرءوس ولثم الخدود ، فقيل : مع الكثافة لا يمكن ، فرضِيت بالنحُول فالتقت / والتفَّت . السبق ثمرة التضمير[٣] ، من طلب الأنفَس هجر الألَذّ ، المتلبس بالإحرام يحرُمُ عليه النكاح والطيبُ ، من اهتم بالجوهر لم يلتفت إلى العرض ، يا صفراءُ يا بيضاءُ غُرى غيرى ، كيف يزاحمُ الأبطال بطّال ؟!

٦٦/ ب

خطوا فأقلامهم خَطِّيَّة صُلُبٌ فهم على الخيل أميُّون كُتَّابُ

إن أحسنوا كَلِمًا واخلَولقوا[٤] ذممًا واخشوشنوا شيمًا فالقوم أعرابٌ

أين أنت والأحباب ؟! أين القشور من اللباب ؟! قبيح أن تدخل ميدان السباق بحمار أعرج .

هل مُدلجٌ عنده من مُبكرٍ خبَرُ وكيف يَعلمُ حال الرائح الغادى

فإن رويتُ أحاديث الذين مضوا فعن نسيم الصبا والبرق أروى[٥]

ما أحلى ذكر العُباد ، ما أطيب أخبار الزهّاد .

إيه أحاديث نُعمان وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمار

استنشق الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء مِعصَار[٦]

أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى .

---

(١) الزناد جمع الزند : وهو العود الذى يقدح به النار . القاموس « ز ن د » .
والقادح : هو الذى يضرب بالزند حجره لتخرج النار منه . المعجم الوجيز (ص ٤٩) .

(٢) أى : للرحيل . القاموس « ن و ى » .

(٣) أى : التسابق . القاموس « ض م ر » .

(٤) اخلولق : استوى وصار خليقًا . القاموس « خ ل ق » .

(٥) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا .

(٦) هو الذى يجعل فيه الشيء فيعصر . القاموس « ع ص ر » .

مرض بقلب ما يعاد ... وقتيل حُبٍّ ما يقادُ

يا آخر العشاق ما ... أبصرتَ أولهم يُذادُ[١]

يقضى المتيم بحبه ... منهم ولو رُدُّوا لعادوا

ملكوا النفوس فهل لنا ... من بعدها ما يُستزادُ

١٦٧/أ فرغت من القوم المنازل ، ورحَل إلى القبور النازل ، نزل /المريد تلك الديار ، وتلمح بعين البصائر تلك الآثار . إذا خرجت إلى المقابر فتأمل قبر أحمد وبشر - رضى الله عنهما - ومن جانسهما ، تراهما عمرانًا والباقى بلقع[٢] .

يا صاحبَى رحلى قفا ... فسائلا لى الدِّمنا[٣]

وأمطرا دمعكما ... ذاك الكثيب الأيمنا

ذكرنى الأحبابَ ... والذكرى تَهيجُ الحَزَنا

من بطن مَرٍّ والسُّرى ... تؤمُّ عُسفان بنا

وبالعراق وطرى يا ... بعد ما لاحَ لنا

كان بعض السلف - رضى الله عنهم أجمعين - يوقد المصباح ويبكى إلى الصباح ، كلما رأى النار ذكر النار .

وكان الأحنف بن قيس يُقدم إصبعه إلى السراج ، فإذا أحس بالحرارة قال لنفسه: ويلك يا حنيف ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟

ما يُسعدنى إذا اعترانى الأرَق ... فى حبك غير شمعة تأتلق

حالى أبدًا وحالُها يتفق ... الجسمُ يذوب والحشى يحترق

نارى نار بحبُكم ما تطفى ... أخفى وجدى وأدمعى ما تخفى

عودوا بالفضل وارحمونى لطفا ... كم ذا الهجران كم إلى كم أجفًا

ما أبقى السقمُ بعدكم لى جَسَدا ... إلا روحًا تذوب فيكم كمَدًا

---

(١) أى : يطرد ويدفع . القاموس « ذ و د » .

(٢) أى : قفرًا . القاموس « ب ل ق ع » .

(٣) أى : آثار الدار والناس . القاموس « د م ن » .

كم أصبر والغرام يفنى الجلدا أشقى وحدى وكلكم قد سعدا/ ٦٧/ ب

يا عاذل دع ملام صب مُشتاق تجرى لغرامه دُمُوع الأماق

قد شُرِّد نوم جفنه فى الآفاق هذا دين الهوى ودأب العشاق

الفصل الرَّابع والثلاثون

النفس بوضع جبلتها تعرف الحق وتحبه ، والقلب خبيرٌ بسلوك الطريق إليه ، غير أن طبع الهوى فى الطمع سُدَّ فى وجه المطلوب ، إنما خلقت النفس فى السماء ، ثم حبست فى الأرض ، فإذا ذكَّرها المذكر مَربعَها[1] الأول حَنَّت وأَنَّت ، وكلما جلا صيقل الرياضة مِرآة سِرِّها قوى الشوق والتوق .

كما قال أبو الدرداء - رضى الله عنه - : أحب الموت اشتياقًا إلى ربى .

وكان أبو عبيدة الخواص - رضى الله عنه - يقول : وا شوقاه إلى من يرانى ولا أراه . وكان فتح بن شخرف يقول : قد طال شوقى إليك ، فعجِّل قدومى عليك .

تمدّ بالأذان والمناخر لحاجر[2] إنى لها بحاجر

أرض بها السائغُ من ربيعها وشوقها المكنون فى الضمائر

سارت يمينًا والغرامُ شامةً ياسر بها يا ابن الحداة ياسر

يا ليت شعرى والمنى تعِلَّةٌ هل يمنى لعهدنا من ذاكر

وفى الضيوف الغرباء عندكم قلبٌ يضام ما له من ناصر

إمَّا قِرَى البادى الكريم أو فرُدُّوه على أربابه باحِر[3]

قال الجنيد - رضى الله عنه - : دخلت على سرى وهو عريان من ثوبه / ٦٨/أ فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم مُضنى ، فقال : لو شئت أن أقول هذا من

---

(١) أى : منزلها . القاموس « ر ب ع » .

(٢) الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، وما يمسك الماء من شفة الوادى . القاموس « ح ج ر » .

(٣) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا ، أى : مبهوت . القاموس « ب ح ر » .

محبته لقلت .

وبى شَوقٌ إليك أعلَّ قلبـــى   وما لى غيرُ وجهك من طبيب

كانت رقيَّة الموصليَّة تقول : إنى لأحب ربى حبًّا شديدًا ، فلو أمر بى إلى النار لما وجدت للنار حرارة مع حُبِّه ، ولو أمر بى إلى الجنة لما وجدت للجنة لذّةً مع حبه ؛ لأن حبه هو الغالب علىَّ .

وحياتكم إنى أعيش بذكركم   والدمع خوف فراقكم يترقرق

وأُجِنّ[1] حرَّ صبابتى فكأنما   فى كل جارحة فؤادٌ يخفقُ

وكان على بن الموفق يقول : اللهم إن كنت تعلمُ أنى أعبدك خوفًا من نارك فعذبنى فيها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حُبًّا منى لجنتك وشوقًا إليها فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم أنى إنما أعبدُك حُبًّا لك وشوقًا إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بى ما شئت .

هذا كُلِّى بكلكم مشغول   والقلب بفرط شوقكم متبول

والرُّوحُ بسيف هجركم مقتول   أنتم قصدى ومُنيتى والسُّول

إن بان وإن أقام فهو الحِبُّ   أو صدّك أو جفاك كلٌّ عذبُ

سيَّان علىَّ بُعده والقربُ   أضحى وقفًا على هواهُ القلبُ

يا هذا ، اعمل ليَرضى لا ليُثيبك ، فإن أخلص الناس جهادًا فى الحرب من لا يلاحظ السلَبَ ، المملوك يخدم لا بأجرة ، إذا تحققت / المحبة فعلت ما يرضى ورضيت ما يفعل . ٦٨/ب

قال أبو سليمان الدارانى : لو أدخلنى النار لكنت بذلك راضيًا .

وسُئل أبو الحسن النورى عن الرضا فقال : أعن وجدى تسألون أو عن وجد الخلق ؟ فقالوا : عن وجدك . فقال : لو كنت فى الدرك الأسفل من النار كنت أرضى ممّن فى الفردوس .

احفظوا فى الإسَارِ قلبًا تمنّى   شغفًا أن يموت فيكم أسيرا

---

(١) أى : أستر . القاموس « ج ن ن » .

وقتيلاً بكم ولا يشتكيكم   هل رأيتم قبلى قتيلاً شكورا

قال يونس لجبريل - عليهما السلام - : دُلنى على أعبد أهل الأرض ، فأُتى به على رجل قد قطع الجُذامُ يديه ورجليه ، وهو يقول : متعتنى بهما حيث شئت ، وسلبتهما حيث شئت ، وأبقيت لى فيك الأمل ، يا بار يا وصول . فقال يونس: يا جبريل ، سألتك أن تُرينى صوامًا قوَّامًا . فقال : قد كان قبل البلاء هكذا ، وقد أُمرتُ أن أسلبه بصره ، فأشار إلى عينيه فسالتا ، فقال : متعتنى بهما حيث شئت وسلبتهما حيث شئت ، وأبقيت لى فيك الأمل يا بارُّ يا وصول . فقال جبريل : هَلَمَّ تدعو وندعوا معك ويردُّ الله عليك يديك ورجليك وبصرك ، وتعود إلى العبادة التى كنت عليها . فقال : ما أحب ذلك. قال : ولِمَ ؟! قال : إذا كانت محبَّته فى هذا ، لمحبَّته أحبُّ إلىَّ . فقال يونس : يا جبريل ، ما رأيت أحدًا أعبدَ من هذا قط . فقال جبريل - عليه السلام - : هذا طريق لا يوصل إلى رضا الله سبحانه بشيء أفضل منه . / ٦٩/أ

إن كان سُكانُ الغضىَ   رضوا بقتلى فَرِضا
والله لا كنت لما   يَهوى الحبيبُ مُبغضا
صرتُ لهم عبدًا وما   للعَبد أن يَعترضا
من لمريضٍ لا يرى   إلا الطبيب المُمرِضا

دخلوا على عابد مبتلى وقالوا : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وكل عضوٍ منى يألم على حدته ، وأحبُّه إلىَّ أحبُّه إلى الله - عز وجل - .

صبرتُ ولم أُطلع هواك على صبرى   وأخفيت ما بى منك عن موضع السِّر
مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى   إلى أدمعى سرًّا فتجرى ولا أدرى

ودخلوا على عابد آخر وهو على سرير منقوب[١] ، وروحه فى بعض بدنه فقالوا : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت من مُلك الدنيا منقطعًا إلى الله - سبحانه وتعالى - ما لى إليه حاجة إلا أن يتوفانى على الإسلام .

---

(١) أى : به قَرحَة فى جنبه ، القاموس « ن ق ب » .

لعينك ما يلقى الفؤادُ وما لقى ... وللحُبِّ ما لم يُبق منى ومَا بَقى

لما تجلى لقلوبهم يوسف جماله لم يجدوا لتقطيع الأيدى ألمًا ، ففَنوا عن نفوسهم وبقوا بالحبيب .

عجبت منك ومنى ... أفنيتنى بك عنِّى

أدنيتنى منك حتى ... حَسِبتُ أنَّك أنِّى

يا نزهتى فى حياتى ... وراحتى بعد دَفنى

ما لى بغيرك أنسٌ ... من حيث خوفى وأمنِى/ ٦٩/ب

الفصل الخامس والثلاثون

يا ذا الخطأ القبيح ما غرَّك ﴿ أيحسبُ الإنسان أن يترك سُدًى ﴾ [سورة القيامة : ٣٦] . ﴿ كلا إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه ﴾ [سورة الانشقاق : ٦] . أما رأيت مستلبًا على بتر[1] ذنوبه لم يمهل لتوبة ﴿ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ [سورة النازعات : ٢٦] غدًا تنادى يا فلان ابن فلان بلا لقب ﴿ اقرأ كتابك ﴾ [سورة الإسراء : ١٤] . ويحك معاناة الصبر على الحمية أيامًا ، خير من مقاساة العذاب سنين ، يا حاضر البدن أحضر قلبك ، يا سامع التذكير تذكر ذنبك، لعلها أن تشتفى نائحة بالعبرات أعينٌ من أعين ، المواعظ تحت القلوب كالنار تحت القدور ، فمنها ما ينضج عاجلاً ، ومنها ما يُبطئ ، ومنها ما تخبو ناره فيهدأ، ومنها ما يقوى اللهبُ تحته فيفور ، فإذا طال عملُ النار تساق بكن[2] فى الإنضاج .

فلم تر إلا ممسكًا بيمينه ... رواجف صدر ما يُبَل غليلها

ومختنقًا من عبرة ما تزوله ... ومختبطًا فى لوعةٍ ما يزولها

ها نحن نمدُّ النفسَ قليلاً ؛ ليلحق المنقطع بالسابقين .

زموا المطى فدمعٌ مطلقٌ أمن العَدوى ... ودمع وراء الحرف محصور

---

(١) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا ، ومعنى بتر . قطع . القاموس « ب ت ر » .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها هكذا .

فلم يُهبهب بأولى الزجر سائقهم حتى تشابه مهتوكٌ ومستورُ

يا سائق البكرات[١] استبق فضلتها على الرويد فظهر البكر معقورُ

حبسًا ولو ساعةً تروى بها مُقل هِيم[٢] وأنت عليها الدهر مشكور/ ٧٠/أ

إذا رأيتم باكيًا فى المجلس فارحموه ، وإذا شاهدتم واجدًا فاعذروه ، وإذا عاينتم هائمًا من كربه فاتركوه ؛ فإنه قد وجد ما لم تجدوه .

دعوه يطَفِّى بالدموع حرارةً على كبدٍ حَرّى دعوه دعوه

سلوا عاذليه يعذروه هنيهةً فبالعذل دون الشوق قد قتلوه

كان سعيد بن السائب[٣] الطائفى إن قام بكى وإن قعد بكى، وإن طاف بكى ، وإن صلى بكى ، فعذله بعض الناس فى ذلك ، فقال : إنما ينبغى أن تلومونى على التقصير .

خلِّنى من العَذَلِ ما الفؤادُ من قِبَلى

لا تسل ففى كبدى شُعلةٌ من الشُعَلِ

لجأ التائبون إلىَّ ، وقد قطعوا بوادىَ الهجر ، وقد مَرُّوا بوادى العفو ، عليهم بَوادى الوصل . تفوحُ أرواَحُ نجد من ثيابهم ، إذا رأيت أحوال التائبين قد تغيرت، وذاك المتحيِّرَ قد ذلَّ ، وذاك الطرفَ المطلقَ قد غُضَّ، وذاك البدن السمينَ قد ذاب ﴿ فانظر إلى أثر رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾[٤] [سورة الروم : ٥٠] .

كيف تبقى للعاشقين قلوبٌ وهى فى جمرة الفِراق تذوب

ليس يخفى أن الفؤاد على الجمر إذا ما تنفَّسَ المكرُوب

كيف ينسى المحبُّ وصلَ حبيب اسمُه فى فؤاده مكتوبُ

---

(١) جمع بكرة : وهى أنثى البكر ، والبكر : الفتى من الإبل . المعجم الوجيز (ص ٥٩) .

(٢) أى : شديدة العطش . المعجم الوجيز (ص ٦٥٧) .

(٣) فى الأصل فوقها : « صح » .

(٤) هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر : « أثر » . واحدة بغير ألف . السبعة فى القراءات (ص ٥٠٨) .

٧٠/ب أعظم أمانى التائبين العفوُ ، غاية آمالهمُ الرِّضا . /

لا عَدَا الرَّوحُ من تهامةَ أنفاسًا إذا استروحت تيمّمت نجدا

إذا تيقنتَ أنهم سَفرٌ فى طريق الوصال ، فلا تتخلّف عن القوم ، إذا رأيت قُلُبَ قلوبهم تُنزح بغروب الدموع فوافقهم ولو فى قطرة ، الزِق ما دام التنور حَارًّا، اشوِ فى الحريق سمكتك ، أما ترى جسد الورد منقبضًا لعدم رفقاء الزرع ، فإذا رأى انفتاح النَّور[1] انفتح مُستغلقه ، يا صبيان التوبة هِلالكُم خفِىٌّ ، فدوموا على التقوى يصر بدرًا ، لابد من ضيق ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥ ، وسورة محمد : ٣١] . الطبع إلى المألوف يحن ، والولد يطلب ما يشتهى ، والزوجة تروم سعةَ النفقة ، والورع يمنع من التوسع فى الكسب ﴿ **هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً** ﴾ [سورة الأحزاب : ١١] . الفت النفس ما عليه فُطِمت فصعب الأمر ، وإن الله لمع الصابرين ، هيهات من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

كان لبعض الملوك جارية يقال لها جوهرُ فأعتقها ، فمرَّت بأبى عبد الله البراثى وهو فى كوخ له يتعبّد ، فتزوجت به وتعبَّدت معه ، فرأت فى المنام خيامًا مضروبة ، فقالت : لمن ضربت هذه الخيام ؟ فقيل لها : للمتهجدين بالقرآن فكانت بعدُ لا تنام ، وكانت توقظ زوجها بالليل وتقول : يا أبا عبد الله ، كاد وأن ترقب . معناه : قد سارت القافلة .

وكانت عمرة امرأة حبيب الأعجمى تنتبه بالليل فتوقظه ، وتقول : قم يا رجل ٧١/أ فقد ذهب الليل ، وبين يدينا / طريق بعيدٌ ، وزادُنا قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدّامَنَا وقد بقينا نحن .

وتزوج رياح القيسى امرأة فكانت تقوم بالليل وتوقظه فيقول : نعم ، فتعاوده فيقول : سأقعدُ ، فتقول : ليت شعرى ، من غرَّنى بك يا رياح .

يا عقيق الحِمى حَمَى الله مغناك وروَّى ثراك من مُزن دَمعى

من لصب يشوقه لامع البرق فيرتاح قلبُه للجزع

---

(١) أى : الزهر الأبيض . المعجم الوجيز (ص ٦٣٩) .

يا خليلى ما أنت لى بخليل ورفيق إن لم تقف بالربّع

كان مسروق يصلى حتى تتورَّم قدماهُ ، فتقعد امرأته خلفهُ تبكى مما تراه يصنع بنفسه .

أمسى وأصبح من تذكاركم قلقًا يرثى لى المشفقان الأهل والولدُ

قد خدَّد الدمع خدى من تذكركم واعتادنى المضنيان الشوق والكمدُ

وغاب عن مقلتى نومى ونافرها وخاننى المسعدان الصبرُ والجلدُ

لا غرو للدمع أن تجرى غواربُهُ وتحته الخافقان القلبُ والكبدُ

كأنما مهجتى نِضوٌ ببلقعة[٢] يعتاده الضاريان الذئبُ والأسَدُ

لم يبق إلا خفىّ الروح فى جسدى فداؤك الباقيان الروح والجَسَدُ

إنى لأحسد فى العُشاق مصطبراً وحسبُك القاتلان العشق والحسَدُ

أين الصابرون على الجهاد فى الحرب ؟! امتلأت بهم الشونيزية[٣] وباب حرب ، يا شدة شوقى إليهم ، يا نسيم الصبا سلمٍّ عليهم .

خذى نفسى يا ريحُ من جانب الحِمَى فلاقى به ليلاً نسيم ربُا نجد / ٧١/ ب

فإن بذاك الجوِّ عهداً عهدته وبالرغم منى أن يطول به عهدى

لا تتعجب ممن يُحبُّ الموتى ويبغض الأحياءَ ، إنما تُعشقُ المعانى لا الصُّوَر ، أنا بمقابر القوم آنَسُ منى بدياركم ، مقابرهم عندى عمران ، ودياركم فى حسابى خراب .

تلوم فى البرق زفراتى ولو عَلِمت عيناك من أين ذاك البارق السَّارى

طارت شرارته من حر كاظمة تحت الدُّجى بلباناتى[٤] وأوطارى

---

(١) أى : بالمحلة والمنزل . القاموس « ر ب ع » .

(٢) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . القاموس « ن ض و » .
والبلقعة : الأرض القفر . القاموس « ب ل ق ع » .

(٣) هى مقبرة الصالحين ببغداد . القاموس « ش و ن ز » .

(٤) أى : حاجاتى . القاموس « ل ب ن » .

كم بيننا وبين الصالحين من مفازة ، ما فيها من ماءٍ ، ومن جبال ليس فيها جادَّة ، كم بين سَلع وما وراءَ النهر ، يا من أبعدته عنهم الذنوب ، وطردته عن جملتهم العيوب ، جليت أوصاف القوم وما اشتقت ، وحَليت نسائم عِطرهم وما تُقت .

أبا لغور تشتاق تلك النجودا ... رميت بقلبك مرمىً بعيداَ

غلبَ على قلبك حبُّ الدنيا ، ضربت عروق أملك فى ثرى الغفلة ، فما يزعزع نخلتك العواصف ، ما أظنه إلا قد فلت أمرُك ، ما أرى للخير أمارة ، تحضر مجالسَ الذكر خمسين سنة وأنت أنت .

ومن العناء رياضة الهرم

عَلِق شركُ الهوَى بجناحك فكسره ، فإن تحركت فحركة مُقعَدٍ ، واختلاجُ مذبوح ، ويحكم إن المنقطع فى البادية أُكلةٌ للسباع .

٧٢/أ

قطاة غرَّها شرك فباتت ... تجاذبُهُ وقد عَلِق الجناحُ /

فلا فى الليل نالت ما ترجى ... ولا فى الصبح كان لها سَرَاحُ

يا مطرودًا عن الباب ، يا بعيدًا عن الجناب ، استغث لعلك تُرحم .

انظر إلى سوء حالى ... فى الهجر بعد الوصَالِ

بلائى فيك عظيمٌ ... وأنت بى مَا تُبَالى

كان الشبلى يقول : ليت شعرى ما اسمى عندك غدًا يا عالم الغيوب ؟! وما أنت صانع بى يا غفار الذنوب ؟ وبمَ تختم عملى يا مقلِّب القلوب ؟ وكان ينادى فى جوف الليل : قرة عينى وسرور قلبى ، ما الذى أسقطنى من عينك ؟

مَن عائذى من أحزان ... وكرب وأشجان

تُرى الحبيب الغضبان ... يعُودُ لى كما كان

ليل المُحِبّ ليلان ... والحُبُّ شرٌّ سُلطان

له عبيدٌ مَجَّان ... لم يُشتَروا بأثمان

الفصل السادس والثلاثون

أرباب الغفلة لا تجول فى الآخرة فكرهم ، هممهم ما يأكلون ويلبسون **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾** [سورة الروم : ٧] . يسيرون بأعمالهم إلى جهة جهنم ، وما ينتهون حتى تحط الركائب على شفير الوادى ، سكنوا القبور وما سكن تعذيبهم ، ثم أزعجوا بنفخة الصور **﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾** [سورة يس : ٥١] فإذا نودوا قالوا : **﴿ يا ويلنا ﴾** [سورة يس : ٥٢] . وأحسن إجابتهم : **﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾** [سورة الأنبياء : ١٤ ، ٤٦]. أين التأهب لتلك الأهوال ؟! أين العمل / لعرض الأعمال ؟! يا هذا ما تزال تنظر فى المرآة كلما أردت لقاء الخلق ، متى تنظر فى مرآة التقوى للقاء الحق؟! يا مغتراً بلهب نار الأمل اغترار الفراش ، أين نظرُ البصائر ؟! ويحك قم لتقعد **﴿ فى مقعد صدق ﴾** [سورة القمر : ٥٥] . اسلك جادَّة الجدِّ تصل **﴿ ولا تتَّبع الهوى فيضلك ﴾** [سورة ص : ٢٦] . يا قليل الخبرة بالطريق اطلب رفقةً.

٧٢/ب

إذا لم تعرف القبلة بالعلامات ، ففى المساجد محاريب ، فإن فقدت البصر فسَل من يُرشِدُك ، ما دمت تمشى فى حنادِس[١] غفلتك ، وظلمات هواك من غير مصباح تقوى ، ما تقع على الجادة ، استضئ بقبس[٢] يتبيَّن لك أنك لست على الطريق ، أين أنت من أهل اليقين ؟! أنت فى أرباب المعاصى عريناً[٣] وفى رُوم الهوى بِطرِيق[٤] ، أنت من حيوان الظلمة ، لذَّة الخُفَّاش فى الليل ، ما تليق الزرديَّة[٥] بالمخنث ، ما دام فى القلب حياة فإنه يرجى صلاح البدن كلّه ، فإذا مات القلب كان سببًا لهلاك الجسم .

إذا مات الجنين مع الحامل فبعيد أن تسلم ، إلى كم جنوبٌ مجنبةٌ ؟ أين صبا الوصل ؟ إلى متى يُصاح النفير وما للغافلين سلاح ؟ **﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا**

---

(١) جمع حِندس : وهو الليل الشديد الظلمة . المعجم الوجيز (ص ١٧٤) .

(٢) أى : بشعلة . المعجم الوجيز (ص ٤٨٨) .

(٣) هو مأوى الأسد . المعجم الوجيز (ص ٤١٦) .

(٤) هو القائد من قواد الروم . المعجم الوجيز (ص ٥٤) .

(٥) الزَّردية : أداة يشكل بها الصانع السلك أو يقطعه . المعجم الوجيز (ص ٢٨٧) .

له عدة ﴾ [سورة التوبة : ٤٦] . ابك على صلاح قلبك يضيء ، إذا بكى السحاب على الرُّبى[1] تبسَّمت ، استغث يا بعيد ، اندب يا طريد ، تأسف يا مهجور ، تقلقل يا مأسور .

٧٣/أ

رُدُّوا ولو يومًا ولو ساعةً   على الغضى من عيشنا الزائل/

لى ذلة السائل ما بينكم   فلا تفُتكم عِزةُ الباذل

أين انكسارُ المعتذر ؟! أين ذل المفتقر ؟! أين بكاءُ الحريق ؟! أين قلق المستكين؟!

أشكو إليك كلما جَنَّ الدُّجَى   هزَّةَ شوق تستطير الوسَنا

ومُقلةً إذا التفتُّ نحوكم   بلَّ البُكا ثيابَها والرُّدَنا[2]

ولو شريت ساعة منكم   بما بين ضلوعى ما شكوت الغَبنا

كم من حريق قد وقع فى زوايا المجلس ، فى داوخل قلوبٍ ما يعلم به إلا صاحب الدار ؟ كم من عزيمة قد رتّبت كيف تعمل إذا خرجت من المجلس ؟ فهى تفرغ منزلاً وتنتقل إلى منزل ، وما يُسمع صوتُ المنتقل ، ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مَرَّ السحاب** ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

وإذا استسر الحبُّ مات العاشق ، كأنى بخمر المواعظ قد أسكرت قلب النادم ، فرجع إلى بيته فعربد على جوابى[3] الخمر ﴿ **فراغ عليهم ضربًا باليمين** ﴾ [سورة الصافات : ٩٣] .

يا من يحدث نفسه بالتوبة ويتوقَّف ، للتأخير آفات ، اهجم هجوم الكذابين يعترفون بالذنب ، وينكسون رءوس الذُّل .

تعال قد أمكن المكان   واجسُر على الوصل يا جبان

عجِّل فإن الزمان شرٌّ   من قبل أن يفطن الزَّمَان

---

(١) جمع الربوة : وهى ما ارتفع من الأرض . المعجم الوجيز (ص ٢٥٣) .

(٢) أى : الكمُّ . المعجم الوجيز (ص ٢٦١) .

(٣) الجوب : الدلو العظيمة . القاموس « ج و ب » .

ويحك تقول : أنا تائب ، وما تدرى ما تحت هذا الضمان ، لا يُحكم بصحة إقراركم حتى تعلموا ما تقولون ، إذا صدقت توبة التائب/ بنى بيت التعبد بصخور العزائم ، ولم ينته فى أساسه دون الماء ، سيف العزيمة إذا ضرب قطّ[١] ، وما نبا عن مضروب قطُّ ، التوبة الصادقة تقلع آثار الذنوب بماء الإقرار ، إذا صدق التائبُ أنسى الله الملك ما كتب ، وأوحى إلى الأرض اكتمى على عبدى ، لابد بعد التوبة من ضيق المعاش، وفوت الأغراض ﴿**ولنبلونكم**﴾ [سورة البقرة: ١٥٥ ، وسورة محمد : ٣١] جوعٌ شديد ، فإذا أُعِدَّ فرضُ الإفطار نزل ضيف ﴿**ويؤثرون على أنفسهم**﴾ [سورة الحشر : ٩] قرأ ﴿ **الم ❊ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ [سورة العنكبوت : ١ - ٢] أيها التائب، إذا لاح لك مُشتهى فتقلقلت النفسُ تعطشًا إليه ، ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق** ﴾ [سورة غافر : ٥٥ ، ٧٧] .

٧٣/ ب

إذا رأيت سعةَ الدنيا عند أهل المعاصى ، فاعلم أنها حظُّهم ﴿ **والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ [سورة الزخرف : ٣٥] يا غائبًا عنا وهو حاضر ، أما لك ناظر ناظر؟! أما التشويق قد حث المبادر ، أما دموع الوجد قد روَّت المحاجر ، أفٌّ لبدوى لا يُطربه ذكرُ حَاجر[٢] .

ترجو سلوكًا فى رسوم بينها ... الأغصان سكرى والحمامُ متيَّم

هذى تميل إذا تنسَّمت الصَّبا ... والوُرق تذكر الفهـا[٣] فترنم

معاشر التائبين ، كلما بكيتم أزعجتمونى ، وكلما استغثتم ألهيتمونى .

وإنى لمجلوب لِىَ الشوق كلما ... تنفَّس باكٍ أو تألم ذو وجدِ

تعرض رسلُ الشوق والركب هاجد ... ليوقظنى من بين نُوَّامهم وحدى/

٧٤/ أ

ما أقوى هذه الحُرق ، ما أشدَّ هذا القلب ، ما ألذَّ هذا الأنين ، ما أطيب هذا الحنين .

---

(١) أى : قطع . المعجم الوجيز (ص ٥٠٧) .

(٢) الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، وما يمسك الماء من شفة الوادى ، ومنزل للحاج بالبادية. القاموس " ح ج ر " .

(٣) كأنها هكذا فى الأصل ، ولعل معناها : عىّ اللسان . المعجم الوجيز (ص ٤٨٣) .

استمع أنين العاشقين   إن استطعت له سماعًا
راح الحبيبُ فشيَّعته   مدامعٌ تجرى سِراعًا
لو كلِّف الصخر الأصم   فراق إلفٍ ما استطاعًا

ذكرتمونى سربًا قد فقدته ، وزمانًا فى الوصال قد عدمته .

لا يُذكر الرمل إلا حَنَّ مغتربُ   له بذى الرمل أوطار وأوطان
تهفو إلى البان من قلبى نوازعه   وما بى البان بل من داره البان
أسُدُّ سمعى إذا غنَّى الحمام به   ألاَّ تبيِّنَ سِرَّ الوجد من بانوا
وربَّ دار أوليها مجانبة   ولى إلى الدار أطرابٌ وأشجان
إذا تلَفَّتُّ فى أطلالها ابتدرت   للعين والقلب أمواهٌ[1] ونيران
كلمٌ بقلبى أداويه ويجرحه   طولُ ادِّكارى لمن لى منه نسيان

كان لى قلب فعدم ، سافر عنى ثم ما قدم .

يضيع فيُنشد قعبُ الغبوق[2] ، وقلبى يضيع فما يُنشدُ ، يا أقران الأحزان ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف﴾ [سورة يوسف : ٨٧] .

وكيف التذاذى بالأصائل والضحى   إذا لم يعُد ذاك النسيم الذى هبَّا
ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به   وعيشًا كأنى كنت أقطعه وثبا

أترى يجتمع الشمل بعد الشتات ؟! أترى يرد ما قد ذهب ومات؟!

ذلك العيش الذى فات به   سابق الدهر فولَّى أين يُلحَق / ٧٤/ ب
زال إلا خطرةٌ من ذكره   كاد إنسان لها بالدمع يشرق
يُلدغُ القلب إذا غنَّى على   فنن أو ناح قمرىٌّ مُطَوَّق
ثم كانت لليالى عطفه   مزقت شملى بها كل مُمَزَّق

---

(١) جمع ماء . القاموس « م هـ هـ » .

(٢) القعب : قدح ضخم غليظ . المعجم الوجيز (٥٠٩)
الغُبوق : ما يشرب بالعشى . القاموس « غ ب ق » .

ما بقى لى غير اعتناق المنى ، وأين أرض العراق من أرض منى ؟!

أتمناكم على النائى ومن تركوه ومنى النفس تُمنى

مذ فقدت وصلك يا حبيبى لم أفرح بموجود ، فإن رضيت بطردى رضيتُ باسم مطرود .

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم

إن كان سرَّكم ما قال حاسدُنا فما لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ

الفصل السابع والثلاثون

اللهم عاف عيون الفهم من رَمَد البلادة ، كم مبارز بالذنوب صرع ؟ كم مسالب للخطايا سلب ؟ عزه ما سرَّه فأوقد مصباح أمله فى ديار غفلته ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ [سورة البقرة : ١٧] فبات فى القبر على فراش الندم ﴿ **ولعذاب الآخرة أشق** ﴾ [سورة الرعد : ٣٤] ما نال أحدٌ لذةً إلا ونالته ذِلَّة .

ولن تكرمَ النفس التى لا تُهينها

يا هذا ، قد ذقت حلاوة الذنب ، وتطعمت مرارة الندَم . فهل وفت هذه بتلك ؟! ويحك إنما النظر فى العواقب ، أين لذاتك إذا نزل الموت ؟! كيف حسراتك إذا وقع الفوت ؟! / ٧٥/أ

كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وملك الموت قد بارز الأرواح ، وأعوان الأمل قد انهزمت ، وهو يجتذبها بخطاطيف الشدائد من سائر العروق ، وقد أوثق كتاف الذبيح ، وحار البصر لهول ما يرى ، وملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحوا أبواب الجنة ، وملائكة العذاب عن الشمال قد فتحوا أبواب النار ، وجميع المخلوقات تستوكف الخَبَرَ ، والكون كله قد قام على صيحة ، إما أن يقال : سعد فلان ، أو شقى فلان ، ذلك حين تنفتح أبصار ﴿ **الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى** ﴾ [سورة الكهف : ١٠١] بالله عليك تهيأ لتلك الساعة ،

حصِّل زادًا لوقت العَوَز[١] ، ويحك هذا القلب لا يصبرُ عن الترويح لحظة ، فله خزانة يجمع فيها الهواء ، ويتقوَّت بغير المجموع ، فإذا غاص الإنسان فى ماءٍ أو حبَسَ نفسه تقوَّت القلب بذلك المدَّخر ، فادخر التقوى تقوى على تلك المعاناة ، وارغب إلى الكريم فى الرجاء يحفظك فى الشدة ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٧] .

يا هذا ، لو أُودِعتَ قارورة تعلق قلبك بتسليمها سليمة ، والويل لك إن انكسرت فى يدك ، فإذا سلَّم الأولياء أرواحهم إلى مشتريها كما يحبُّ ﴿ **تتوفاهم الملائكة طيبين** ﴾ [سورة النحل : ٣٢] ثم المحنة العظمى خلوةُ الملكين بك فى بطن اللحد ، ليس عندك إلا عملك ، ثم العقاب الدائم ، أو النعيم مدة الإقامة فى البلى ./ ٧٥/ب

وأعظم من ذلك قيامُك للجزاء ، ومنادى العدل يقول : ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ [سورة الجاثية : ٢٩] ولسان الميزان يتبين فيه مثقال ذرة ، وحاكم الإنصاف يقرأ : ﴿ **من عمل سيئة فلا يُجزى إلا مثلها** ﴾ [سورة غافر : ٤٠] فإذا تمنى العاصى مرتبة المطيع قيل : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [سورة الجاثية : ٢١] لَمَّا تيقن المؤمنون هذه البلايا قالوا : ﴿ **ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ [سورة فصلت : ٣٠] . فلمَّا استقلوا للسير تأملوا طول الطريق فاستقلوا الزاد ، فتمموا المراد بالبكاء .

كان ليحيى البكاء عمامةُ يجعل لها طرفين ، فيبكى حتى يبلُّهما ، ثم يحلها من رأسه ويبكى حتى يبل العمامة بأسرها ، ثم يبكى وينتحب حتى يبل أردانه[٢] .

قد كان يمنعه الحياءُ من البُكى   فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

كانت مع هشام بن حسان جارية فى الدار ، فكانت تقول : أى ذنب عمل هذا؟! من قتل هذا ؟! الليل كله يبكى .

---

(١) أى : الحاجة . القاموس « ع و ز » .

(٢) أى : أكمامه . المعجم الوجيز (ص ٢٦١) .

تركت الفؤاد عليلاً يُعاد　　　وشردت نومى فمَا لى رُقاد

كان شاب فى عبد القيس يبكى ليلاً ونهارًا ، فقيل له : لو قصَّرت . فقال : والله لا أقصِّرُ فى نجاة نفسى أبدًا .

القلبُ أعلمُ يا عذول بدائه　　　وأحق منك بجفنه وبمائه

فوَمن أحبُّ لأعصينك فى الهوى　　　قسمًا به وبحُسنه وبَهائه

أأحِبُّه وأحِبُّ فيه ملامَةً　　　إن الملامة فيه من أعدائه / ١/٧٦

إن المشوق مضرَّجٌ بدموعه　　　مثل القتيل مضرج بدمائه

إذا نزل آبٌ[١] فى القلب سكن آذار[٢] فى العين .

قيل ليزيد الرقاشى : أما تسأم من كثرة البكاء ، فبكى ثم قال : وهل يسأم المرضع من الغذاء ، والله لو قدرت أن أبكى بعد الدموع دمًا وبعد الدم الصديد لفعلت ، يا إخوتاه ابكوا على أنفسكم ، فإن لم تجدوا بكاء فارحموا كل بكاءٍ .

ما ضرّ حدأة عيسهم لو رفقوا　　　لم يبق غداة بينهم لى رَمق

قلبٌ قلق وأدُمع تستبق　　　أوْهى جلدى من الفراق الفَرق

قوم وهبوا لكل جسم سَقَمَا　　　ثم اجتلبوا لكل قلب ألما

لمَّا هجروا تبدَّل الدمع دما　　　فى جفن متيم لهم قد كتما

أصبحت لبعدهم نديم الندم　　　وِجدَانى بالغرام مثل العَدَم

دامت حرقى ووصلهم لم يدم　　　ما لى جَلَدٌ أبثُّ بعض الألم

فليطرح الملام لى العُذال　　　فالقلب قد استطاره البلبال

قد كنت وكنت فاستحال الحال　　　قلبى هدف وهجركم نبَّال

كان مالك بن دينار يبكى حتى يقع صريعًا ، فيحمل إلى منزله . وكان عبد الواحد

---

(١) هو الشهر الحادى عشر من الشهور السُّريانية ، يقابله أغسطس من الشهور الرومية الميلادية . المعجم الوجيز (ص ١) .

(٢) آذار : الشهر السادس من الشهور السُّريانية ، يقابله مارس من الشهور الرومية الميلادية . المعجم الوجيز (ص ١) .

ابن زيد يبكى حتى يغشى عليه .

خذوا القلب إن شئتم   وإن شئتم ردُّوا
على كل حال ليس لى   منكم بُدُّ

٧٦/ب الخوف يحث الدمع ، والشوق يُجَعجِعُ به ، / وبين الرضا والسخط والقرب والنوى مجال الدمع المقلة المترقرق . كان أبو سليمان الدارانى يبكى حتى يَثِب الدمع من عينيه ولا يجرى . وكان عطاءٌ السُّلمى[1] يبكى حتى لا يقدر أن يبكى .

يا منفداً ماءَ الجفون   وكنت أنفقه عليه
أترى هواك يُقيلنى   وأتوب منه على يديه
إن لم تكن عينى فأنت   أعزُّ ما نظرت إليه

كانوا إذا ضيق الخوف عليهم الخناق نفسوه بالرجاء . وكان أبو سليمان يقول : إلهى ، إن طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك ، وإن أسكنتنى النار بين أعدائك لأخبرنهم أنى كنت أحبُّك . وكان يحيى بن معاذ يقول : إن قال لى يوم القيامة : عبدى ما غرك بى ؟ قلت : إلهى بِرُّك بى .

تجاسرت فكاشفتك   لما غُلب الصَبر
فما أحسن فى مثلك   أن ينهتك السترُ
فإن عنَّفنى الناس   ففى وجهك لى عُذرُ
لأن البدر محتاجٌ   إلى وجهك يا بدرُ

الفصل الثامن والثلاثون

إخوانى : أعينُ يقينكم رَمِدةٌ والفكر تبريد، تدبَّروا منازل التدبر فنعم الأوطان ، القلب بيتُ « ويسعنى »[2] ، والنفس ساكنة فى ديار الطبع ، وكم بينهما من فجٍّ عميق / وقد كُلفت بالرياضة . ٧٧/أ

---

(١) كذا فى الأصل ، والمشهور السُّليمى .

(٢) تقدم تخريجة ، وانظر فهرس الأحاديث لمعرفة مواضعه .

جاءت أشهر الحج وبركُ الطريق قد امتلأت بالوحل ، فنظفوها قبل مجىء الغيث ؛ لئلا يعطش الحاج ، لو تعبتم فى طريق السلوك وقع عذر العاجز ، وإنما المحنة ﴿ **إنكم رضيتم بالقعود أول مرة** ﴾ [سورة التوبة : ٨٣] كم أجذبكم إلى الإنابة وطباعكم ترد إلى الهوى ، سائق منجِد وشوق يغور ، تحضرون بالأبدان وتغيبون بالقلوب .

لمن أعاتب ما لى أين يذهبُ بى

إنما تحدَّث الألباب وما قدمت بعدُ من الغيبة .

أيقظت هاجعهم وهل يغنيهم سهر النواظر والقلوب نيامُ

يا بعيدى الصلاح ﴿ **إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا** ﴾ [سورة النبأ : ٤٠] يا مطلقى أنفسهم فى الخطايا ﴿ **إن لدينا أنكالاً وجحيمًا** ﴾ [سورة المزمل : ١٢] احذروا فرعون الهوى ، فإنه يُصلِّب على جذوع النخل ، قد قست قلوبكم فصارت كالحديد ، فقربوها إلى نار المواعظ ، ودعونى انفخ كير التخويف ، وإلا فما ينفع الضرب فى حديد بارد .

قال مالك بن دينار : ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قساوة القلب ، من لم يكو قلبه بنار التحذير ، فـ ﴿ **نار جهنم أشد حرًّا** ﴾ [سورة التوبة : ٨١] ﴿ **عليها ملائكة غلاظ** ﴾ [سورة التحريم : ٦] لمن لم يكو قلبه ﴿ **شدادٌ** ﴾ [سورة التحريم : ٦] للمتشدِّد فى المخالفة ، ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم** ﴾ [سورة التحريم : ٦] . فيمن عصى أمره ﴿ **ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [سورة التحريم : ٦] فيمن لم يفعل ما أمر .

مَرَّ ذو القرنين على ملك آخذ / بأصل جبل . فقال له الملك : من أنت ؟ قال: أنا ذو القرنين . قال : ألكم خلقت الجنة والنار ؟ قال : نعم . قال : لقد خلقتم لأمر عظيم . ٧٧/ ب

هذا الذى أسهر عيون العابدين ، هذا الذى قلقل قلوب الخائفين . كانت الجارية تفرش الفراش لعلى بن بكار ، فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله لا علوتك الليلة ، فكان يصلى إلى الصباح ، ويصلى

الصبح بوضوء العتمة ، وما زال يبكى حتى عمِىَ .

تزوج صلة بن أشيم ابنة عمه، فأدخله ابن أخيه الحمَّام، ثم أدخله بيت المرأة وقد طُيِّب، فقام يصلى وقامت تصلى إلى الفجر، فقال له ابن أخيه: أهديت إليك ابنة عمك فقمت تصلى ثم تركتها . فقال : إنك أدخلتنى أمس بيتًا أذكرتنى به النار، ثم أدخلتنى بيتًا أذكرتنى به الجنة، فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت.

كفى حزنًا أن لا أعاين بقعة ... من الأرض إلا ازددت شوقًا إليكم

وإنى متى ما طاب لى خفضُ عيشة ... تذكرت أيامًا مضت لى لديكم

كان رجل من بنى تميم يحيى الليل صلاة ، فقالت له أمه : يا بنى لو نمت من الليل شيئًا . فقال : يا أماه إنما أطلب الراحة فى الآخرة . قالت: يا بنى فحالف السهر أيام الحياة لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم ، وما أراك ناجيًا ، فصرخ صرخة وسقط بين يديها ميتًا . / فجعلت تقول : وا بنيَّاه قتيل يوم القيامة ، وا بنيَّاه قتيل الآخرة . ٧٨/أ

فكر فى أفعاله ثم صاح ... لا خير فى الحُبِّ بغير افتضاح

قد جئتكم مستسلمًا[1] فارحموا ... لا تقتلونى قد رميت السِّلاح

عُذل بعض العباد فى اجتهاده ، فقال : إنما ينبغى أن تعذلونى على التقصير .

كأن رقيبًا منك سدَّ مسامعى ... عن العذل حتى ليس يدخلها عذل

كأن سُهادَ الليل يعشق مقلتى ... فبينهما فى كل هجر لنا وصلُ

بات بعض العباد على ساحل البحر فبكى إلى الصباح ، فقيل له : ما بكاؤك ؟ فقال : رأيت أمواج البحر فى ظلام الليل ، فذكرت بها إطباق جهنم .

وبرقٌ أضاء فلولا السهاد ... لدَلَّ الخيال على مضجعى

يطارحنا بحديث العُذيب ... ولكن جزعنا ولم يجزع

كانت الحجارة تسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2] ، والآن

(١) لم أستطع قراءتها من الأصل ، ولعل صوابها ما أثبته . والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٢٧٧) عن جابر بن سمرة مرفوعًا : « إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أُبعث ، إنى لأعرفه الآن » .

فحجارة القلوب قد كلمتنى ، ولكن بألسنة الندم وعبارة الدموع :

يا حادى التائبين لا تجعجع بوقك ؛ فإن سوقك بالقوارير .

يا سائق الأظعان رفقًا وإن لم يُغْن قولى للعسوف[١] ارفُق
لولا زفيرى خلف أظعانهم وحرُّ أنفاسى لم تسبق

قلوب قد ألفت برودة الترف ، وقد أحرقها اليوم نار التخويف .

رفقًا بقلب مُتَيَّم نار الغرام عليك صال / ٧٨/ ب
كثُرت جنايات الغرَام علىّ مُذ قلَّ احتيالى

فى أواخر الركب مريض قد أبدِع[٢] به ، توقفوا لعله يلحق .

قفا لعليل فإن الوقوف إن هو لم يشفه علَّلا

أيها التائبُ من حركك ، وقد كان تحريكُ الجبل دون انزعاجك ، لعلها سابقة خير لك ؛ إذ كسبُنا عاجز عن إصلاح مثلك ﴿ **صُنْع الله الذى أتقن كل شيء** ﴾ [سورة النمل : ٨٨] كأنى بك إذا خرجت من المجلس ، وشياطين الهوى قد تعلقت بأهداب عزيمتك ، كلٌّ يمد أنشوطتها للحل ، فإن صِحْتَ عليهم بصوت عزم وحزم تفرقوا وفرَّقوا من ظلك ، وإن طمعوا فيك صحبوك إلى المنزل فحلوا وحلوا . يا جنود الصبر اثبتوا ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** ﴾ [سورة الأنفال : ٦٥] تذكروا عزَّة الإقدام ، واحذروا هتيكة الهزيمة ، إذا غلبكم عطش الهوى فى نهار الشهوات ، فعلِّلوا الصائم بالسباحة ، إن أثر تعب الجد فى سُوق[٣] العزم فاستريحوا إلى ظِل رُخصةٍ ، هذا اللطف بأهل البداية ، فأما العارفون فشوقهم حمّال ، كلما سمعت إبلهم صوت الحادى مضى اللغوب[٤] .

---

(١) أى : الظلوم . القاموس « ع س ف » .
(٢) أى : عطبت ركابه وبقى منقطعًا به . القاموس « ب د ع » .
(٣) فى حاشية الأصل : « سُوق جمع ساق » .
(٤) أى : الإعياء . القاموس « ل غ ب » .

« يقرب الشوق داراً وهى نازحةٌ من عالج الشوق لم يستبعد الدارا »[١]

تغنَّ بالجدعاء[٢] يا سائقها فإن ونت شيئًا فردَّها الأبرقا[٣]

إذا لاحت أعلام التقى ، لم يبق منزل دون المنزل .

أَحنُّ إلى نورِ اللِّوى فى بطاحه وأظمأ إلى ريّا اللوى فى هبوبه

وذاك الحمى يغدو عليلاً نسيمُهُ ويمسى صحيحًا ماؤه فى قليبه /

٧٩/أ

المصطلى بنار المواعظ فى برد الغفلة كثير ، ولكن أين الفَراش ؟! لو فهمت الجبال ما أقول صارت كالعهن[٤] .

لو وصل كلامى إلى الحوت الحامل للأرض لاضطرب فزُلزلت ، من أين للملائكة مثل خضوعنا ؟! من أين يقدرون على صومنا وجوعنا ؟! ذُلنا عن حَجْل[٥] ذنب ، خضوعنا صبر عن شهوة أكل ، لنا خشوع ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا** ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] ولهم فخر ﴿ **ونحن نسبح** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] .

هب لها الشوق[٦] ولكن زادنا أننا نبكى عليها وتُغنِّى ، صعد إليهم منا إدريس وعيسى - عليهما السلام - وجال فى مجالهم محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ونزل إلينا هاروت وماروت ، وتدبَّر[٧] عندنا إبليس ، لو علم المدبرُ ما سيظهر منا ما سأل الإنظار ، فى كل مجلس يقلق لما يرى من النفع ، واليوم يغشى عليه .

---

(١) هذا البيت ملحق بحاشية الأصل .

(٢) هى الفصيل ساء غذاؤه ، أو رُكب صغيرًا فوهن . المعجم الوجيز (ص ٩٥) .

(٣) الأبرق : المكان الغليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة . المعجم الوجيز (ص ٤٦) .

(٤) هو الصوف المصبوغ ألوانًا . المعجم الوجيز (ص ٤٣٩) .

(٥) أى : قيد . المعجم الوجيز (ص ١٣٧) .

(٦) فى حاشية الأصل : « السبق » وفوقها « خ » ، يعنى فى نسخة .

(٧) أى : أُنظر وأمهل . القاموس « د ب ر » .

الفصل التاسع والثلاثون

اللهم أعن أهل البداية على ظلمات الهوى بقوة نور الهدى ، يا هذا قلبك يحثك على التوبة وهواك يمنع ، والحرب بينهما قائمة ، ويحك استعن بالفكر فى العواقب ، وقد غُلِبَ الهوى .

أهُمُّ بشىء والليالى كأنها ... تطاردنى عن كونه وأطاردُ

وحيد من الخُلان فى كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قلَّ المُسَاعدُ

تعزم على قيام الليل فتنام ، وتقول : ما السببُ ؟! تحضر المجلس ولا تبكى وتقول : ما الذى قسَّى قلبى ؟! ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] عصيت بالنهار / فنمت بالليل ، أكلت الحرام فأظلم القلب ، فلما فتح باب التوبة للمقبولين طردت ، ﴿ **ذلك بما قدمت يداك** ﴾ [سورة الحج : ١٠] يا دائمًا على الخطايا والعصيان ، متى يقال : تاب فلان ؟

٧٩/ب

ألا خبرٌ من جانب الغَور[1] واردٌ ... قد أبى به أيدى المطى الرواسم

وإنى على ما يوجبُ الدهر للفتى ... وإن سامه حمل الأمور العظائم

«مقيم بأطراف الثنايا صبابة ... أُسائل عن إظعانكم كل قادم »[2]

يا قاعدين عن أعالى المعالى ، الشاب التائب حبيبُ الله ، أما استخشنتم منزل الذنوب ، ويحكم استثيروا عن إعطاء البعد .

ثوروا لها ولتَهُنْ فيها نفوسكم ... إن المناقب للأرواح أثمان

لا تظنوا أن كثرة الذنوب تمنع القبول ، فإن الكريم لا يتعاظمه شيء . إذا لُطِف بعبد هُيِّئ له ما لا يدخل تحت كسبه .

قتل رجل مائة نفس ثم سأل عن قبول التوبة ، فقيل له : اخرج من القرية الخبيثة إلى القرية الصالحة ، فخرج فنزل به الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فبعث الله ملكًا فقضى بينهم ، فقال : قيسوا الأرض فإلى أى

---

(١) هو ما بين ذات عِرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربًا من تهامة . القاموس « غ و ر » .

(٢) هذا البيت ملحق بحاشية الأصل وعقبه : « أصل » .

القريتين كان أقرب فألحقوه بأهلها ، فقَرَّب الله - عز وجل - منه القرية الصالحة ، وباعد منه القرية الخبيثة[1] . ﴿ **كذلك كدنا ليوسف** ﴾ [سورة يوسف : ٧٦] طالما بادرتم بالمعاصى مستعجلين ، فبادروا إلى الإنابة ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣] .

٨٠/أ أحلى نطق يدخل سمع القبول الاستغفار ، / أصفى زيت يوقد به سراج اليقين الفكر ، أحسن منظوم فى سلك الاعتذار خَرَزُ الذل .

قال عبد الله بن مرزوق لغلامه عند موته : لى إليك حاجة . قال : ما هى ؟ قال : تحملنى فتطرحنى على تلك المزبلة ؛ لعلى أموت عليها ، فيرى مكانى فيرحمنى .

واصلتُهم فليتهم قد وصلوا عقلى عقلوا وفى فؤادى نزلوا
ناديتهم وأدمعى تنهَمِلُ جودوا بالعطف وارحمونى وصِلُوا
يا بَيْن إلى متى وكم تُغرى بى ما تقنع لى بفُرقة الأحباب
افعل ما شئت إنَّ صبرى دأبى قد ذبت جَوًى وقد حلا لى ما بى

يا من كان له قلب فى الطاعة فانقلب إلى الإضاعة ، طال هجرك لنا فجُزْ بوادينا ، وقف مع من ينادينا بنادينا فنادينا .

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصورا

قيام السحر يستوحش لك ، صيام النهار يسأل عنك ، ليالى الوصال تعاتبك .

سل أبرق الحَنَّان[2] واحبس به أين ليالينا على الأبرق

أما يؤلمك الهجرُ ؟! أما تشتاق إلى الوصل ؟!

أين أيامُك والدهر ربيع والنوى معزولة والقربُ والٍ

---

(١) أخرجه البخارى (٤ / ٢١١ - ٢١٢) ح (٣٤٧٠ - فتح) ،ومسلم ح (٢٧٦٦) عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا .

(٢) فى حاشية الأصل : « الحنان موضع » .
وفى القاموس « ح ن ن » : أبرُق الحَنَّان موضع .

فراق الأحباب تلف عاجل ، كيف يبقى جسد بلا قلب؟! كيف / يعيش جسم بلا روح ؟! ٨٠/ب

لم يترك الغادون لى ... قلبًا يُحِن الحزنا
كان فؤادى وهُمُ ... فظعنوا وظعنا

أعرف الناس بالطريق من قد سلك ، إذا ذكرت منازل مكة حَنَّ الحاج .

وإذا هبت صبا أرضكمُ حَمَلَت ... تُربَ الغضا بانًا ورندا
ردَّ لى يومًا على وادى منى ... أن قضى الله لأمرٍ فاتَ ردَّا
عجبًا لى كيف أبقى بعدهُمُ ... غير أن قد خلق الإنسان جَلَدا

لما ذاق آدم - عليه السلام - لذة الجنة وطيب المناجاة ثم فقدها بالهبوط ، جرت الأنهار من دموعه فلا يوزن ببكائه أحد ، ولا يتقلقله تقلقل مخلوق .

عودونى الوصال والوصل عذب ... ورموا بالصُّدود والصدُّ صعبُ

ما كان سبب سكون آدم إلا أنه قال : يا رب إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ فقيل : نعم .

وإنا لنرضى أن تصدوا وتقربوا ... فردُّوا لنا ذاك الوصال كما كانا
هو الوجد أرضانا بأدنى نوالكم ... وأقصى مُنَانا أن تقارب أرضانا
إذا ما ادعينا سلوه عن هواكم ... جرى الدمع منهلاً فكذَّب دعوانا
فليت الرشاة حين بثت حديثنا ... إليها دموع العين رقَّت لبلوانا
وكنا نعطى وهو باد غَرَامَنَا ... ونكتم ما نلقى فقد بان مذ بانا
فليت نسيم الريح حُمِّل عرفهُم ... فأدَّاه أحيانًا إلينا فأحيانا

دخلوا على كُرز بن وَبرة وهو يبكى فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : منعت / الليلة جزئى أن أقرأه ، وما ذاك إلا من ذنب أحدثته . ٨١/أ

قد صدَّ وصدَّ طيفه منذ ليال ... وامتد الليل كيف ما شاءَ وطال
لم يبق لصبرى فى قضا الدهر مجال ... والصبر على الصدود والهجر مُحال

سَقيًا لزمانِ وصلِنا من زمن ما أسرع ما تفضّ[1] عني وفني
كنا وكأنّ ما مضى لم يكن فوا حزني على الغضى واحزني
يا قلب صروف دهرنا ألوان يا قلب متى تحوّل السُّكانُ
ناديت وفي حشاشتي النيران بانوا عني وليتهم ما بانوا
دعني فالعيش بعدهم ما يحلوا والوصل لهم بمهجتي ما يغلو
قلبي من طول ذكرهم ما يخلو هيهات محبٌّ مثلهم أن يَسلو

الفصل الأربعون

إنما يقع الجزاء على النيات والمقاصد لا على صورة الأعمال ، « **إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا إلا وقد سبقوكم إليه** »[2] .

لا تحسبوا أني أقمت وإنما قلبُ المقيم زميل ذاك السائر

لابد لكل ساع من غاية يقصدها ، كم بين من يريد حرث الدنيا وبين آخرين يريدون وجهه ؟! كم من متعبد ليذكر نُسى ، وليصعد نزل ؟! ﴿ **وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم** ﴾ [سورة النمل : ٧٤] كم قد اجتهد المنافقون في رفع بنيان الربا ، فأتموا الحيطان ووضعوا الشقوق ؟! ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد** ﴾ [سورة النحل : ٢٦] يضربون على غير السكة ، ومَحَالٌّ القلوب تعرف المحال .

وقد يتزيًا بالهوى غير أهله / ٨١/ب

ذرّات الأعمال تجمع بميزان الجزاء ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة** ﴾ [سورة الزلزلة : ٧] فإن كانت خالصة فقُراضة[3] الأماني لا تقف ، وإن كانت رياءً فصحيح الشبَهِ مردود ، ما للزيوف[4] رونق ، لما علم الصالحون شرف الإخلاص حَذِروا على

---

(١) أي : تفرق وانتشر . القاموس « ف ض ض » .
(٢) أخرجه البخاري (٤ / ٣١) ح (٢٨٣٨ ، ٢٨٣٩ - فتح) عن أنس مرفوعًا بلفظ : « إلا وهم معنا . . . » .
وأخرجه مسلم ح (١٩١١) عن جابر بن عبد الله مرفوعًا بلفظ : « إلا كانوا معكم . . » .
(٣) القُراضة : ما سقط بالقرض . المعجم الوجيز (ص ٤٩٧) .
(٤) من الحاشية ، وفي الأصل : « للبريق » وفوقها ضبة هكذا : « صـ » .

الأعمال ، فبـالغوا فى الكتمان حتى قال الثورى : لا أعـتدُّ بما ظهر من عملى . وكان يقول لنفسه : يا سفيان أين تكون يوم القـيامة إذا قيل : أين القراء الفسقة ؟ ثم يبكى .

كان أيوب السختيانى يستر البكاء ، فإذا غلبه قال : إن الزكام لشديد .

هبـــينى أســـتـــر الـبلوى   أليس الـدمع يـفـــضـــحـنى
لـســـانـى فــــيـك أملـكـه   ودمع العــــيـن يمـلـكـنى

كان أبو السليل إذا جاءه البكاء صرفه إلى الضحك .

ومَنْ قلبـه مع غـيـره كـيف حـاله   ومن سِرُّه فى جفنــه كـيف يكتم

كان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة ، وفى كمه مفتاح دار ، ولا مأوى له إلا المساجد .

وكان آخر لا يقدر فى الشتاء على جبة ، ويقول لأصحابه : بى علة تمنعنى من لبس المحشو ، وإنما يعنى بعلته الفقر .

إن الكـريم لـيخـفى عنـك عُسـرته   حـتى تراه غنيًّا وهو مجهـود

صام داود بن أبى هند أربعين سنة لم يعلم به أحد ، كـان يأخذ غداءه ويخرج إلى الدكان ، فيتصدق به فى الطريق ، فيظن أهله أنه قد أكل فى السوق ، ويظن أهل السوق أنه قد أكل فى البيت .

ومـسـتـخـبـر عن سِرِّ لـيلى رَددته   فـأصـبح فى ليـلى بغـيـر يقين / ٨٢/أ
يقـولون أخـبـرنا فـأنت أمينُهـا   ومـا أنـا إن أخـبـرتهـم بأمين

علمَ القوم أن الحبيب يحب ستر المعاملة فاستوثقوا من شدِّ الكتم .

وإنى إذا اصطـكّت ركـابُ مُطيِّكـم   وثوّر حـادٍ بـالرفـاق عـجـول
أخـالف بين الراحـتين على الحشى   وأنظر أنّى مِلتمُ فـأميـل

إذا تحققت المحبة محت صفات المحبِّ ، وأسقطت جميع إراداته ، فلا يبقى له غرضٌ إلا فيـما يحب الحبيبُ . لا تظنّن أن زليخا من جملة المحبين ، إنما علقت ببعض أهداب المحـبة ولم تتـمكن ؛ إذ لو تمكنت لكان غاية غـرضها اتبـاع رضا

المحبوب ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ [سورة يوسف : ٥١] لزوم لمنهاج العروض فى شعر العشق ﴿ ولئن لم يفعل ﴾ [سورة يوسف : ٣٢] زحاف فى الشعر ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سُوءًا ﴾ [سورة يوسف : ٢٥] خروج عن القافية .

كان داود الطائى يقول فى مناجاته : همُّك عطَّل علىَّ الهموم ، وحالف بينى وبين السُّهاد .

أنت على البعد همومى إذا غِبت وأشجانى على القرب
لا أُتبِعُ القلب إلى غيركم عينى لكم عينٌ على قلبى

وكيف لا تشتغل القلوب بساكنها والأسرار بقاطنها ، « لا يسعنى شيء ويسعنى قلب عبدى المؤمن »[1] .

بنتم عن العين القريحة فيكمُ وسكنتم طىَّ الفؤاد الوالِهِ

أصعبُ الأشياء على المحب لقاءُ الخلق ؛ لأن خلوة « أنا جليس من ذكرنى »[2] لا تحتمل الشركة .

٨٢/ب

ما أبالى إذا النوى قربتكم فدنوتم مَن حَلّ أو مَن سارا /
والليالى إذا نأيتم طِوال وأراها إذا دنوتم قصارا

شمول الذكر قوت أرواح المحبين ، تشربها صرفًا على الخَوى[3] ، ولا تحتاج إلى نُقل[4] .

كان عثمان الباقلانى يقول : أبغض الناس إلىَّ من يلقانى فيكلمنى ؛ لأنه يشغلنى عن الذكر ، وإذا كان وقت الإفطار أحسست بروحى كأنها تخرج ؛ لانشغالى بالأكل عن الذكر .

---

(١) تقدم تخريجه ، وانظرمواضعه فى فهرس الأحاديث .

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ح (٦٨٠) ، وابن أبى شيبة فى المصنف ح (١٢٢٤ ، ٣٤٢٨٧) عن أبى بن كعب قال : قال موسى - عليه السلام - : يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فقيل له : يا موسى ، أنا جليس من ذكرنى . . » .

(٣) أى : وبطنه خاوية . المعجم الوجيز (ص ٢١٥) .

(٤) هو ما يتنقل به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرها . المعجم الوجيز (ص ٦٣٢) .

ذكره عندى مقيمٌ راهن وفؤادى عنده ثاوٍ رَهين

هذه حالتهم فى ذكرهم ، فإذا سمعوا ذكر الحبيب من الغير لعبت بهم أكف الطَّرب ، واستلبهم ولَهُ الوجد .

يريحنى إليك الشوق حتى أميل من اليمين إلى الشمال
كما مال المعافِرُ عاودته حميًا الكأس حالاً بعد حال
ويأخذنى لذكركم ارتياح كما نشط الأسيرُ من العقال
وأيسر ما ألاقى أن همًّا يُغصصنى بذا الماء الزلال

فإذا تمكن الشوق زاد الهيمان . كانت رابعة تقول : والله لقد طالت علىَّ الأيام والليالى بالشوق إلى لقاء الله تعالى .

شوقى إليك مجاوز وصفى وظهور وجدى دون ما أخفى
يا ليت جسمى كلّه حَدق حتى تراك وليته يكفى
ما دار ذكرٌ منك فى خَلَدى إلا طرفت بدمعتى طَرفى

قال ذو النون : رأيت شيبان المصاب فى جبل لبنان ، فقلت : ادعُ لى . فقال: أنَّسك الله بقربه ، ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام ، فلما أفاق قال : / ٨٣/أ إن ذكر الحبيب هيَّج شوقى ، ثم حبُّ الحبيب أذهل عقلى ، الأحباب موتى أحياءٌ.

ترى المحبين صرعى فى ديارهم كفِتيَة الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف الأحبابُ أنهمُ قتلى من البين يوم البين ما حَنِثوا

الفصل الحادى والأربعون

الدنيا مبنية على الكدر ، فالصافى منها ريح . جاء رجل إلى بعض الصالحين وهو يأكل طعامًا ، فقال له : قد مات أخوك . فقال : اجلس فكل ، فقد علمت. فقال : ما سبقنى إليك أحد . فقال : بلى قوله تعالى : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ [سورة الرحمن : ٢٦] .

وما استغربت عينى فراقًا رأيته   ولا علّمتنى غير ما القلب عالمه

الفطنة فطرة ، يا معشر التجار، بيعوا ما يفنى بشيء ما له من نفاد ، حلال الدنيا حساب ، وحرامها عقاب ، ومن أسف[1] إلى دفين تلوث ، إياكم وإيثار الفانى ﴿ **إنما عند الله هو خير لكم** ﴾ [سورة النحل : ٩٥] . إنما يغتر بلعب الخيال الأطفال ، والكلام معكم يا رجال ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا** ﴾ [سورة لقمان : ٣٣ ، وسورة فاطر : ٥] .

ويح المستكثرين من الخطايا ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون** ﴾ [سورة المطففين: ٤] ما كفاهم نزول خيم المعاصى حتى ضربوا سرادقات الإصرار ، كم رأوا مذنبًا يسرح فى ميدان بيداء غفلته ، ويمرح فى خيلاء بطالته ، إذا كَفُّ الاختلاس قد جذبته إلى حفرته ، فَسَل به فى سَلَبِه كيف حاله مع ذنبه ؟! يتمنى لو رُدَّ ، ومن المنى ألف بُدٍّ ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ [سورة النور : ٤٤] .

٨٣/ب وا عجبًا لمغلوب العقل بالهوى ، إنه لأقبح من أخذ شاة ببَيدق ، / وأعقل الناس الزهاد ، فتحوا أعين البصائر فتأملوا العواقب ، فألزموا النفوس ترك الفانى ، فأقل ما لهم ﴿ **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ [سورة يونس : ٦٤].

كان عامر بن عبد القيس يصلى كل يوم ألف ركعة ، ثم يجلس بعد العصر وقد انتفخ ساقاه ، فيقول : يوشك أن يزول هذا التعب .

وإذا كانت النفوس كبارًا   تعبت فى مرادها الأجسام

كان داود الطائى يخبز له ستون رغيفًا ، فيعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء ، فأكل ليلة تمرًا ، فلما كان فى الليلة الثانية قال لنفسه : اشتهيت البارحة تمرًا فأُطعمته ، واشتهيته الليلة لا أكل داود تمرًا ما دام فى الدنيا .

إسكان هذا الجسم قبل فؤاده   رفقًا به ليناال بعض مراده

قال بعض أصحابه : رأيته بعد موته فى قبة يُزفُّ فيها زفًّا ، فقلت له :

---

(١) كذا فى حاشية الأصل ،وفى الأصل : «ركن » .

أوصنى. فقال : داوِ قروح بطنك بالجوع ، واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان ، وآثر حب الله على هواك ، ولا تبال متى تلقاه . ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] .

جاء رجل إلى العلاء بن زياد فقال له : إن أُبيًّا أتانى فى منامى فقال لى : ائت العلاء بن زياد فقل له : كم تبكى فقد غفر الله لك ، فبكى ثم قال : الآن حين لا أهدأ .

وما فى الأرض أشقى من مُحبٍّ　　وإن وجد الهوى عذب المذاق

تراه باكيًا فى كل حين　　مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكى إن نأوا شوقًا إليهم　　ويبكى إن دَنوا خوف الفراق / ٨٤/أ

يا مشغولاً بالدنيا أين أنت من أهل الآخرة ؟! الدنيا صولجان فى يد صبى أين هو من همَّة ملِك ؟! الأولياء فى حرم التقوى ﴿ **ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧] .

راهبُ المحبَّة فى دير الذكر لا ينام ، قد أوقد مصباح المناجاة طول الليل ، وصبى الغفلة كلما حُرِّك زاد نومه ، أين سَهَر الذئب من نوم الفهد .

نَأت الديار وما هواك بناء　　فالقلب رهنُ صبابة وعناء

فرَّقتَ ما بين الرقاد ومقلتىٍ　　ووصلت صبحى بالبكا ومسائى

قويت أبصار بصائرهم ، فحدَّقوا إلىٰ العواقب ، فلما خفى عليهم المآل زادوا فى البكاء .

كان عبد الله بن رواحة يبكى ، فتقول له زوجته : كم تبكى ، فيقول : أنبئت أننى وارد ولم أنبأ أنى صادر[1] .

أراحلون فنبكى أم مُقيمونا　　أم نحن فى غفلة عما تريدونا

أمرى وأمركم يا سادتى عجبٌ　　قلبى حزين وأنتم لا تبالونا

أين قلبك يا مسكين ؟ مات أحسن الله عزاءك . ويحك فكرُ القلب فى

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلاواردها ﴾ - أى جهنم- [سورة مريم : ٧١] .

المباحات يحدث له ظلمة ، فكيف فى تدبير الحرام ؟! إذا غيَّر المسك الماء منع من التوضى ، فكيف ولوغ الكلب ؟! من اتخذ أرض قلبه بيت لعب فقبره حفرة ، ومن اتخذها مسجداً فقبره روضة .

دخل اليوم موسى وعظى إلى مدينة قلبك ﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان** ﴾ [سورة القصص : ١٥] القلب والنفس ﴿ **هذا من شيعته** ﴾ [سورة القصص : ١٥] ، وهو القلب ﴿ **وهذا من عدوه** ﴾ [سورة القصص : ١٥] وهى النفس ﴿**فاستغاثه الذى من شيعته على الذى / من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ [سورة القصص : ١٥] .

٨٤/ ب

فكان قتل النفس سبباً للخروج من قصر مصر الهوى إلى شِعب شُعيب اليقظة، فحينئذ يُعرض عليك العمل ، ويناديك لسان الشريعة : هل لك فى بلوغ غرضك؟ ﴿ **على أن تأجرنى** ﴾ [سورة القصص : ٢٧] فإن وفيت انقلبت بأهلك إلى وطن الإقامة ، واسترجح لك التكليم على طور الجنة ، وإن دخلت فى حرب فرعون الهوى عرفت خبرك يوم اليم .

مجلسُ الذكر موسم الربح ، منادى التذكير يصوت على سلع النجاة ، من يشترى ثوب ثواب ، من يملأ إناء إنابة ، من يبيع دمع عينين بعينين ، من يشترى نفاذ التوبة بترك هاوية الهوى ، من يقدم على نقل قدم إلى قدام ، أين الذين أبوا التوبة فلا ينقضى الموسم حتى يفرغ الكيس كيسًا فى كيس ، فأما الغافلون فإنهم يخرجون كما دخلوا ، أتُرى هذا الكلام قد أثَّر ، أو أنت كما جئت مغتر ؟! كيف تكون ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ [سورة الزلزلة : ١] . وا فضيحتك إذا حدثت الأرض أخبارها ، كم تعاتب ولا ترعوى ؟! كم تُقوَّم ولا تستوى ؟! تتعلل بالتوفيق ولا تحرك قدمًا فى طريق .

يا ملولاً كلما ثُقِّفَ[1] بالعذل التوى
عينًا تطلب فى فالوذج[2] العشق نَوَى

---

(١) أى : هُذِّب وأُدب وعُلِّم . المعجم الوجيز (ص ٨٥) .

(٢) هى حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، أو تصنع من النشا والماء والسكر . المعجم الوجيز (ص ٤٨٠) .

قام التائبون فما يقعدك ؟! وقربوا من الجناب فما يبعدك ؟!

قال لى صاحبى غداة التقينا نتشاكى حرَّ القلوب الظماء

ما ترى النفر والتحمُّل للبين فماذا انتظارنا بالبكاء / ٨٥/أ

هذه السبيل وهذا الوصول هذه التوبة وهذا القُبول

هذه الخيف وهاتيك منى فترَفَّق أيها الحادى بنا

واحبس الركب علينا ساعة فنُدُب الربعَ ونبكى الدِّمنا

يا من قد انتهى المجلس وما انتهى عن قبيح عمله، هل لك نيَّة فى صحبة التائبين فنقفُ لك أو نمضى ونتركك فى المنزل؟ إن خرجت وما تُبتَ خرجت.

احبس الركب على حاجة ذى القلب الطَّرُوب

فالذى بالربع من بعدهمُ بعض الذى بى

هل لداء بين جسمٍ وفؤادٍ من طبيب

هو فى الأجسام منكم وهو منا فى القلوب

يا هذا تخلف هاهنا بعدنا ولا تبرح ، فإذا خلا النادى فناد : يا نادى المقبولين أين رحلوا ؟!

نشدتك يا بانة الأجرع متى رفع الحىّ من لعلَع

وهل مرَّ قلبى فى التَّائبين أم حار ضعفًا فلم يسطع

فكم أنَّةٍ لك بين القلوب إذا اشتبهت أنَّة المُوجَع

الفصل الثانى والأربعون

إذا سكن اليقين بالآخرة قلبًا قلبه عن محبة الدنيا ، أين يقينك بالملكين ، وأنت تملأ الصحف بقبيح ما تُملى؟ قال سفيان الثورى : لو كان معكم من يرفع الحديث أكنتم تتكلمون بشىء ؟ قالوا : لا . قال : فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله .

يا مبارزينا بالذنوب احذروا / سرعة الأخذ ﴿ **وإن للطاغين لشر مآب** ﴾ [سورة ص : ٥٥] كم شاهدتم مستلبًا وأنتم على السلامة ؟! السعيد من وعظ بغيره ، ٨٥/ب

تحضرون ألف مجلس ، ثم تنصرفون وزيد زيد وعمرو عمرو ، والكل فى العُرس نظَّارة والزوج واحد ، إنما تنفع الموعظة قلبًا له يقظة ، إنما ينتبه نائم لا ميت ﴿ **إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾ [سورة الرعد : ١٩] شجرة الأثل وإن كانت فى وسط النهر لا تثمر ، ويحك كيف تفلح وأنت تنزعج إذا رآك مخلوق على معصية ، ولا تُبالى بنظر الخالق ؟! ﴿ **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] ، تفعل المعاصى بالليل وتتحدث بها بالنهار ، فتكشف عورتك بيدك ، يا خسيس النفس « **إذا لم تستحى فاصنع ما شئت** »(١) . كم تعصى ونَستر؟ كم تجنى ونغفر ؟! ﴿ **وإن ربكم لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ [سورة الرعد : ٦] تعرف الحق وتصدف ، وتعد بالتوبة وتخلف .

من لى ببارق وعد خلفه مَطر وكيف لى بعتاب بعده خجل

كم همَّ أقوامٌ بالقيام إلى التوبة ، ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا** ﴾؟ [سورة التوبة : ٤٦] كيف يسلم مفتاح دارٍ إلى من سلَّفَ فى أخرى؟! ﴿ **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها** ﴾ [سورة يونس : ٧] إذا عصى القلب سُلطت عليه النفس ، إذا غفل العقل أديل عليه الطبع ، إذا عصانى من يعرفنى سلَّطت عليه من لا يعرفنى ، يا من قلبه اليوم أقسى من الحجَر ، خذ بيد الفكر فاحضر عند المحتضرين / وانظر كيف منعوا التصرف ؟! ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ [سورة سبأ : ٥٤] . ثم اخرج به إلى مقابر وقل للقوم : ماذا تتمنون؟ فإنهم يتمنون ساعة من عمرك ، ثم قف به فى عرصة القيامة بين المفرطين، ترى الوادى قد امتلأ بدموع الأسف ، ثم جُز به على الصراط ، فإنك ستفرِّق بين ساع ومتعثر ، ثم انطلق به إلى جهنم تسمَع أصوات المسجونين يستغيثون ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا** ﴾ [سورة السجدة : ١٢] ثم أنصت لجواب الكل ﴿**قُضى الأمر** ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠ ، وسورة هود : ٤٤ ، وسورة إبراهيم : ٢٢ ، وسورة مريم : ٣٩] . هذا الذى أقلق العباد ، وأحرق الزهاد .

٨٦/أ

---

(١) أخرجه البخارى (٤ / ٢١٥) ح (٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤- فتح) ،(٨ / ٣٥) ح (٦١٢٠ - فتح) عن عقبة بن عمرو مرفوعًا ، وكلمة « تستحى » بإثبات الياء ، وهى موافقة للرواية .

قال سِرارٌ : قالت لى امرأة عطاء السلمى[1] عاتب عطاءً فى كثرة بكائه . فعاتبته ، فقال لى : يا سرارُ ، كيف تعاتبنى فى شىء ليس هو إلىَّ ، إنى إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من العذاب ، مَثَّلت لى نفسى أنى بينهم .

إذا كان قلبى مُوثقًا فى حبالكم ... وجسمى لديكم كيف أفهم عنكمُ

فإن شئتم أن تعذلُونا فواصلوا ... إلى أن يعود القلبُ ثم تكلموا

قال حزم : قال لنا أشعث الحرانى : انطلقوا بنا إلى حبيب أبى محمد - وذلك حين ارتفاع النهار - فانطلقنا معه ، فخرج إلينا حبيبٌ فأخذ فى البكاء ، وجاءت عمرة امرأة حبيب فأخذت فى البكاء ، فما زالا يبكيان حتى حضرت الظهر ، فصليا ثم أخذا فى البكاء ، فما زالا يبكيان حتى حضرت العصر ، فصليا ثم ما زالا يبكيان حتى حضرت المغرب ، ثم نهض أشعث وقال : إن ناسًا ينهون عن هذا / أفأطيعهم ؟ قلنا : أنت أعلمُ . قال : إذًا والله لا أطيعهم .

٨٦/ ب

وقف الهوى بى حيث أنت ... فليس لى متأخر عنه ولا مُتقدَّم

أجدُ الملامة فى هواك لذيذة ... حبًّا لذكرك فليلُمنى اللُّوَّم

وا عجبًا لقلوب القلوب تحمل غرز إبرة من الألم ، فكيف احتملت اللّوم ؟! العظم الكسير ما يحمل ذبابة ، ثم يحمل العصائب ضرورة .

يا لائم كُفّ ما أرى اللومَ يفيد ... لكنَّ غرامى كلما جاء يزيد

إن رُمتَ سُلوى ذاك والله بعيد ... ما أقدر أن أصبرَ والقلب شديد

من شاء ماءً فدمعى المنبجسُ ... أو شاء نارًا فها فؤادى قبس

يا من سلبوا العقل وقلبى خلسُوا ... ردوه علىَّ ما بقى لى نفَس

مكتوم هواه بالزفير افتضحا ... والدمع وَشَىَ بسره فاتضحا

قلبى حمل الأسى وطرفى طمَحَا ... خصمان هما على أذاىَ اصطلحا

صِل ذا كبد يذوب شوقًا وضنا ... وارحم قلبًا به غرامٌ وعَنا

الجفنُ إذا جفوت يجفو الوسنا ... هل ذو قلق يطيش وجدًا كأنَّا

---

(١) كذا فى الأصل ، والمشهور « السُّليمى » .

ما قبعت المحبة من القوم بالبكاء والسّهر حتى طلبت الأرواح .

كان بعض العباد يغتسل بالفرات ، فمر رجل على الشاطئ فقرأ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ [سورة يس : ٥٩] فلم يزل العبد يضطرب حتى غرق ومات .

وسمع بعض الزهاد قارئًا يقول : ﴿ **وأما الذين سُعدوا ففى الجنة** ﴾ [سورة هود : ١٠٨] فتأوّه فمات .

أ/٨٧ وقرأ صالح المرى على / أبى جَهير : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾ [سورة الفرقان : ٢٣] ، فمات .

قضى الله فى القتلى قصاص دمائهم ... ولكن دماء العاشقين جُبار[1]

لو حَضر قلبُك لما قد شرحنا استرحنا ، يا من ضاع قلبه انشده فى مجالس الذكر ، فإن لم تجده فبين القبور ، فإن لم تلحقه ففى البريَّة .

اخرج عن ديار إدبارك ساعةً إلى خلوات الفلوات ، ولا تصحبن معك غير الفكر .

فإن وجدت حمامًا ينوح فتلك ضالة المحب .

تعرَّض بأحقاف اللوى عُمْرَ ساعة ... ولولا مكانُ الذئب قلت لك ازددِ

وقل صاحبٌ لى ضل بالرمل قلبُه ... لعلك أن يلقاك هَاد فتهتدى

وسلِّم على ماءٍ به برد غُلَّتى ... وظِل أراك كان للوصل موعدى

وقل لحمام البانتين مُهنيًا ... تغَنَّ خليًا من غرامى وغَرِّدِ

أعندكم يا قاتلىّ بقيَّة على ... مهجة إن لم تمُت فكأن قدِ

ويا أهل نجد كيف بالغور بعدكم ... بقاء تهامى يَهيمُ بمُنجد

أغدراً وفيكم ذمةٌ عربيَّةٌ ... وبخلاً ومنكم يستفاد ندى اليد

ملكتم عزيزاً رقة فتعطَّفوا ... على منكرٍ للذل لم يتعود

---

(١) أى : هدر .

الفصل الثالث والأربعون

يا سكان المزابل أما تؤثرون عليها ﴿ **مساكن طيبة فى جنات عدن** ﴾ [سورة التوبة : ٧٢ ، وسورة الصف : ١٢] هذه نجائب السبيل قد أقيمت على السُّبُل تحمل المنقطعين ، أفتتقاعدون والله يدعوكم ؟! قد هم أقوام بالقيام إلى التوبة ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم** ﴾ [سورة التوبة : ٤٦] . نظر إلى بواطنهم وما انحلت / عقدة الإصرار منها ، فلم يحفل بالظواهر ، يا مطروداً عن الصالحين تعرض بواديهم وقت السحر ، وانشد قلبك الضائع فى ذلك المجمع ، لعلك تجد المفقود ، ويحك انتبه لنفسك قبل أن تسلب . ٨٧/ب

أين الذين عليهمُ ... رُكِمَ الجنادل والمدَر
أفناهم غَلَسُ العشى ... بهزِّ أجنحة السَّحَر
ما للقلوب رقيقة ... وكأن قلبك من حَجَر
لقل ما تبقى وعُودُك ... كل يوم يُهتصَر [١]

القلوب القاسية لو غناها مَعبَد ومخارق ، وضرب خيمة زلزل ما لانت ، كيف يطلب الآخرة من قلبه متعلق بحب الدنيا ؟! أيسلم مفتاح دار إلى من قد أسلف فى أخرى ؟! لو عُلمت صحة قصدك لعاجلتك الإعانة ، لما كان ما يقوت النملة مستوراً عنها أعينت بقوة الشم للبعيد من قُوتِها ، فهى تجد ريح الأشياء البعيدة التى لو قرَّبها الآدمى إلى أنفه لم يشمَّها فتقصدها .

ويحك احتل لما ينفعك فى الأخرى مثل احتيالك فى طلب الدنيا ، ولو قوى فهمك لمقصود الإيجاد ما غفلت لحظة .

قال رجل لعامر بن عبد قيس : قف أكلمك . قال : فأمسك الشمس . اسمع يا من يقطع الليل بالسهر ، والنهار بالحديث فيما لا ينفع ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾ [سورة الليل : ٤] ، كانت الصلوات للقوم خَلَوات ، وهى فى حقهم مصادرات، لِقوَّام الليل قيم ، لو رأيتهم قد استغفروا حين / تكهَّل عذارُ الظلام ، ٨٨/أ

---

(١) أى : يمال ويدفع .القاموس « هـ ص ر » .

تركوا الغداء يوم[١] السحور ، فنالوا فى صرف ما بين النقد والنسيئة[٢] ، لما افتقروا من الدنيا تمَّ غناهم ستين مرتبة[٣] ﴿ **يوم نحشر المتقين** ﴾ [سورة مريم : ٨٥] إذا وصلوا إلى جنة ما خطر وصفها على قلب بشر ﴿ **تلك عقبى الذين اتقوا** ﴾ [سورة الرعد : ٣٥] رواحل جدهم ما تفتر .

كفى سائقًا بالشوق بين الأضالع

مال بالخلق عن الأدب سوءُ التدبير ، وثقَّفتهم المعرفةُ للمراقبة ، علموا أن القلب بين إصبعين[٤] ، فجعلوا الحذر من المنقلب نصب عَين .

وقف أبو يزيد البِسطامى ليلة إلى الصباح يجتهد أن يذكر الله تعالى فما قدر ؛ إجلالاً وهيبة .

وما ذَكَرتكم إلا نسيتكم ... نسيانَ إجلال لا نسيان إهمَال
إذا تذكرت من أنتم وكيف أنا ... أجللت مثلَكُم يجرى على بَالىَ

رحل القوم ونمنا ، وربحوا وأثِمنا ، ونالوا المنى وحُرِمنا ، إلى متى تقارف الذنوب ؟ متى تقطع مفازة المقارفة[٥] ؟ كم من شاب خرج من حَمَّامِه فصعد إلى برج حَمامه ، أنزله إلى البلى قهرُ حِمامِه[٦] .

القصر من ساكنه مقفِرٌ ... والقبر قد أصبح مَسكُونا
كم دافنٍ فى يومه غيرَه ... لم يُمسِ حتى صار مَدفُونا
وألفٌ فارقه إلفُهُ ... جرّعهُ الموت الأمَرِّينا
ومنزل تخفق أبوابُه ... بُدِّل بعد الأهل أهلِينا / ٨٨/ب

---

(١) عقبها طمس فى الأصل قدر كلمتين ، ولعل تقديرهما : « يوم الصيام فعوضوا عنه السحور » .

(٢) عقبها طمس فى الأصل قدر كلمتين .

(٣) طمس فى الأصل قدر كلمة .

(٤) تقدم تخريجه ، وانظر مواضعه فى فهرس الأحاديث .

(٥) كذا فى الأصل وفوقها ضبة تصحيح ،وفى الحاشية كلمة كأنها : « المهارة » وفوقها « خـ » أى : فى نسخة .

(٦) أى : قضاء الموت وقدره . القاموس « ح م م » .

.................................[1] كـنـا مُصـــــيـــــبـــــا

.................................[1] ومن خـــاف المُنـاهِب حـــاذر

.................................[1] وريب الدهر ممَّا جـمعتـه لك حصَّه

لا تُضيِّع وقـتًا مضى فـتقـضَّى وقتُهُ   وانتـــهـــز حَبِيبـــى فرصَه

كمل كتاب « مرافق الموافق » والحمد لله وحده وصلواته على محمد نبيه وعبده وعلى آله وصحبه وسلامه .

وافق فراغه الثامن عشـر من شهر ذى القعدة سنة ثمان عشرة وستـمائة ، كتبه العبد الفـقير إلى الله سبـحانه محمـد بن إبراهيم بن عبد الرحمن - غـفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغـفرة ولجميع المسلمين - وصلى الله على مـحمد وعلى آله وسلم تسليمًا[2] (*) .

---

(١) مكان النقط طمس بالأصل .

(٢) كتب تحت هذا الكلام بخط مغاير لخط الناسخ :

« قـد سـمـعـتم أنينه من سـيـد   فـاطلبـوا الـشخصَ حـيثُ كـان الأنين

مـا تـراه العـيـون إلا ظـنونًا   هـو أخـفى من أن تـراه العـيـون

لم نـعش مـن أنَّه جليـــل ولا طلبـتـه فلم تجـده المنون» . اهـ .

وهناك بعض الجمل غير التامة فلا أرى حاجة لذكرها .

(*) وبهذا تم كتاب « مرافق الموافق » والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفهارس العامـــة

لكتاب « مرافق الموافق »

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

﴿ لأصلبنكم ﴾	٧١	٧٨
﴿ فى جذوع النخل ﴾	٧١	٧٢
﴿ ومن يحلل عليه ﴾	٨١	٢٠
﴿ إن لك ألا تجوع ﴾	١١٨	١٢٥
﴿ وعصى آدم ربه ﴾	١٢١	٣٦
﴿ لا تمدن عينيك ﴾	١٣١	٥١

سورة الأنبياء

﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾	١٤	١٣٩
﴿ لا يُسأل ﴾	٢٣	٣٤
﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾	٤٦	١٣٩
﴿ الذين يخشون ربهم ﴾	٤٩	١٠
﴿ كونى برداً وسلامًا ﴾	٦٩	٧٥
﴿ هذا يومكم ﴾	١٠٣	٧١

سورة الحج

﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾	١٠	١٥١
﴿ قطِّعت لهم ﴾	١٩	٢٠
﴿ الذين إذا ذكر الله ﴾	٣٥	١٢١

سورة المؤمنون

﴿ أيحسبون أنما نمدهم ﴾	٥٥	١٤
﴿ فلا أنساب بينهم ﴾	١٠١	١٢٨
﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا ﴾	١١٥	٧٨

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة فاطر

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة ق

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة التحريم

سورة الملك

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة الليل

سورة الزلزلة

سورة التكاثر



فهرس الأحاديث والآثار



فهــرس الأعــلام

الكنى

الأبناء

النساء



فهرس الموضوعات

رؤوس القوارير

مجالس علمية

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ

تحقيق

علاء إبراهيم الأزهري



انتخبت هذا وقد قسمته أربعة أبواب :

الباب الأول : فى ذكر المختار من الخطب .

الباب الثانى : فى تصرف اللغة وموافقة القرآن لها .

الباب الثالث : فيه طُرَفٌ[١] ونُتَفٌ[٢] وأَسْوِلَةٌ[٣] .

الباب الرابع : فى المتعلق بالوعظ .

ولما كان أصل هذا الكتاب بالإضافة إلى علوم الوعظ[٤] ، سميته بـ « **رءوس القوارير** » فإن الأطبّاء يأخذون من كل قارورة فيها شرابٌ شيئًا فيمزجونه ، فيَحْدُثُ منه دَواءٌ لا يحصل من مُفردٍ ، وهذا مُنتخَبٌ[٥] منه ، والله المُوفقُ لكل مطلوب ، والمُلفِّقُ لكل محبوب . / ١/أ

الباب الأول
فى ذكر المختار من الخطب

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذى أنشأ الآدمىَّ من ماء ضعيف وقوِّى ، وغربل له اللَّبن بغربال اللُّطفِ فتقوَّى ، بصنعته استدار المَصيرُ وتحوَّى[٦] ، ولشكر نعمته سجد المصلى

(١) فى الحاشية : « الطرفة : ما يستطرف أى : يستملح ، والجمع طرف ، مثل غرفة وغرف . اهـ. مصباح » .
وانظر : المصباح المنير (ص ١٩٣) .

(٢) فى الحاشية : « أفاده نتفة من علم أى : شيئًا . اهـ . منه » .
وقوله « منه » أى : من المصباح المنير (ص ٣٠٥) وكذا فى كل ما سيأتى من الحواشى .

(٣) أى : أسئلة .

(٤) فى الأصل عقبها بياض ، وفى الحاشية : « لعله : والتحذير » .

(٥) كتب تحتها فى الأصل - بنفس الخط الذى تكتب به الحاشية - : « انتخبته : انتزعته . اهـ . منه» .
وقوله « منه » أى : من المصباح المنير (ص ٣٠٧) .

(٦) أى : تجمع واستدار . المعجم الوجيز (ص ١٨٠) .

وخوّى[١] ، يصوركم فى الأرحام ولا يَدرى آدم ولا حوَّى ، وينزل القطْرَ فيُبهتُ السِّماكَ والعَوّى ، ولا يَنْسَى رزقَ الحَمْلِ ، ولا يَهمِلُ قوتَ النملِ ، ولا الحيّاة فى الرَّملِ تَطوَّى ، أَجِلْ فِكركَ فى أركانِك ، وتدبّر بناءَ بَنَانِك[٢] ، ويكفى فى العبر نُطقُ لسانك إذا تَلوَّى ، فإذا عرفت ما أنعم به وأبْلى ، وتيقنْتَ ما أَسْدى وأَوْلَى ﴿سبِّح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوّى﴾ [سورة الأعلى : ١ ، ٢] .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذى يجيبُ سائله ولا يُخيب ، ويثيب معامله حين يُنيب ، ويُغيثُ بالصَّلاح من يَعيث ولا يغيب ، ويُطنب[٣] ذاكرَه وذكرُه يطيب ، يسمع حَنين النِّيبِ[٤] إذا تَرنّم حُداتُها بالنَّسيب[٥] ، ويُبصر دبيبَ الماء فى العُودَين اليابس والرطيب ، ويعلم عدد ما يَحوى من الذرّ الكثِيب ، وقدرَ ما قد رَمَى به الوجد الكئيب ، يَقسم الرزقَ فلا يَنس الحوتَ فى البحر والعُفْرُ[٦] فى الشناخيب[٧] ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [سورة الشورى : ١٠].

الخطبة الثالثة :

الحمد لله منشئ الكون ومبدع عجابه ، وجاعل الآدمىَّ خالص لُبابِه ، حكم

---

(١) فى الحاشية : « خوَّى الرجل فى سجوده : رفع بطنه عن الأرض ، وقيل : جافى عضديه . اهـ. منه » .
انظر : المصباح المنير (ص ٩٨) .

(٢) البنان : الأصابع ، وقيل : أطرافها ، الواحدة : بنانة . قيل : سميت بنانًا ؛ لأن بها صلاح الأحوال التى يستقر بها الإنسان ؛ لأنه يقال : أَبَنَّ بالمكان إذا استقر به . المصباح المنير (ص ٣٧) .

(٣) فى الحاشية : « من أطنب الرجل إذا بالغ فى قوله كمدح أو ذم . اهـ . منه » .
انظر : المصباح المنير (ص ١٩٦) .

(٤) جمع ناب : وهى الناقة المسنة . القاموس « ن ا ب » .

(٥) النسيب : الشِّعر الرقيق يتغزل فيه الشاعر بحبيبته . المعجم الوجيز (ص ٦١٢) .

(٦) فى القاموس « ع ف ر » : العِفْر - بالكسر - : ذكر الخنازير . ويضم . اهـ .

(٧) الشناخيب : رءوس الجبال العالية . النهاية (٢ / ٥٠٤) .
وقد رسمت فى الأصل بنقطتين تحت الباء بدل من نقطة واحدة .

بالإسعاد والإشقاء ولم يُحَابِه[١] ، فأىُّ دِرع يَقى وقع السهم من صيابه ، كل النفوس عطشى إن لم تنل من شرابه ، وكل البرق خُلَّبٌ[٢] إن لم يقع فى سَحَابه ، وكل السَّير باطل إن لم يكن فى رِكابه ، لا كانت الدُّنيا لولا السعى فى طِلابه ، تلمَّح عجائب صنعته ، فهل له من مشابه ؟! أَمَا سَاقَ سَاق المُزْن[٣] على جُنوب الجَنوب فَمشَى به ، فإذا بَهَر صوت الرعد واشتهر سيفُ البرق رَمَى جميع أسلابه ، فإذا انتهى نِقْيُهُ[٤] وفرغ محضُ أوْطابه[٥] ، تَبَدَّل الروض[٦] سَجْعَ[٧] حَمامه عن حنين نَابه[٨] ، وطَرِبَ كل غُصنٍ فصالح الأرض بأهدابه ، ومَاسَ[٩] الربيع فى ثياب الصِّبا مَيْسَ الصَّبىّ فى شَبَابه ، وصوَّتَ النباتُ بالشكر لو أنك تدرى من عَنَى به ﴿ **وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفًا أكله والزيتون والرمان متشابهًا وغير متشابه** ﴾ [سورة الأنعام : ١٤١] .

الخطبة الرابعة :

الحمد لله فالق النوى والحبوب ، وخالق الصَّبا[١٠] والجَنوب[١١] ، المنزه عن الآفات والعيوب ، المطلع على خفيات الغيوب / أحيا[١٢] بعد البِلى لا فى التراب ١/ب

(١) فى الحاشية : « حاباه محاباة : سامحه ، مأخوذ من حبوته إذا أعطيته » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٦٦) .
(٢) برق خُلَّب : المُطمِع المُخلِف . القاموس « خ ل ب » .
(٣) المُزْن : السحاب أو ذو الماء . القاموس « م ز ن » .
(٤) النِّقْى : المخ . القاموس « ن ق و » .
(٥) الأوطاب جمع الوَطْب : وهو سقاء اللبن . القاموس « و ط ب » .
(٦) الرَّوْض جمع الروضة : وهى مستنقع الماء لاستراضة الماء فيها . القاموس « ر و ض » .
(٧) سجعت الحمامة : رددت صوتها . القاموس « س ج ع » .
(٨) تقدم أنها الناقة المسنة .
(٩) المَيْس : التبختر . القاموس « م ى س » .
(١٠) فى الحاشية : « وزان العصا : الريح تهب من مطلع الشمس » .
وانظر : المصباح المنير (ص ١٧٤) .
(١١) الجَنُوب : هى الريح القِبْلية . المصباح المنير (ص ٦١) .
(١٢) رسمت فى الأصل هكذا : « أحى » .

جسم أيوب ، ورَد بعد البعد يوسف على يعقوب ، يُبصر دَبِيبَ الدَّم فى العروق فما عن[1] المطعوم والمشروب ، ويسمعُ أخفى أصوات الأوراق طفقنَ يَصطفقْنَ عن هبوب ، أرسل الرياح تَحمِلُ السحاب على أن يَئوب ، فإذا زَمْجَرَ[2] الرعدُ ضحك البرق لتلك الخطوب ، فانفجرت عيون المُزن فَجَدتْ كدمع الخرير المسكوب ، فَبَرَزت الثمارُ من الآكام[3] تنادى بلسان الإعلام : ما يقدر شىء من الأصنام على إنشاء أُنْبُوب **﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾** [سورة الحج : ٧٣] .

الخطبة الخامسة :

الحمد لله الذى يختار من يشاء ويجتبى ، فمن المختارين يوسفُ النبىّ ، صاح الهَوىَ يا زليخا أودى والعبى ، فقاوَمَ الهوى مقاومة الفَطِن لا الغبى ، فَصَوَّتت نيران شهوات ازليخا[4] بذلك الصبى : جُزْ فقد أطفأ نورك لهبى ، وكان القميص أصدق شاهد على الأمر المختبى **﴿ اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى ﴾** [سورة يوسف : ٩٣] .

أحمده إذا ظفرنى بالمَعَانى قبل طَلَبى، وأصلى على رسوله النبى، وعلى صاحبه أبى بكر الصديق أبى ، وعلى عمر مخرج الرسول من دار الخيزران[5] وقد طال ما خُبى، وعلى عثمان الذى بابنتى رسول الله حُبِى، وعلى علىٍّ الذى من زَمن الطفولة فى الدين ربى ، وعلى عمِّه العباس الذى قال فيه الرسول: «**صنو أبى**»[6] جدِّ سيدنا

---

(١) فما عَنَّ : فما اعترض . القاموس « ع ن ن » . (٢) أى : صوَّت . القاموس « ز م ج ر » .

(٣) جمع أكَمَة : وهو الموضع يكون أشد ارتفاعًا مما حوله . القاموس « أ ك م » .

(٤) كذا رسمت فى الأصل .

(٥) يقال لدار الندوة : دار الخيزران . المصباح المنير (ص ٩٠) .

(٦) أخرجه الخلال فى السنة (١ / ٩١ ط . دار الراية) بسنده عن عمارة بن أبى حفصة عن أبى مجلز قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما العباس صنو أبى ، فمن آذى العباس فقد آذانى** » .

وأخرجه كذلك الإمام أحمد فى فضائل الصحابة ط . مؤسسة الرسالة بلفظ المصنف (٢ / ٩١٦) عن أبى عثمان مرفوعًا ، (٢ / ٩٣١) عن أم سلمة مرفوعًا ، (٢ / ٩٣٩) عن أم حبيبة مرفوعًا .

والحديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه : كتاب الزكاة – باب فى تقديم الزكاة ومنعها =

ومولانا أمير المؤمنين(١) ، الواجبـة طاعتُه ، ومـخالفُه جاهلى فـى مذهبى ، هل أخبرتم مثل سيـرته أو خبرتم كسريرته ؟ فيا أكفَّ المؤرِّخين اكـتبى ، فموالاةُ أيامه حَسْبى ، وخدمتى عزى وحَسَبى .

ثم الشكر لمن غَرَس الفصاحة فى أرض قلبى ، وقال : اخصبى ، فكل ألفاظى فمرغ(٢) ليس فيها وَبى(٣) ، وذلك بفـضل ربى لا بى ولا بـأبى ، يا أعـين الناس انظرى واعجبى ، ويا قلوب الحاضرين افهـمى واطربى ، لو قاومنى كل الفصحاء غلبتهم إى ورب(٤) النبى .

الخطبة السادسة :

الحمـد لله رافع السماء ذات البروج ، مـحفوظة من الفطور والفـروج ، مزينة بالنجوم كالعقد والدُّمْلُوج(٥) ، أحـسن من ثوب مذهب بالدر منسـوج ، وواضع

=ح (٩٨٣) ، من حديث أبى هريرة مرفوعًا بلفظ : « يا عمر ، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » .

ومعنى قوله ﷺ : « صنو أبى أو أبيه » .

قال فى النهـاية (٣ / ٥٧) : الصِّنْو : المثل . وأصله أن تطلع نخلتان من عـرق واحد . يريد أن أصل العباس وأصل أبى واحد ، وهو مثل أبى أو مثلى ، وجمعه صِنْوان . اهـ .

(١) يقصد الخليفة الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله .

وهذه نبذة من تـرجمتـه كما جـاءت فى كتـاب « التاريخ المظفرى » لـلإمام ابن أبى الدم (ص ٤٤٢ ، ٤٧٥ - بتحقيقى علاء إبراهيم الأزهرى) :

مولده فى اثنتين وخمسين وخمسـمائة ، بويع فى أول يوم من ذى القعدة سنة خمس وسبعين ، وكان المتولى لأمر البيـعة ذا الرياستين مجد الدين أبا الفضل بن الصـاحب أستاذ الدار ، وظهير الدين أبو بكر منصور بن العطار صاحب المخزن .

وكانت مدة خلافته ستًّا وأربعين سنة وأحد عشر شـهرًا ينقص يوم ، ولـم يخلف ولدًا ذكرًا سوى ولده الإمام الظاهر أبى نصر محمد .

وكان الإمام الناصر مهيبًا عالمًا سائسًا حـازمًا ، توفى فى ليلة السبت سلخ شهر رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة . اهـ .

(٢) المَرْغ : الروضة أو كثيرة النبات . القاموس « م ر غ » .

(٣) لعله يقصد ليس فيها وباء - أى : مرض عام - . والله أعلم .

(٤) فى الحـاشيـة : « فى الأصل .... ليست ورب » ومكان النقط غـير مـوجود فى المصـورة عن الأصل .

(٥) الدُّمْلُج : سوار يحيط بالعضد . المعجم الوجيز (ص ٢٣٤) .

الأرض على الماء وقد كانت تموج ، فثبتها بالراسيات قائمة مقام العلوج[١] ، وقسم متمهدها بين قيعان[٢] ومروج[٣] ، ودبر مصالحها بالحر والثلوج ، وسقاها كأس القطر فإذا خروج البذر يروج ، ففاحت ريح الربيع كريح العبير[٤] واليَلَنْجُوج[٥] ، ثم قضى على ساكنيها بعد الظهور منها بالولوج ، وسوى فى الموت بين العرب والعجم / والروم والزنوج ، فليس ينجو من وراء السد يأجوج ، ولا أفلتَ على عِظَم عَظَمَة عَظْمِهِ عُوج[٦] ، ولقد طحنت رحاه كل العبيد طحن العنيد اللجوج[٧] ، ونفخ فى الصور نفخة زادت على الريح الخَجُوج[٨] ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** ﴾ [سورة ق : ٤٢] .

٢/أ

الخطبة السابعة :

الحمد لله مدير الأفلاك ومثير الرياح ، ومبدع الأملاك ومبدى الأرواح ، ومقدر الفساد ومدبر الصلاح ﴿ **ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح** ﴾ [سورة الأنعام : ٩٥-٩٦] . إله كبير الفضل كثير الإسجاح[٩] ، وملك وافر الجود متضافر[١٠] السماح ، تسبحه جمود الجبال وجرى الماء القَرَاح[١١] ، وتحمده الأنعام إذا شبعت فى المراح ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده فى الغدو والرواح ، يسمع

---

(١) العلوج جمع عِلْج : وهو العير والحمار وحمار الوحش السمين القوى . القاموس « ع ل ج » .

(٢) جمع قاع : وهو المكان المستوى الواسع فى وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوى نباته . النهاية (٤ / ١٣٢ - ١٣٣) .

(٣) المَرْج : الموضع ترعى فيه الدواب . القاموس « م ر ج » .

(٤) فى الحاشية : « مِثْل كريم : أخلاط تجمع من الطيب . اهـ . منه » .
انظر : المصباح المنير (ص ٢٠٢) .

(٥) هو عود البخور . القاموس « ل ج ج » .

(٦) عُوج : هو عُوج بن عُوق رجل ولد فى منزل آدم فعاش إلى زمن موسى ، وذكر من عِظَم خلقه شناعة . القاموس « ع و ج » .

(٧) اللُّجوج : الخَصِم - من الخصومة - . القاموس « ل ج ج » .

(٨) الريح الشديدة المر ، أو الملتوية فى هبوبها . القاموس « خ ج ج » .

(٩) الإسجاح : حسن العفو . القاموس « س ج ح » .

(١٠) رسمت فى الأصل هكذا : « متظافر » .

(١١) القراح - وزان كلام - : الخالص من الماء الذى لم يخالطه كافور ولا حنوط ولا غير ذلك . المصباح المنير (ص ٢٥٦) .

صفيف الرياح فى الأرض القِرْواح[1] ، ويبصر دبيب الذر قبل وقت الصباح ، ويعلم خائنة الطرف الخئون الطماح ، استغث بفضله فإن نفع شيء فالإلحاح .

وانظر إلى الأرض كيف يقوى جدبها فتلبس الأمساح[2] ، فيغيثها بالغيث فإذا للوكف[3] تَسْفَاح[4] ، فالدِّيمَة[5] ساكتة ساكنة وللرعد صياح ، والأمر قريب ، والبرق يشهَرُ السلاح ، والبذر قد تهشم لكنه انْفَقَأ عن صحاح ، وتغلغل الماء قُلْبَ العَذَق[6] فإذا العِذق[7] رذَّاح[8] ، وتبسَّم الروض تبسُّم الأحباب عند بُدوِّ المُراح ، وكادت الأغصان تطير فرحًا بالطير وأين الجَناح ، والربيع قد تعطر وفاحت منه أرواح ، والأرض قد أخرجت مِلكها كما آثر أبو الدحداح[9] ، وأخذت تُشيرُ بانفتاح النَّور إلى من بيده المفتاح : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح** ﴾ [سورة النور : ٣٥] .

---

(١) فى الحاشية : « القراح : المزرعة التى ليس فيها بناء ولا شجر ، والجمع أقرحة » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٢٥٦) .

(٢) فى القاموس « م س ح » : المسحاء : الأرض المستوية ذات الحصى الصغار . اهـ .

(٣) الوَكْف : سفح الجبل . القاموس « و ك ف » .

(٤) أى : انصبابًا . القاموس « س ف ح » .

(٥) الدِّيمة – بالكسر – : المطر يدوم أيامًا . المصباح المنير (ص ١٠٨) .

(٦) العَذق : النخلة . المصباح المنير (ص ٢٠٧) .

(٧) العِذق : الكباسة وهو جامع الشماريخ . المصباح المنير (ص ٢٠٧) .

(٨) كذا رسمت فى الأصل : « رذَّاح » – بالذال المعجمة – .
ولعله يقصد وصف العذق بالثقل لامتلائه بالماء . والله أعلم .

(٩) أخرج أحمد فى المسند (٣ / ١٤٦) ، وعبد بن حميد فى المسند ح (١٣٣٤) ، وابن حبان فى صحيحه ح (٢٢٧١ – موارد) جميعهم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك .
أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطى بها فأمُره أن يعطينى حتى أقيم حائطى بها ، فقال له النبى ﷺ : « **أعطها إياه بنخلة فى الجنة** » . فأبى ، فأتاه أبو الدحداح ، فقال : بعنى نخلتك بحائطى ، ففعل ، فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ،إنى قد ابتعت النخلة بحائطى ، قال : فاجعلها له فقد أعطيتكها ، فقال رسول الله ﷺ : « **كم من عِذق راح لأبى الدحداح فى الجنة** » – قالها مرارًا – قال : فأتى امرأته ، فقال : يا أم الدحداح ، اخرجى من الحائط ؛ فإنى قد بعته بنخلة فى الجنة ، فقالت : ربح البيع ، أو كلمة تشبهها .

الخطبة الثامنة :

الحمد لله الذى بسط الأرض العريضة الفسيحة ، وقدر الأعمال الحسنة والقبيحة ، وخاطب فتكاليفه حاظرة ومبيحة ، حرم الميتة والمخنقة والمتردية[١] ، والنطيحة[٢] ، وتدارك جسد الآدمى لئلا يَنْحَلَ ويَنْحلً فأحل الذبيحة ، أفقر وأغنى فزرود تشكو العطش وتشكو الغرق البَطيحة[٣] ، جزيل العطاء فربما[٤] وهب الجنة بتسبيحة ، قضى الديون وفك الرهون فأقر العيون القريحة ، وفاوت بين الخلائق فى الخلائق[٥] فأبله[٦] وذو قريحة ، لقد تجلى لخلقه بخلقه فجحدُ وجوده فضيحة ، الصامت يدل بحالاته ، والناطق بمقالاته الفصيحة ، كم[٧] غرس غروس على عروش مليحة ، وكم أخرج وجوهًا من النبات على اختلاف الألوان صبيحة ، وكم أقام الوُرْق[٨] على الوَرَق تَصْدَعُ بمديحة ، والنَّرْجِس متبرج والجُنُبْذ[٩] يكتم ريحه ، وطيب الربيع / مختلف والبدوى يحب الشيحة ، والطير فى الهواء تخرق ٢/ب

---

(١) المتردية : الساقطة من علو إلى أسفل فماتت . تفسير الجلالين (ص ٨٨) .

(٢) النطيحة : المقتولة بنطح أخرى لها . تفسير الجلالين (ص ٨٨) .

(٣) فى الحاشية : « البطيحة والأبطح : كل مكان متسع . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٣٢) .

(٤) ربما فى موضع المباهاة للتكثير . القاموس « ر بّ » .

(٥) جمع خلاق : وهو الحظ والنصيب .

(٦) فى الحاشية : « بله بلهًا من باب تعب : ضعف عقله [فهو أبله] والأنثى بلهاء ، والجمع بُلْهٌ مثل أحمر وحمراء وحمر . » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٣٧) وما بين المعقوفين زيادة منه .

(٧) عقبها بياض فى الأصل ، وفى الحاشية : « لعله كم أقام أو نحوه » .

(٨) جمع الأوْرَق ، وهو من الإبل ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحمًا لا سيرًا وعملاً ، القاموس « و ر ق » .

(٩) فى القاموس « ج ن ب ذ » : كالجُلَّنار من الرمان . اهـ .
قال المحشى على القاموس : فى العبارة قلق أوجبه التشبيه ؛ إذ الأكثر أن الجنبذ هو الجلنار ، وكلامه يقتضى أنه غيره .
وأجاب الشارح بقوله : إنما مراد المصنف الإطلاق ، ومعنى عبارته : الجنبذ - بالضم - : المرتفع من كل شىء كالجلنار من الرمان وغيره ، كما فسره غير واحد من أئمة اللغة ، وأما تسمية الجلنار جنبذًا فإنما هو من باب التخصيص لارتفاعه واستدارته ، وإلا فكل مرتفع مستدير يسمى جنبذًا .

بمجاديف أجنحتها ريحه ، وما من منذر إلا ويصيح على باب الهوى فصيحه ، وكل مخلوقٍ فى الطول والعرض يُعرض عليك فافهم معنى العرض ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه** ﴾ [سورة النور : ٤١] .

الخطبة التاسعة :

الحمد لله القديم الوجود ، العميم الجود ، العظيم المعبود ، الكريم المقصود ، يبصر حركة الدود فى باطن العود من الغصن الأُمْلُود[١] ، كما يرى جَرىَ الماء إلى العنقود ، ويحصى حباته فى الليالى السود ، صفاته كذاته ولا وجه للجحود ، كفُّ الكيف مشلولة وباب التشبيه مسدود ، فاحذر قول المشبهة فأول القوم اليهود ، أيقاس من ليس كمثله شىء على شىء معهود ؟! أخذ الميثاق من يوم ﴿ **ألستُ** ﴾[٢] [سورة الأعراف : ١٧٢] . فتذكروا العهود ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ [سورة المائدة : ١] . واحذروا الخلاف فإن عُقاب العِقاب صَيود ، ولا يغرنكم الإمهال فربما مشى العذابُ على رُوْد[٣] ، نفذ قضاؤه فصهيب مقبول وأبو لهب مردود ، وعكرمة يتلقى وأبو جهل مطرود ، يجمع الخلائق بنفخة الصور من قعر اللحود ، ويحشرهم فى صعيد ثم صُعُود وصَعُود[٤] ، ويبثهم فى عرصة القيامة أكثر من رمل زردود ، ويستشهد الأركانَ ويستنطق الجلود ، وينصب ميزان العدل ويرد بَهْرَجَ النقود ، ولا ينتفع العاصى بقوله : ما أعود ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ [سورة هود : ١٠٣] .

الخطبة العاشرة :

الحمد لله الذى صور الأجسام وصيَّرها ، وغَوَّر النجوم وسيَّرها ، ورقم نقوش النفوس فى صحائف الوجود وسَطرها ، أجدبت الأرض فأسكت عُجَرَها

---

(١) الأُمْلُود : الناعم من الغصون . القاموس « م ل د » .

(٢) يشير المصنف - رحمه الله - إلى أن الله تعالى استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه . تفسير ابن كثير (٢/٢٦١) .

(٣) أى : على مهل . القاموس « رود » .

(٤) الصَّعُود : العقبة الكؤود والمشقة من الأمر . المصباح المنير (ص ١٧٧) .

وبُجَرها[١] ، فصاح الرعد بالغيث صيحة ثمود بمن عقَرها ، ولاح البرقُ أسيافه قد شـهرها ، فـمـلأت السـحب نَهْرهَا لما نَهرها ، وأترعت[٢] حياضهـا ، وفيضت غدرها ، وتلاقيـا فاعتنقا لمدة لم يرها ، وانتـدب معمار الوصال بعـد قبح الخراب فعمرها ، فأخرج القطر من حبات الأرض مخبأها ومضمرها ، وأتى بلآلئ الغمام فى عُرس الشتاء فنثرها ، فألقت عصاها[٣] عن عبء تعبـها ، ورفضت سَفرها ، وصنعت عجـائب الولائم ومدت سُفَرَها ، ونمقت[٤] وشيها ، وورونقت منظرها ، وطلقت حَجَّاجـهـا ، وتزوجت عُمَرها ، وأطلـعت فى بسـاتينهـا شـمس نورها وقمرها، ودب الماء فى عروق النخلة يقصد ثمرها ﴿ **فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها** ﴾ [سورة النمل : ٦٠] .

الخطبة الحادية عشرة :

٣/أ الحمد لـله الذى بشرَ البَشَر ، وفطر الفِطَرَ فأجرى / القدر ، وسـتر المذنب ثم غـفـر ، أخـرج من يـابـس الأعـواد رطـب الثـمـر ، وأنـبع الماء من صَيْخُودِ[٥] جُلْمُودِ[٦] الحـجـر ، وأطـلـع النـار من أبْهَر[٧] أخـضر الـشـجر ، يعلم متـساقط الوَرَقِ ومتناسـل الوبَر[٨] ، جلـت ذاته عـن مشابهة الصـور ، وعـز قعر بـحر عزه أن يلحـقه سـابـح سانح[٩] الفِكَر ، زرع بذر مـحبـته فـى قلوب أحبتـه وبذر ، فنـهارهم كله عـيدٌ وليلهم كله سحـر ، أنـشأ السـحـاب وعَلِم قطـر المطر ، فإذا تروّت به الأرض اهتـزت بعـد الحصـر ، وأخـرجت على الأفـنان[١٠] فـنـونًا من

---

(١) أى : ما أبدت وما أخفت . القاموس « ع ج ر » .

(٢) أى : ملأت . القاموس « ت ر ع » .

(٣) ألقت عصاها : بلغت موضعها . القاموس « ع ص و » .

(٤) أى : حسَّنت وزينت . القاموس « ن م ق » .

(٥) صخرة صَيْخُود : شديدة . القاموس « ص خ د » .

(٦) الجَلْمد : الصَّخر . القاموس « ج ل م د » .

(٧) الأبْهَر : الطيب من الأرض لا يعلوه السيل . القاموس « ب هـ ر » .

(٨) الوَبَر للبعير كالصوف للغنم . المصباح المنير (ص ٣٣٣) .

(٩) سنح الخاطر به : جاد . المصباح المنير (ص ١٥٢) .

(١٠) جمع فَنَن : وهو الغصن . المصباح المنير (ص ٢٤٩) .

الخُضَر[١] ، وقام خطيب الأطيار على الأشجار وشكر ، وخلع الربيع ثوب المرض ولبس حُلَلَ البَطَر[٢] ، فتناغت أطياره واطردت أنهاره ووطن بهاره[٣] وظن أن لا غير ، حتى تنفس بريد الشتاء بالبرد وجاء الخبر ، فانتفضت الأغصان فى حماها من حُمَّاها وانتقضت المِرَر[٤] ، ونادت بلسان حالها : هكذا تحول الحال فى ديار الكدر ، وهذا آخر الأمور لو أن العاقل اعتبر ﴿ إذا برق البصر وخسف القمر ﴾ [سورة القيامة : ٧ ، ٨] .

الخطبة الثانية عشرة :

الحمد لله الذى أرسل السحائب المطر ، فثجَّتْ[٥] حتى ارتجت النهر ، ومَجّت حتى عَجّت الغدر ، فضجَّت[٦] مما لجت الخُذر ، فزجت على الورَق الوُرْق[٧] الشكر ، فلما أقلعت أطلعت الشمر[٨] ، وظهرت من التخوم كالنجوم الزهر ، وشكرت حتى سكِرت غصون ضمر ، وارتعت إذ سعت فشبعت خيل وحُمُر ، فسبحان مدير الفَلَك ولو لم يُدِرْ لم يُدر ، العادل فى أقضيته لم يحف ولم يُجر ، فاوت بين عباده فمنهم الفُهَماء ومنهم الغُثُر[٩] ، ومنهم مستقيم القدم ومنهم العُثُر ، ومنهم أرباب التقى ومنهم الفُجر ، أرسل طوفان الفتن فغطى البحار الزخر ، وبنى لأهل الصلاح ذات ألواح ودسُر ، فإن أردت صفتهم فهم الخائفون الحذر ، حفظوا حدود الشرع لا كالمذاييع البُذُر[١٠] ، وإن سألت عن الهالكين فقوم رضوا بالمياه

---

(١) رسمت فى الأصل بالظاء المشالة هكذا : « الخُظَر » ، وهذا كثير فى الأصول الخطية ، أعنى : إبدال الضاد ظاءً .

(٢) أى : النشاط . القاموس « ب ط ر » .

(٣) البهار : نبت طيب الريح ، وكل حسن منير . القاموس « ب هـ ر » .

(٤) المُرار - بالضم - : شجر مُرٌّ من أفضل العشب وأضخمه ، إذا أكلتها الإبل قلصت مشافرها ، فبدت أسنانها . القاموس « م ر ر » .

(٥) أى : سالت .

(٦) رسمت فى الأصل بالصاد هكذا : « فصجّت » .

(٧) جمع الأورق ، وقد تقدم معناها وانظر الخطبة الثامنة ، وهى نوع من الإبل .

(٨) أى : صرام النخل . القاموس « ش م ر » .

(٩) أى : سفلة الناس . القاموس « غ ث ر » .

(١٠) فى القاموس « ب ذ ر » : البُذُرّى - بضمتين - : الباطل .

الكدر ، أطلقوا أنفسهم فى هواها كالسوائب[١] والبحر[٢] ، فلو رأيت ماشيهم إذا وقع لم يَثر[٣] ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ﴾ [سورة القمر : ١٨] .

الخطبة الثالثة عشرة :

الحمـد لله الذى جعل الدنيا معبر اعتبار ، يفـتقر مـلاح سفينتـها إلى حِذقٍ واصطبار ، ولم يرضها لأوليائه فـبنى لهم غير هذه الدار ، وبالغ فى ذمها ويكفى ما فيـها من الأكدار ، غير أنه زينها وطفل الهـوى ذو اغترار ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ [سورة آل عمران : ١٤] ، وللشهوات حيلة عيار ﴿ من النساء ﴾ والنسـاء حبائل الشـيطان المكار ، تخرب إحـداهن الدين بعد أن تـخرب الدار ، فالعربى ينادى من معاشرتهن ويلى والأعجمى / يصيح زنهار[٤] ﴿ والبنين ﴾ وكم صَغار قـاسى الأبُ لأجل الصِّغار ، فلما ترقَّوا عَقُّوا والـعُقُوقُ من الذنوب الكبار ﴿والقناطير المقنطرة ﴾ وما اجتمعت إلا بأوزار ﴿ والخيل المسومة ﴾ يجول بها فى حلبة[٥] العُجْب المغوار ، بينا هى تجرى براكبها عثرت به أى عِثار ﴿ والأنعام ﴾ وهى معجبة للمالك والنظار ، بينا هى فى صعود الزيادة إذا صاحبها إلى القبر فى انحدار ﴿ والحرث ﴾ مخضرًّا ومصفرًّا مختلف الألوان والأزهار ، بينا وُرْقه[٦] على ورقهِ دخل بين البين[٧] غراب البين يندب الآثار ، ﴿ ذلك متاع الحياة

٣/ب

---

(١) السوائب جمع سائبة : وهى التى كانوا فى الجاهلية يسـيبونها لآلتهم ، فلا يحمل عليها شيء . تفسير الجلالين (ص ١٠٢) .

(٢) البُحُر جمـع البحيـرة : وهى التى منع درها للطواغـيت فلا يحلبـها أحـد من الناس . تفسـير الجلالين (ص ١٠٢) .

(٣) فى القاموس « ث و ر » : الثَّور : الوثْب .

(٤) فى الحاشية : « بمعنى يا لك وإياك » .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى الحاشية : « حليبة » .
وفى المصباح المنيـر (ص ٧٩) : الحَلْبَة - وزان سجدة - : خيل تجمـع للسباق من كل أوب ، ولا تخرج من وجه واحـد ، يقال : جاءت الفرس فى آخر الحَلْبـة أى : فى آخر الخيل ، وهى بمعنى حليبة ، ولهذا جمعت على حلائب . اهـ .

(٦) فى الأصل هكذا : « وُرْدقه » والدال كأنها مضروب عليها . والله أعلم .
وقد مضى معنى الوُرْق فى آخر الخطبة الثامنة ، وهى نوع من الإبل .

(٧) البَين من الأضداد يطلق على الوصال وعلى الفرقـة ، المصباح المنير (ص ٤١) وهى هنا بالمعنى الأول .

الدنيا ﴾ وهل المتاع إلا عارية تعار ؟! أسمعتم عيـوب العاجلة أيشترى زنابير التمر مشتار ؟! ﴿**أؤنبئكم بخيـر من ذلكم للذين اتقـوا عند ربهم جنات تجرى من تحتـها الأنهار** ﴾ [سورة آل عمران : ١٥] .

الخطبة الرابعة عشرة :

الحمـد لله الذى ساق سحـاب الشهوة برعـد هوًى رجوز[١] ، فجـرت قطرات النُّطَفِ إلى أحصن الحروز[٢] ، فتقلبت فى أعجـب الحالات إلى حين البروز ، ثم أخرجه طفلاً يتنقل فى خرق القِمَاط[٣] إلى جر الخزوز[٤] ، ويمر فى أغراضه إلا أن العقل حجـوز ، فأعجب والديه فأنفقوا عليـه كل مكنوز ، فلما حل الهرم بوادى سارة[٥] منع الولد أن يجوز ، وأقلع شجر بـستانها ، وتعطلت المروز[٦] ، وانقضى زمـان الدلال وفات وقت النشـوز[٧] ، وارتعدت الـشواة[٨] ، ووقـعـت النواة فى الكوز ، فجاءت البشارة فى كانون[٩] اليأس بآمال تمُّوز[١٠] ، فعجلت أن تقول متى ؛ تصديقًا لما أتى من الوعد بفتى ، فقالت : ﴿ **يا ويلتى ءألد وأنا عجوز** ﴾ [سورة هود : ٧٢] .

---

(١) ترجَّز الرعد : صات . القاموس « ر ج ز » .

(٢) الحِرْز : الموضع الحصين . القاموس « ح ر ز » .

(٣) القِمَاط : خرقة عريضة يشد بها الصغير . المصباح المنير (ص ٢٦٦) .

(٤) الخُزُوز جمع خَزّ : وهو اسم دابة ثم أطلق على الثـوب المتخذ من وبرها . المصبـاح المنير (ص ٩٠) .

(٥) يقصد السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٦) فى تاج العروس « م ر ز » : مـرز الصبى ثدى أمه مرزًا : عـصره بأصابعه فى رضـاعه ، وربما سمى الثدى المراز - ككتاب - لذلك . اهـ .

قلت : ولعل المعنى الأخير هو مراد المصنف - رحمه الله - هنا ، والله أعلم .

(٧) أى : الإنبات . المصباح المنير (ص ٣١٢) .

(٨) الشَّوَى : اليدان والرجلان والأطراف وقِحف الرأس . القاموس « ش و ى » .

(٩) كانون هو من الشـهور السُّريانيـة ، وهما شهـران فى قلب الشتاء بيـن تشرين الثانى وشـباط ، ويقابل «كانون الأول » شهر « ديـسمبر » من الشهور الرومية ، ويقابل « كـانون الثانى » شهر « يناير » من الشهور الرومية . المعجم الوجيز (ص ٥٤٣) .

(١٠) تَمُّوز : الشهر العـاشر من الشهور السُّريانية ، يقـابله « يوليو » من الشهور الرومـية . المعجم الوجيز (ص ٧٨) .

الخطبة الخامسة عشرة :

الحمد لله الذى لانت لهيبته العتاة الشرس[١] ، وذلت لسطوته الطغاة الجُبُس ، ونفذ حكمه فبحكمته المأتم والعرس ، ولم يدفع قضاءه لا درع ولا ترس ، يرى فى الجنة كما روى وكيع بن عُدُس[٢] ، متكلم وقد جل عن صفات الخرس ، كلامه مسموع بالأسماع مكتوب فى الطُّرُس[٣] ، أنزله على رسله الكرام الفضلاء النوس ﴿ **منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس** ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣]

الخطبة السادسة عشرة :

الحمد لله الذى يسبحه الغصن الرطيب والعود اليبيس ، والثوب الجديد والخلق الدريس[٤] ، لا ينفق عنده النفاق ولا يحب التدليس ، فرق الخلائق بين مرءوس ورئيس ، وباين بين العزائم فمنطلق وحبيس ، وستر العواقب فكم مطرود فى حلل التعبد يميس[٥] ، اختار آدم ففَلَتِ القلوب بالحسد فكان أثر التنفيس ، أن

---

(١) أى : الفسَّاق . القاموس « ج ب س » .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٤ / ١١ ، ١٢ - ط . مؤسسة قرطبة) ،والحاكم فى المستدرك (٤/ ٦٠٥ ط . دار الكتب العلمية) ، واللالكائى فى اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٨٣ ط. دار طيبة - الرياض) ، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٠٠ ط . المكتب الإسلامى) وقال ابن أبى عاصم : حديث حسن رجاله ثقات غير وكيع بن عدس فهو مجهول . اهـ . جميعهم من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبى رزين العقيلى مرفوعًا .

قال الذهبى فى ميزان الاعتدال (٧ / ١٢٦ ط . دار الكتب العلمية) : وكيع بن عدس عن عمه لا يعرف ، تفرد عنه يعلى بن عطاء . اهـ .

والحديث صحيح ؛ فقد أخرجه البخارى (١ / ١٤٥) ح (٥٥٤ - فتح) ، ومسلم ح (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله البجلى قال : كنا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعنى البدر ، فقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** ، ثم قرأ : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ » . اهـ .

(٣) جمع طِرس : وهو الصحيفة . المصباح المنير (ص ١٩٢) .

(٤) درس الثوبُ : أخلق وبَلِيَ . المعجم الوجيز (ص ٢٢٥) .

(٥) يميس : يتبختر . القاموس « م ى س » .

قالت الملائكة : نحن أهل التسبيح / والتقديس ، فقيل : ليس كل الطعام يصلح ٤/أ
لدقيق الكيس ، وقال إبليس : هذا من طين والطين خسيس ، وأنا من نار وجوهر النار نفيس ، فقاس مع النص والفقيه إن جاء النص لا يقيس ، فانماث[١] بالحسد عقله كما يماث المريس[٢] ، فلما قيل : ﴿ **اسجدوا** ﴾ [سورة البقرة : ٣٤] .
ضرب الشر يئس الخُلُق الإشريس، فلازمه الخزى واللعن سجيس عجيس[٣] ، فهو يبغض الأذان لجهله ويحب النواقيس ، وما أمهل إلا ليرى صبر نوح وذكاء إدريس، وثبوت الخليل يوم حرقوه وقد حمى الوطيس[٤] ، وملاقاة الكليم فرعون وقد اقتسما كلمتى نعم وبيس ، وزهد عيسى وفضل أحمدَ أحمدُ من سارت به العِيس[٥] ، ويرى من الأتباع من له مرتبة أنا جليس[٦] ، ومن الكاملات مع نقص الأنوثة كآسية وبلقيس، فلما أحس الملائكة بفضل آدم ووجدوا ﴿ **سجدوا إلا إبليس** ﴾[٧] [سورة البقرة : ٣٤] .

---

(١) ماث الشيء : ذاب . المصباح المنير (ص ٣٠١) .
(٢) المريس : التمر إذا دلكته فى الماء حتى تحلل أجزاؤه . المصباح المنير (ص ٢٩٣) ، والقاموس « م ر س » بتصرف .
(٣) سجيس عجيس : أى أبدًا . القاموس « س ج س » .
(٤) فى الحاشية : « مثل التنور يختبز فيه ، وقولهم :حمى الوطيس كناية عن شدة الحرب . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٣٤٢) .
(٥) العِيس : إبل بيض فى بياضها ظلمة خفية ، الواحد عَيساء . المصباح المنير (ص ٢٢٧) .
(٦) أخرج البيهقى فى شعب الإيمان [(١ / ٤٥١) ح (٦٨٠) ط . دار الكتب العلمية] ، وابن أبى شيبة فى المصنف [(١ / ١٠٨) ح (١٢٢٤) ، (٧ / ٧٣) ح (٣٤٢٨٧) ط . دار الرشد - الرياض] .
عن أُبى بن كعب قال : قال موسى - عليه السلام - : يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فقيل له : يا موسى ، أنا جليس من ذكرنى . فقال : إنى أكون على حال أُجلك عنها، قال : ما هى يا موسى ؟ قال : عند الغائط والجنابة . قال : اذكرنى على كل حال . اهـ. واللفظ للبيهقى .
(٧) فى الآية الكريمة : ﴿ **فسجدوا** ﴾ .

الخطبة السابعة عشرة :

الحـمد لله الذى رفع السـقف وبسط الفـراش ، وقـسم الرزقَ فقـال[١] الأسدُ والفراشُ ، والطير الكاسب[٢] والضعيف الخَشاش[٣] ، كل دبر له مـا قـدر له من المعاش ، شكا إليه القفر[٤] الفقر وبالغ فى الإجهاش ، فسـاق إليه السحاب فسقى التُّرب العطاش ، وأنعـشـه بغـرضه من مـرضـه أى إنعـاش ، وانتظرت الوُرْق[٥] بالصـدح حيـاة النبت إن عـاش ، فـحـدق الـنرجس وخـجل الجُلَّنار[٦] وَوَرَّد الخشخاش[٧] ، ونزل الطَّل[٨] فنقط خد الورد برشاش ، استوى على العرش لا كما فى النفوس من جلوس وافـتراش ، وينزل إذا جن الليل[٩] ووجه المشبه أسود من تلك الأغبـاش ، عظيم إذا سار العـقلُ نحو عظمـته حار وطاش ، المعـطلة ثقال

---

(١) قـال ابن الأنبـارى : « قـال » يجىء بمعنى : تكلم ، وضـرب ، وغلب ، ومـات ، ومـال ، واستراح ، وأقبل . اهـ . القاموس « ق و ل » .
ولعل المعنى المناسب هنا هو : استراح . والله أعلم .

(٢) الكاسب : الجارح . والكواسب : الجوارح . القاموس « ك س ب » .

(٣) الخشاش - مثلثة الخاء - : حشرات الأرض ، والعصافير ونحوها . القاموس « خ ش ش » .

(٤) القفر : المفازة لا ماء بها ولا نبات . المصباح المنير (ص ٢٦٤) .

(٥) الوُرق - جمع الأورق - : وهو مـن الإبل ما فى لونه بياض إلى سـواد ، وهو من أطيب الإبل لحمًا لا سيرًا وعملاً . القاموس « و ر ق » .

(٦) الجُلَّنار - كذا ضبطت فى القاموس ، وفى الأصل : بكسر اللام المشددة وبالحاء المهملة - : زهر الرمان ، معـرب : كُلنار . ويقال : من ابتلع ثلاث حبات منه من أصغـر ما يكون لم يرمد فى تلك السنة . القاموس « ج ل ن ر » .

(٧) فى الحاشـية : « بفـتح الأول : نبات معـروف الواحدة خَشخـاشة . ووردت الشـجرة ترد : إذا أخرجت وردها . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٩١ ، ٣٣٧) .

(٨) الطَّلُّ : المطر الخفيف . ويقال : أضعف المطر . المصباح المنير (ص ١٩٥) .

(٩) يشير المصنف - رحـمه الله - إلى ما ثبت فى الصحيحـين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« ينزل ربنا تبارك وتعـالى كل ليلة إلى السماء الدنيـا ، حين يبقى ثلث الليل الآخـر ، يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » .
أخرجه البخارى (٢ / ٦٦) ح (١١٤٥ - فتح) ، ومسلم ح (٧٥٨) .

والمشبهة وحاش ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش[١] ﴾ [سورة الأعراف : ٤١] .

أحمده حمد راض بقضائه إذا جاش الجاش[٢] ، وأصلى على رسوله محمد الذى عرج به وجبريلُ الركابى والفرّاش ، وعلى صاحبه أبى بكر الذى لا يبغضه إلا الروافض الوِحاش ، وعلى عمر الذى أنهض الإسلام بجده وانتاش[٣] ، وعلى عثمان مجهز جيش العسرة بالمال والرياش[٤] ، وعلى علىٍّ الراقد ليلة الهجرة على الفراش ، وعلى عمه العباس المستسقى بشيبته فسبق الوبل الرشاش ، جد سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين[٥] الذى كان الجود فى آخر نفس فأحياه وأعاش ، مواعظى شوافى وخطبى عوافى وأنا أستخرج القوافى بمنقاش ، سلعى مطلوبة وألفاظى محبوبة ونصبتى منصوبة / لا منصوبة لجلب الرياش ، اعتمادى على السنة والقرآن واعتقادى اعتقاد فقهاء البلدان ، وأورد الصحيح فى نقلى وأقلى[٦] البهتان ، وقد عرف الدكان والقماش ، يا لها من خطبة رتبها صانعها وزينها صائغها كما يزين المنقوش النقاش ، فهداها إلى وطنها ، وأهداها إلى سكنها ، وقد قنع من ثمنها أن يقال له شاباش .

٤/ب

الخطبة الثامنة عشرة :

الحمد لله الخالق الصانع ، الرزاق المانع ، كل عزيز عند عزه قانع ، وكل سلطان فى لجام قهره خاضع ، عرف نفسه من طريق العقل فعرض البدائع ،

---

(١) غواش : أغطية من النار . جمع غاشية ، وتنوينه عوض عن الياء المحذوفة . تفسير الجلالين (ص ١٢٧) .

(٢) جاش الجاش : غَثَت النفس أو دارت للغثيان .
والجأش - بالهمز وبغيره - : رُواع القلب إذا اضطربت عند الفزع ونفس الإنسان . القاموس « ج ى ش ، ج أ ش » .

(٣) أى : أظهر . وراجع القاموس « ن ت ش » ، والمعجم الوجيز (ص ٦٠١) .

(٤) الرِّياش - بالكسر - : يقال فى المال والحالة الجميلة . المصباح المنير (ص ١٢٩) .

(٥) يقصد الخليفة الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله . وقد تقدمت ترجمته ضمن هوامش الخطبة الخامسة .

(٦) القِلى : شدة البغض . المفردات (ص ٤١٣) .

وكلف خلقه من سبيل النقل ففرض الشرائع ، ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض** ﴾ [سورة فصلت : ٣٩] وهى بلاقع[(١)] ، تشكو إليه عطشها الأليم الفاجع ، فيثير لها سحابًا يبكى مصابها الواقع ، فكلما بكى ضحكت بالنَّور[(٢)] اليانع[(٣)] ، والنُّور الساطع ، بين أحمر قان[(٤)] وأسود فاحم وأصفر فاقع ، ودعت أوراقها وُرْقها فلما اجتمعت سجعت بأعجب المقاطع ، ورفل[(٥)] الربيع فى أثوابه بين أترابه ، كما غفل اللاهى فى شبابه عن المصارع ، فانقلب النبات هشيمًا وأيام النعم خوادع ، هكذا تحول الحالات فى المجامع ﴿ **إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع** ﴾ [سورة الذاريات : ٥ ، ٦] .

الخطبة التاسعة عشرة :

الحمد لله مدبر الأصل والفرع ، ومقدر الضر والنفع ، وجامع الكم والكيف فى الوضع ، وضْعُه بالبصر والسمع ، يتلقى على البصر والسمع ، من صحيح على شرط الفرق السمع ، بين الخالق والمخلوق دون الجمع ، إذ ليس كمثله شىء على وجه القطع ، رمى سهم قدره أهداف المخلوقات بالضر والنفع ، وعادت قلوب العتاة تردعه كالشمع ، كريم لا يوصف بالبخل فى حال المنع ، ينزل القطر من ذات الرجع[(٦)] ، فيجعله سببًا لخروج الزرع ، وطلوع الطلع ، ورِىِّ الضرع[(٧)] ، ويعلم عدد قطراته وأجزاء النقع[(٨)] ، ويسمع خفى صوته وقت الوقع ، وهفيف

---

(١) بلاقع – جمع بَلقَع – : الأرض القفر . القاموس « ب ل ق ع » .

(٢) النَّور : زهر النبت . المصباح المنير (ص ٣٢٤) .

(٣) ينع الثمر : حان قطافه . القاموس « ى ن ع » .

(٤) قان : شديد الحمرة . شرح القاموس « ق ن ى » .

(٥) أى : تبختر . المعجم الوجيز (ص ٢٧٢) .

(٦) الرجع : المطر . وسمى رجعًا لرد الهواء ما تناوله من الماء . المفردات (ص ١٨٩) .

(٧) الضَّرع : هو لذات الظِّلف كالثدى للمرأة . المصباح المنير (ص ١٨٧) .

(٨) النَّقع : الغبار الساطع . المعجم الوجيز (ص ٦٣١) .

الرياح تلعب فى الرَّبع[1] ، ورِكْز[2] أخفاف المطى فى النَّقا[3] والجِزَع[4] ، لا تخفى عليه ذرة فى الأرضين السبع ، ويبصر فى الشئون جريان الدمع ، خفض العاصين وخص المخلصين بالرفع ، وألهمهم جهاد النفوس فأرواحهم فى النزع ، والقوم فى جد يبذلون فيه نهايات الوسع ، وهم فى الجملة لا يخرجون من دار الشرع ، ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع** ﴾ [سورة المائدة: ٨٣] .

الخطبة العشرون :

الحمد لله الخالق الصانع فلا شريك له فى صنعه ، الرازق المانع فلا معطى لمنعه ، أخرج النبات بقدرته فهو المتولى لزرعه ، فالرعد يزمجر بصوته والبرق يخوف بلمعه ، والقطر مغربل ينزل بلطيف وقعه ، وعين السحاب تبكى ، / فتحكى صب الصَّبِّ لدمعه ، ودولاب[5] العِرق يرقى الماء من أصله إلى فرعه ، وطفل البذر يمتص امتصاص الفصيل من ضرعه ، وكف القدرة للحب يصف وقد وكل الجف بطلعه ، وعروس الشرق تزف فى الربيع من خدْر كانون[6] إلى ربعه ، والحمام يشكر ويشكو فقد الإلف بسجعه ، كأنه بما يبدى بدوى يبكى على نجده وسلغه ، فوجه النرجس قد أقمر ، والليِنوفر[7] قد ضم نفسه وأضمر ، وجميع

٥/أ

---

(١) الرَّبع : مَحَلَّة القوم ومنزلهم . المصباح المنير (ص ١١٤) .

(٢) الرِّكز : الصوت الخفى . المفردات (ص ٢٠٢) .

(٣) النَّقا : الكثيب من الرمل . المعجم الوجيز (ص ٦٣٢) .

(٤)جمع جِزْعة : وهى القطعة من الليل . المعجم الوجيز (ص ١٠٤) .

(٥) فى الحاشية : « الدولاب : المَنجَنون التى تديرها الدابة ، فارسى معرب ، وقيل : عربى بفتح الدال وضمها ، والفتح أفصح » .

وانظر : المصباح المنير (ص ١٠٥) وتكملته : « ولهذا اقتصر عليه جماعة » .

(٦) تقدم معناها ضمن هوامش الخطبة الرابعة عشرة .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى القاموس « ن ف ر » : النِّيلوفر، ويقال : النينوفر : ضرب من الرياحين، ينبت فى المياه الراكدة ، بارد فى الثالثة ، رطب فى الثانية ، ملين صالح للسعال ، وأوجاع الجنب ، والرئة ، والصدر ، وإذا عجن أصله بالماء وطلى به البهق مرات أزاله ، وإذا عجن بالزفت أزال داء الثعلب . اهـ .

النبات ينادى الأخضر والأصفر والأحمر : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ [سورة الأنعام : ٩٩] .

الخطبة الحادية والعشرون :

الحمد لله الذى لا ينال عز عظمته سانح تمثيل ، ولا يدرك قعر عزته سابح تخييل ، منزه الذات عن الشبه والمثل والعديل ، ثابت الصفات وقد كفر أهل التعطيل ، جال الفكر حول حمى قدسه ثم رجع كالذليل ، وسار الوهم فى جند الحس فسد فى وجهها السبيل ، وتاه فى عُرض[١] النادى[٢] وحار الحادى[٣] وضل الدليل ، صفاته منقولة لا عن قال وقيل ، المعطل خارج والمشبه ثقيل ، أيقاس خالق الأشياء بالأشياء ؟! هذا تغفيل ، يسبحه السحابُ ودمع عينه يسيل ، وتشكره الرياض يضحكها الفعل الجميل ، وتحمده الوُرْقُ تدعو على الوَرِق الهديل[٤] ، وتناغى الغصن يرقص بها فى حديث طويل ، وتذكره الظباء فى الكِناس[٥] والأسد فى الغيل[٦] ، سبقت قضاياه فاهتدى جبريل ، وضل عزازيل[٧]، ونثرت عطاياه فأصاب هابيل ، وحرم قابيل[٨] ، ونفذ أمره فهلك

---

(١) فى الحاشية : « العُرض وزان قُفل : الناحية والجانب . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٢٠٩) والتشكيل منه وليس من الحاشية .
(٢) النَّادى : مجلس القوم ومتحدثهم . المصباح المنير (ص ٣٠٨) .
(٣) هو الذى يزجر الإبل ويسوقها . القاموس « ح د و » .
(٤) الهديل : صوت الحمام ، أو خاص بوحشيتها . القاموس « هـ د ل » .
(٥) فى الحاشية : « كناس الظبى - بالكسر - : بيته » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٢٧٩) .
(٦) الغِيل : الشجر الكثير الملتف . القاموس « غ ى ل » .
(٧) روى أنه كان اسمًا لإبليس .
انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٧٧) .
(٨) يشير المصنف - رحمه الله - إلى قصة هابيل وقابيل ، وبيانها كما جاءت فى تفسير ابن كثير (٢ / ٤١ - ٤٢) ، وقصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٧) :
قال السدى - فيما ذكر عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرَّة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم - : أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد ومعه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع ،=

آزر[١] ونجى الخليل ، ووقع ابتلاؤه فذهبت من البكاء عين إسرائيل[٢] ، وجرت أقداره فملك يوسف وضاعت حيلة روبيل[٣] ، وظن أبرهة ببلاهته مناضلته فأرسل عليهم طيرًا أبابيل[٤] .

الخطبة الثانية والعشرون :

الحمد لله الذى يحول كل شىء ولا يحول ، ويزول كل مقيم ولا يزول ، ويطول شرح ما به يطول[٥] ، صفاته متلقاة من الكتاب والسنة بالقبول ، شاهدان عدلان وما عن العدول عدول ، المستخرج منهما فضل ومن غيرهما فضول ،

= وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه ، وقال : هى أختى ولدت معى وهى أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوج بها ، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى ، وأنهما قرَّبا قربانًا إلى الله - عز وجل - أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم - عليه السلام - قد غاب عنهما ، أتى مكة ينظر إليها ، قال الله - عز وجل - : هل تعلم أن لى بيتًا فى الأرض ؟ قال : اللهم لا . قال: إن لى بيتًا فى مكة فأته . فقال آدم للسماء : احفظى ولدى بالأمانة فأبت ، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قربا قربانًا ، وكان قابيل يفخر عليه ، فقال : أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك ، وأنا وصى والدى ، فلما قربا ، قرب هابيل جذعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها وأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختى . فقال هابيل : إنما يتقبل الله من المتقين . رواه ابن جرير . اهـ .

(١) هو لقب أبى إبراهيم الخليل - عليه السلام - واسمه تارخ .
وانظر : تفسير ابن كثير (٢ / ١٤٩ - ١٥٠) ، وتفسير الجلالين (ص ١١٢) .

(٢) يشير المصنف - رحمه الله - إلى ما حدث ليعقوب النبى ـ عليه السلام - حزنًا على ابنه يوسف النبى ـ عليه السلام - كما جاء ذلك فى القرآن الكريم : ﴿ **فابيضت عيناه من الحزن** ﴾ [سورة يوسف : ٨٤] .

(٣) هو أحد إخوة يوسف - عليه السلام - وهو الذى أشار على إخوته أن يطرحوا يوسف - عليه السلام - فى البئر .
انظر : تفسير ابن كثير (٢ / ٤٧٠) .

(٤) أبابيل : جماعات جماعات ، قيل : لا واحد له كأساطير ، وقيل : واحده أبول أو أبال أو أبيل، كعجول ومفتاح وسكين . تفسير الجلالين (ص ٥١٩) .

(٥) أى : يتفضل ويمن . القاموس « ط و ل » .

نصول بنصولهمـا عند الخوض فى الأصول ، إذا أخفى غيرنا عـقيدته ضربنا على عقيدتنا بالطبـول ، ما للمعطلة فهم ولا للمشبهة عقـول ، سر على نجيب الكتاب والسنة تبلغ المأمول ، ولا تقد حمار التعطيل ولا ثور التشبيه إنها بقرة لا ذلول[١] ، لا شك فى الاستواء ولا ريب فى النزول ، أتجـحد سبع آيات[٢] ؟! قد علمتم ثم الغلول ، ليس النزول نقلـة ولا الاستـواء حلول ، نقر ونمر وفى طريق التـفتـيش غول[٣] ، / أيتكلم فى الخالق من يخـرج من حيث يبول ؟! احذروا المنافقـين فما للنفاق محصـول ، ليتك لم تترك نسلاً يا ابن سلول[٤] ، يا لها من كلمات شَفَتْ بين اللهاة والشفـة تجول ، لو سمعها ابن السِّكيت زان بهـا أوزان فعول ، أو امرؤ القيس لم يقل : بسقط اللوى بين الدخول[٥] ، أو كعب بن زهير لنسى : إلا أغن غضيض الطرف مكحول[٦] ، زاد إطرابها القلوب على هل بالطلول ، سـبحان من أفردنى عن نظير يقول وأقـول ، أتشبه الأحداق النجل[٧] بالعيون الحول ؟! أيخفى

٥/ب

---

(١) ذلول : ليست بصعبة . المفردات (ص ١٨١) .

(٢) وهى : [سـورة الأعراف : ٥٤ ، سورة يونـس : ٣ ، سورة الرعد : ٢ ، سـورة طه : ٥ ، سورة الفرقان : ٥٩ ، سورة السجدة : ٤ ، سورة الحديد : ٤] .

(٣) غُول : هلكة . المصباح المنير (ص ٢٣٦) ، والقاموس « غ و ل » .

(٤) يقصد عبد الله بن أُبى ابن سلول رأس المنافقين .

(٥) هو الشطر الثانى من معلقة امرئ القيس بن حُجر بن عمرو الكندى ، وتمام البيت :

قِفَا نَبكِ من ذِكرَى حَبِيبٍ ومَنزِلِ ... بسقط اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فحَومَلِ

ومعنى البيت : قـفَا وأسعـدانى وأعينانى ، أو قِفَ وأسعـدنى على البكَاء ، عند تذكرى حبـيبًا فارقـته ، ومنزلاً خـرجت منه ، وذلك المنزل ، أو ذلك الحبـيب ، أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بيـن هذين الموضعين [الـدخول وحومل] . اهـ . شـرح الزوزنى على المعلقـات السبع (ص ٦) وما بين المعقوفين زيادة للإيضاح .

(٦) هو الشطر الثانـى من قصيـدة بانت سعاد لكعب بن زهيـر بن أبى سُلمى - وهى القصـيدة التى مدح بها سيدنا رسول الله ﷺ وأنشدها بحضرته الشـريفة وبحضرة أصحابه المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم - وتمام البيت :

وما سعَاد غَدَاةَ البَين إذ رحلُوا ... إلاَّ أغَنٌّ غَضيض الطَّرف مَكحُول

ومعنى البيت : لما ذكر حال نفـسه وما أعقبه الفراق من الضَنا ، شرع فى ذكـره وصف محبوبته التى يهواها وما اشتملـت عليه من المحاسن ، فشبهها بظبى موصـوف بأحسن الصفات من الغنة فى الصوت ، وغـض الطرف والكحل . اهـ . حاشـية الباجـورى على شرح ابن هشـام على قصيدة بانت سعاد (ص ١٢) .

(٧) النَّجَلُ - بفتحتين - : سعة العين وحسنها . المصباح المنير (ص ٣٠٦) .

على مميز خال[١] على خد من ثؤلول[٢] ؟! كلما سعدت صعدت والأجواف نزول ، كأنى بقوم فى المجلس ينكرون ما أقول ، ﴿ **ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾ [سورة المجادلة : ٨] ويحكم تكلموا بما ينفعكم وخلوا الفضول و﴿ **لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾ [سورة المجادلة : ٩] .

الخطبة الثالثة والعشرون :

الحمد لله الذى لا شان يشغله ، ولا نسيان يذهله ، ولا قاطع لمن يصله ، ولا نافع لمن يخذله ، جل عن مثل يطاوله ، أو نِدٍّ يشاكله ، أو نظير يقابله ، أو مناظر يقاوله[٣] ، يحلم عن العاصى ولا يعاجله ، ويدعى الكافر له شريكًا ويمهله، فإذا بطش هلك كسرى وصواهله[٤] ، وذهب قيصر ومَعَاقِلُه[٥] ، استوى على العرش وما العرش حامله ، وينزل لا كالمنتقل تخلوا منازله ، هذا جملة اعتقادنا وهذا حاصله ، من ادعى علينا التشبيه فالله يقابله ، مذهبنا مذهب أحمد ومَنْ كان يطاوله[٦] ؟! وطريقنا طريق الشافعى وقد عرفت فضائله ، ونرفض قول جهم فقد عرف باطله ، ونؤمل رؤية الحق ومتى خاب آمله ؟! لقد حنت حَنَّةُ[٧] إلى ولد فسألت من لا يرد سائله ، فانكسرت بوضع أنثى فجبر المكسور قابله ، فكفلها زكريا فإذا وكيل الغيب يواصله ، فيا لها من مكفول ما تعنى كافله ، فلما بلغت حملت بمن شرف حامله ، فعجبت من ولد لا عن والد يشاكله ، فقيل :

---

(١) خال : شامة . القاموس « خ ى ل » .

(٢) ثُؤلول : بثر صغير صُلب مستدير ، على صور شتى ، فمنه منكوس ومتشقق ذو شظايا ، ومتعلق ، ومسمارى ، عظيم الرأس مستدق الأصل ، وطويل معقف ، ومنفتح ، وكله من خلط غليظ يابس ، بلغمى أو سوداوى أو مركب منهما . اهـ . القاموس « ث أ ل » .

(٣) يقاوله من القُولة : وهى حسن القول أو كثيره ، لَسِنٌ . القاموس « ق و ل » .

(٤) يقال : رجل ذو صاهل : شديد الصيال والهياج . القاموس « ص هـ ل » .

(٥) معاقله : حصونه . القاموس « ع ق ل » .

(٦) أى : ومن كان يفضله ويرتفع عليه فى الفضل ؟! .
من التطاول : وهو الارتفاع والتفضل . القاموس « ط و ل » .

(٧) هى حَنَّةُ بنت فاقوذ ، امرأة عمران ، وهى أم مريم - عليها السلام - .
وانظر : تفسير ابن كثير (١ / ٣٥٩) ، تفسير الجلالين (ص ٤٦) .

﴿ **هزي** ﴾ [سورة مريم : ٢٥] فهزت جذعًا يابسًا تزاوله[١] ، فأخرج في الحال رطبًا يلتذ آكله ، فاستدلت على تكوين ولد تحمد شمائله ، فالنصارى غلت واليهود عتت ﴿ **فأتت به قومها تحمله** ﴾ [سورة مريم : ٢٧] . واهًا لبحر فصاحتي ما يدرك ساحله ، ولبيد جزالتي قد تعبت رواحله ، قتلت حسادي بلفظي وخير البر عاجله .

الخطبة الرابعة والعشرون :

الحمد لله الذي عز من بخدمته يحتمي ، وشرف من إلى طاعته ينتمي ، جل عن نظير وشبيه وسمي ، أقر بوحدانيته / لحمي ودمي ، وأعلمني وجودي أنه ٦/أ أخرجني من عدمي ، وعجز عن الإحاطة بصفاته ذهني وفهمي ، بث جواهر الوجود وقال لصنعته : انظمي ، وحدث الألباب بعجيب الخطاب وقال : افهمي ، يستغيث بغوثه المريد أيقظ هممي ، والمنيب إلى بابه ثبت قدمي ، والسالك طريق مرضاته قَوِّ لي عزمي ، والمعذب بالشوق إليه ارحم ألمي ، كلم موسى كفاحًا[٢] فقال : اسمع كلمي ، وأنزل ذلك في كتابنا أصم المبتدع أم عمي ، أفيؤمن اليهودي وينكر المسلم ؟! يا ثكلى السنة الطمي ، أيجحد الحق وسيفي في يدي وتحتي أدهمي[٣] ؟! لأوقعن بأعداء السنة تبلاً[٤] إلى أن تبلى أعظمي ، لا زالت منصوبة في صحراء المجاهدة خيمي ، لا سكت صوت بوقي ، ولا نكس علمي ، جمعت بين الكتاب والسنة وعاش لي توأمي ، سوط السنة بيدي أضرب من إلى البدع ينتمي ، هذه ﴿ **عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي** ﴾ [سورة طه : ١٨] . يا لها من درر قذف بها بحر قلبي إلى ساحل فمي ، نفخت كير الفصاحة فحمي فحْمي .

---

(١) تزاوله : تعالجه وتحاوله . القاموس « ز و ل » .

(٢) أي : مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول . النهاية (٤ / ١٨٥) .

(٣) الأدهم : فرس هشام بن حرملة المُرِّي ، وعنترة بن شداد العبسي ، ومعاوية بن مرداس السُّلَمي ، وآخر لبني بجير بن عُباد . القاموس « د هـ م » .
وكأنه يقول : وتحتي فرسي الذي هو في قوته وشهرته كالأدهم .

(٤) في الحاشية : « تَبَله تبلاً من باب ضرب : قَطَعه . اهـ . مصباح » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٤٢) .

الخطبة الخامسة والعشرون :

الحمد لله الذى لا تحيط به العلوم والعيون ، ولا تدركه الوهوم والظنون ، ولا تغيره الدهور والسنون ، ولا تَعْتَوِره الفتور والمنون[١] ، رفع السماء تزينها الشهب وتصون ، قد أحدقت وحدقت كالأحداق فى الجفون ، فبعضها للرجم ﴿ **وبالنجم هم يهتدون** ﴾ [سورة النحل : ١٦] ووضع الأرض على نون[٢] ، وهو حامل النون ، فإذا صامها الجدب ولقيت منه الهون ، انبعث من أجلها سحاب اللطف الهَتُون[٣] ، وتقدم الرعد قبل الغيث تقدم العَرَبُون ، فبعث كل زرع ميت وأُحْيى المدفون ، ونفخ فى فرخ البذر فتحرك تحت الحاضن المحضون ، وباح القطر بأسراره فباحت له بكل مكنون ، ثم عاد وعاد مردفًا الأبكار بالعون ، وشرب العرق من دولاب أصله ورقى إلى العرجون[٤] ، فطرب الربيع فى حضرة خضرته فنثر كل مخزون ، وشمر مشمرًا فى ثياب البطر ولا قارون ، وركبت الوُرْق منابر الوَرَقِ تغنى المشتاق بلحون ، وجمعت القدرة بين أضداد الطعوم فى آحاد الغصون ﴿ **ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون** ﴾ [سورة غافر : ٨١] .

الخطبة السادسة والعشرون :

الحمد لله الذى ليس بجسم فيضمه مكان ، ولا يلحقه التغير فيقال كان ، القائم بأرزاق جميع الحيوان ، الدائم وكل من عليها فان ، لا ترد قضاءه مناصل عبس وذبيان ، ولا ينفع من لم يرض عنه لو صادقه رضوان ، ولا يضر من أسعده لو وقع فى حسك السعدان[٥] ، ومن آياته أنك ترى الثرى وهو عطشان ،

---

(١) المَنُون : الدهر . المصباح المنير (ص ٢٩٩) .

(٢) النون : الحوت .

وكأن المصنف - رحمه الله - يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ [سورة القلم: ١] ، وأن تفسير : ﴿ **ن** ﴾ هو حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٢٢١) أن هذا وأمثاله من خرافات بنى إسرائيل .

(٣) الهتون :كثير القطر . المعجم الوجيز (ص ٦٤٤) .

(٤) العرجون : العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . المعجم الوجيز (ص ٤١٢) .

(٥) حسك السَّعدانَ : شوك السَّعدان ، والسَّعدان : نبت ذو شوك . النهاية (٢ / ٣٦٧) .

٦/ب فيرسل إليه / الغمام الملث[١] التهتان[٢] ، فإذا اغتبقت[٣] واصطبحت أصبحت خضرة تلك القيعان ، ونشر النَّور[٤] أردية النور فكل الأرض بستان ، ونجم الطلع وطلع النجم وفاح الريحان ، واكتست نضارة الأوراق عيدان الأغصان ، وماست[٥] الأشجار فى حليها على جنوب الغدران ، وبذلت للجانى ثمارها بما عز وما هان ، فامتطت مطا أوراقها ورقها فى إنشاد ونشدان ، فقلقت قلب المتشوق ولبلت أهل الهجران ، وليس الخليُّ كالشجى شتان ، ما هما شتان ، والغصن يميل طربًا للنسيم مثل ميل النشوان[٦] ، والنرجس قد حدق دهشًا فأما اللينوفر فوسنان ، كل هذا ينبه على مسطور القدرة إنما هو عنوان ، هذا نموذج المشوقات إلى ما فى الجنان ، مضمون للصادقين ولا بد من وفاء الضمان ﴿ **وعدًا عليه حقًّا فى التوراة والإنجيل والقرآن** ﴾ [سورة التوبة : ١١١] .

الخطبة السابعة والعشرون :

الحمد لله الذى أظهر دليل وحدانيته لأرباب معرفته وأبانه ، وجلى حجة وجوده على أهل جحوده وجلا برهانه ، ابتعث السحاب يميس إلى الغصن اليبيس فألانه ، وكان البذر فى نوم ثقيل ففتح أجفانه ، ولبس كل ميت ثياب خضرة ورمى أكفانه ، فبث الربيع روحه وريحه وريحانه ، ونشر الفنون على الأفنان وكسى مردانه ، وماست فى ألوان الحلل كل شجرة كانت عريانة ، ومنح اللينوفر لون الوجل والياسمين صفرة الخجل وأوقد فى الجُلَّنارِ[٧] نيرانه ، وصعدت الوُرْقُ منابر الوَرَقِ وركبت أغصانه ، وضربت عيدان شجوها[٨] لما علت عيدانه ،

(١) فى الحاشية : « ألَثَّ بالمكان إلثاثًا : أقام به . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٢٨٣) .
(٢) التهتان : المنصب فوق الهطل . القاموس « هـ ت ن » .
(٣) اغتبقت : شربت . القاموس « غ ب ق » .
(٤) النَّور : زهر النبت . المصباح المنير (ص ٣٢٤) .
(٥) ماست : تبخترت . القاموس « م ى س » .
(٦) النشوان : السكران . المصباح المنير (ص ٣١٢) .
(٧) الجلَّنار : زهر الرمان . القاموس « ج ل ن ر » .
(٨) فى الحاشية : « شجاه الهم يشجوه شجوًا - من باب قتل - : إذا أحزنه . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ١٦٠) .

فأزعجت قلب المشوق وهيجت أحزانه ، فتمايل طربًا كأنه خرج من حانة ، فبينا الربيع يخطر فى ثياب الوصال نوى الزمان هجرانه ، فصار هشيمًا فسبحان من أظهر عجائب قدرته وسلطانه ، ﴿ **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه** ﴾ [سورة الروم : ٤٠] .

أحمده حمد من تولاه وأصلح شانه ، وأصلى على رسوله محمد الذى طوى الدواوين كلها ونشر ديوانه ، وعلى أبى بكر الذى آنسه فى الغار وصلى مكانه ، وعلى عمر الذى أذل كسرى وأقطع إيعانه ، وعلى عثمان الذى جهز جيش العسرة ومانه ، وعلى علىٍّ الذى قلوب أهل السنة لا منارة الكوفة إليه حنانة ، وعلى عمه العباس الكبير القدر العظيم المكانة ، زينت به قريش وافتخرت كنانة ، جد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أدام الله عزه وسلطانه[١] ، سبق القدماء بالجود ، وهل تسبق الريح الهفانة[٢] ، لو صاح بين الأوائل منادى سلع الكرام / حرج وأمانه ، لسلموا ٧/أ إليه ورأوا بذل ما لم يجدوا خيانة ، طم بحر فضله وطمى حتى أروى أهل الزمانة ، فنحمدُ الله إذ أدركنا عصره ورأينا زمانه ، وفقه الله وسدده وأيده وأعانه ، فاجتلوها[٣] من خدرها عفيفة عن الابتذال بالصيانة ، لم تقلب على أيدى الوعاظ فيقال خمانة[٤] ، هل سمعتم بمثلها أمانة فى أعناقكم أمانة ؟! لا أبالى بها علماء الزمان بل ساكنى الجبانة ، لو وضع علمهم فى كفة القبان[٥] كان لفظى الرمانة[٦] .

الخطبة الثامنة والعشرون :

الحمد لله الذى زين الآدمى وأحسن وجهه ، فقوس الحاجبين وسطح الجبهة ،

---

(١) هو الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله ، وقد تقدمت ترجمته ضمن هوامش الخطبة الخامسة من هذا الكتاب .

(٢) يعنى : الريح التى يسمع لها دوى فى المسامع . القاموس « هـ ف ف » .

(٣) أى : خذوها مجلوة .

(٤) أى : مقولة بالوهم والحدس . المعجم الوجيز (ص ٢١٢) .

(٥) القَبَّان : الميزان ذو الذراع الطويلة المقسمة أقسامًا يحرك عليها جسم ثقيل يسمى الرُّمانة ؛ لتبين وزن ما يوزن . المعجم الوجيز (ص ٤٨٩) .

(٦) انظر : الهامش السابق .

وأمَرَّ ماء الأذنين وأعـذب النكهة ، وأنبت له الحدائق تشتـمل على قوت ونزهة ، ومد أمـد عمره فـعاش من الدهر برهة ، وقـدر الأرزاق فذو فـقر وذو ندهة[١] ، فرزقه يأتى الأسد فى الأكمة[٢] ، والذر فى الجلهة[٣] ، فرض الصـلاة على الأمم ولكل وجهة ، وسـامنا زكاة السائمة وسـامح فى الكسعة[٤] والنخة[٥] والجبهة[٦] ، وحث على الورع والورع ترك الشـبهـة ، يحب العـائذين بكرمه الحـفى اللائذين بحلمه الوفى ﴿ **الذين يدعـون ربهم بالغـداة والعـشى يريدون وجـهـه** ﴾ [سورة الأنعام : ٥٢ ، سورة الكهف : ٢٨] .

الخطبة التاسعة والعشرون :

الحمـد لله الذى آوى بعطفه من إلى لطفه أوى ، وداوى بإنعـامه من يئس من إسقامه الدوا ، لا يرى على من لاذ به وانضوى ضوى[٧] ، فإن أعرض عن خدمته إلى الهـوى هوى ، لا يعزب عن سمـعه صـوت الظبى إذا بغم[٨] ، والثعلب إذا ضبح[٩]، والذئب إذا عوى[١٠]، والبعير إذا رغى وقبقب وهدر واجتر بعد الخوى[١١]

---

(١) النَّدهة - بفتح النون وتضم - : الكثرة من المال . القاموس « ن د هـ » .

(٢) الأكَمَة : التل من القف من حجارة واحدة ، أو هـى دون الجبل ، أو الموضع يكون أشد ارتفاعًا مما حوله ، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرًا . القاموس « أ ك م » .

(٣) الجَلهَة : الصخرة العظيمة المستديرة . القاموس « ج ل هـ » .

(٤) الكُسعَة : الحمير والبقر العوامل ، والرقيق ؛ لأنها تُكسع بالعصا إذا سيقت . القاموس « ك س ع » .

(٥) النَّخَّة - بفتح النون وتضم - : الرقيق والبقر العوامل والحمر . القاموس « ن خ خ » .

(٦) الجَبهة : الخيل . القاموس « ج ب هـ » .

(٧) انضوى : لجأ . القاموس « ض و ى » .

وضوى : ضعف . القاموس « ض و ى » .

(٨) بغمت الظَّبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . القاموس « ب غ م » .

وسيأتى فصل ضمن الباب الثانى من هذا الكتاب ، فيه التفرقة بين الأصوات ، فراجعه فيه .

(٩) كذا على الصواب ، وفى الأصل : « صبح » .

ومعنى ضبح : صوت . القاموس « ض ب ح » .

(١٠) عوى : لوى خطمه ثم صوَّت ، أو مد صوته ولم يفصح . القاموس « ع و و » .

(١١) رغى وقبقب وهدر واجتر بعد الخوى :

فأما الثلاثة الأول فمعناها : صوت .

=

والأسد إذا زأر وناءم ونهت ونأت[١] مُوعدًا بالقوى ، والفرس إذا صهل وحمحم والتوى[٢] ، والوُرْق[٣] إذا أعربت وأغربت فأطربت أهل الجوى[٤] ، والمدنف[٥] المضنى وقد عاد كالعود إذا ذوى[٦] ، ولا يغيب عن بصره أصغر ذر فى بئر بر قد انزوى[٧] ، أخذ موسى من يد الأم وقد كانت تخشى الثوى[٨] ، فنمَّ بتابوته اليم إلى فرعون فأقام ثَمَّ وثوى[٩] ، ثم أخرجه إلى شعب شعيب ورده لينشر بزًّا[١٠] قد انطوى ، فبينا هو فى الطريق يعالج البرد والطوى[١١] ، ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، ربى محمدًا يتيمًا ضعيفًا لا مال ولا قوى ، ثم أقطعه النبوة فشهدت له الأعلام والصوى[١٢] ، وزوى[١٣] له شرق الأرض وغربها ، وكل الملوك زوى ،

= وأما اجتر : أن تجر الناقة ولدها بعد تمام السنة شهرًا أو شهرين أو أربعين يومًا. القاموس «ج ر ر»
والخوى : خلو البطن . القاموس « خ و ى » .

(١) زأر وناءم ونهت ونأتَ :
الزأر : صوت الأسد من صدره . القاموس « ز أ ر » .
وناءم : صوّت . القاموس « ن أ م » .
وأما نهت ونأت فمعناهما واحد وهو : الزئير . القاموس « ن أ ت ، ن هـ ت » .

(٢) صهل وحمحم والتوى :
صهل : صوّت . القاموس « ص هـ ل » .
والحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ، وعرُّ الفرس حين يقصر فى الصهيل ويستعين بنفسه. القاموس « ح م ح م » .
والتوى : من الالتواء والاستدار . القاموس « ل و ا » .

(٣) الوُرق: تقدم معناها عدة مرات وهى نوع من الإبل فى لونه بياض إلى سواد. القاموس «و ر ق».

(٤) الجوى : الماء المنتن . القاموس « ج و ى » .

(٥) المدنف : المريض مرضًا ملازمًا . القاموس « د ن ف » .

(٦) ذوى : ذبل . القاموس : « ذ و ى » .

(٧) انزوى : تنحى . القاموس « ز و و » .

(٨) الثوى : الموت . القاموس « ث و ى » .

(٩) ثوى : أطال الإقامة . القاموس « ث و ى » .

(١٠) البز : نوع من الثياب . القاموس « ب ز ز » ، والمعجم الوجيز (ص ٤٩) .

(١١) الطَّوَى : الجوع . المعجم الوجيز (ص ٣٩٩) .

(١٢) فى الحاشية : « الصُّوَّة : العَلَم من الحجارة المنصوبة فى الطريق ، والجمع صُوًى ، مثل مُدية ومُدًى ، وأصواء مثل رُطَب وأرطاب . اهـ . منه » .
وانظر : المصباح المنير (ص ١٨٣) والتشكيل منه .

(١٣) زوى : جمع . القاموس « ز و و » .

ونصب له كرسى العلا فعلا عليه واستوى ، ثم رفعه إلى قاب قوسين فرأى وروى ، ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ / [سورة النجم : ١ ، ٢] . ٧/ب

الخطبة الثلاثون :

الحمد لله الذى لم يزل فى قدره عليًّا ، وفى قهره قويًّا ، خلق سعيدًا وشقيًّا ، ورزق مطيعًا وغويًّا ، أنزل من السماء وسميًّا[١] ، فاستنقع الثرى ريًّا ، فلقى برى بحريًّا ، فلبست الأرض حليًّا ، وربى به الزرع كما يربى صبيًّا ، وخالف حُلىُّ حاله فكم ذَرَّق[٢] عليه زيًّا ، فتارة ترى لونًا روميًّا ، وتارة تواجه وجهًا زنجيًّا ، وتارة تشبه نجمًا دريًّا ، والنرجس شديد الوَقاحة[٣] وما زال اللينوفر حييًّا ، هذا بعض أفعاله فلا تكن عاميًا عميًّا ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًّا ﴾ [سورة مريم : ٦٥] .

الخطبة الحادية والثلاثون :

الحمد لله غافر الخطايا ، الوافر العطايا ، دافع الأذايا ، رافع الرزايا[٤] ، تسبحه البرايا بالغدايا والعشايا ، وتطير القلوب من هيبته شطايا[٥] ، إثبات قِدَمه أول القضايا ، والنهى عن تشبيهه آكد الوصايا ، استوى على العرش لا كاستوائنا على الحشايا ، ينزل إلى السماء الدنيا لا كارتحال السرايا[٦] ، هذه عقيدتى والله يعلم الطوايا ، لقد أقمت لأسر أهل التعطيل ربايا[٧] ، وأخذت أهل التشبيه كلهم

---

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول .القاموس « و س م » .
(٢) أذرقت الأرض : أنبتته . القاموس « ذ ر ق » .
(٣) فى الحاشية : « بالفتح : قلة الحياء . » .
وانظر : المصباح المنير (ص ٣٤٤) .
(٤) الرزايا : المصائب . المصباح المنير (ص ١١٩) .
(٥) انشطى : انشعب ، القاموس « ش ط ى » .
(٦) السرايا - جمع سرية - : وهى القطعة من الجيش ، المصباح المنير (ص ١٤٤) .
(٧) الرباء : الطَّول والمنة . القاموس « ر ب و » .

سبايا، ولو أمكننى شَهرتُهم على المطايا ، ولو صح لى ما تركت منهم بقايا ، لقد غادرت فصاحتى كل ناطق عيايا[1] ، وعند ارتجال الخطب تبين المزايا ، فيظهر الفرق بين التكلف والسجايا ، فليس لهم إلا النغبة[2] أو القطرة من الروايا ، ﴿حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾ [سورة الأنعام : ١٤٦] لى المرباع[3] من غزوات الفصاحة والصفايا ، قطعت فصاحتى الفيافى فتم حجى إلى القوافى ولم تقف المطايا ، ثمن العلم نقد الجد وما يباع نسايا ، ومن يتعشق عِذَاب الثنايا[4] ، تجشم فيها عَذَاب الثنايا[5] .

---

(١) المعاياة : أن تأتى بكلام لا يهتدى له . القاموس « ع ى ى » .

(٢) النَّغبة : الجرعة . ويضم ، أو الفتح للمرة ، والضم للاسم . القاموس « ن غ ب » .

(٣) أُربع الجيش : أخذ منهم ربع الغنيمة . القاموس « ر ب ع » .

(٤) جمع الثنية : وهى إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم . المعجم الوجيز (ص ٨٨ - ٨٩) .

(٥) جمع الثنية : وهو الطريق فى الجبل . يقال : فلان طلاع الثنايا : جلد يتحمل المشاق ، أو ساع لمعالى الأمور . المعجم الوجيز (ص ٨٩) .



الباب الثانى
فى تصرف اللغة وموافقة القرآن لها

لما كانت اللغة تنقسم قسمين :

إحداهما : الظاهر الذى لا يخفى على سامعيه ، ولا يحتمل غير ظاهره .

والثانى : المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوزات .

وكان هذا القسم الثانى هو المستحلى عند العرب ، نزل القرآن بالقسمين ؛ ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله ، فكأنه قيل لهم : عارضوه بأى القسمين شئتم، ولو نزل كله واضحًا .

لقالوا[1] : هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا ، ومتى وقع فى الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن ، قال امرؤ القيس :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبى ... بِسَهْمَيْكِ فِى أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[2]

فشبه النظر بالسهم ، فحلى هذا عند كل سامع . وقال أيضًا :

فقلتُ لَهُ لَمَّا تَمطَّى بِصَدْرِه / وأرْدَفَ أعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ[3] ٨/أ

فجعل الليل صلبًا وصدرًا على جهة التشبيه . وقال عنترة :

(١) رسمت فى الأصل بغير ألف فى آخرها ، هكذا : « لقالو » .

(٢) انظر : معلقة امرئ القيس ضمن شرح المعلقات السبع للزوزنى (ص ١٥) .
والمعنى : وما دمعت عيناك ، أى : وما بكيت إلا لتصيدى قلبى بسهمى دمع عينيك ، وتجرحى قطع قلبى الذى ذللته بعشقك غاية التذليل ، أى : نكايتهما فى قلبى نكاية السهم فى المرمى . اهـ . شرح الزوزنى على المعلقات السبع (ص ١٥ - ١٦) وللبيت معنى آخر ذكره هناك ، فراجعه إن شئت .

(٣) انظر : معلقة امرئ القيس (ص ٢٦) .
والمعنى : فقلت لليل لما مد صلبه ، يعنى : لما أفرط طوله ، وأردف أعجازًا : ازدادت مآخيره امتدادًا وتطاولاً ، وناء بكلكل : يعنى : أبعد بصدره ، أى بعد العهد بأوله .
وتلخيص المعنى : قلت لليل لما أفرط طوله ، وناءت أوائله ، وازدادت أواخره تطاولاً . وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد ، والسهر المتولد منها ؛ لأن المغموم يستطيل ليله ، والمسرور يستقصر ليله . اهـ . شرح المعلقات السبع (ص ٢٦) .

من كُمَيْتٍ أمْجَادَها طَابِخاها لَمْ تَمُتْ كُل مَوتِهَا فِى القُدُورِ

أراد بالطابخين : الليل والنهار .

فنزل القرآن على عادة العرب فى كلامهم ، فمن عادتهم التجوز ، وفى القرآن: ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ [سورة البقرة : ١٦] . والكناية ، وفى القرآن : ﴿**ولكن لا تواعدوهن سرًا** ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٥] . ويكنون عن الشىء ولم يجر له ذكر ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾[سورة ص : ٣٢] . ويصلون الكناية بالشىء وهى لغيره ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة** ﴾ [سورة المؤمنون : ١٢] . ومن عادتهم الاستعارة ﴿ **فى كل واد يهيمون** ﴾ [سورة الشعراء : ٢٢٥] . والحذف ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ [سورة البقرة : ١٩٧] . وزيادة الكلمة : ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق** ﴾ [سورة الأنفال : ١٢] . ويزيدون الحرف ﴿ **تنبت بالدهن** ﴾ [سورة المؤمنون : ٢٠] . ويقدمون ويؤخرون : ﴿**عوجًا قيمًا** ﴾ [سورة الكهف : ١ ، ٢] . ويذكرون عامًا ويريدون الخاص : ﴿ **الذين قال لهم الناس** ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] . يريد نعيم بن مسعود ، وخاصًا يريدون به العام ﴿ **يا أيها النبى اتق الله** ﴾ [سورة الأحزاب : ١] . وواحدًا يريدون به الجمع ﴿ **ثم يخرجكم طفلاً** ﴾ [سورة غافر : ٦٧] . وجمعًا يريدون به الواحد ﴿**إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة** ﴾ [سورة التوبة : ٦٦] . وينسبون الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ [سورة الرحمن : ٢٢]. وإلى أحد اثنين وهو لهما ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه** ﴾ [سورة التوبة: ٦٢] . وإلى جماعة وهو لواحد ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا** ﴾ [سورة البقرة : ٧٢] . ويأتون بالفعل بلفظ الماضى وهو مستقبل ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ [سورة النحل : ١] . وبلفظ المستقبل وهو ماض ﴿ **فلِمَ تقتلون أنبياء الله** ﴾ [سورة البقرة : ٩١] . ويأتون بلفظ فاعل فى معنى مفعول : ﴿ **لا عاصم** ﴾ [سورة هود : ٤٣] ﴿ **من ماء دافق** ﴾ [سورة الطارق : ٦] . ويأتون بفعَّلت فى التكثير ﴿ **وغلقت الأبواب** ﴾ [سورة يوسف : ٢٣] وفى التعليل ﴿ **ما فرطنا** ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨] . ويضمرون الأفعال : ﴿ **فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ [سورة البقرة : ٧٣] . أى : فضربوه ، ويضمرون الحروف ﴿ **سنعيدها سيرتها** ﴾ [سورة طه : ٢١] .

فصل

ومن عادتهم تكرير الكلام ، وفى القرآن : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ [سورة الرحمن : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧] . وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون إعادة اللفظ ، فيغيرون بعض الحروف ، وذلك يسمى الإتباع ، فيقولون : أسْوانُ أتْوانُ ، أى : حزين ، وشىء تافه نافه ، وإنه لثقف لقف[١] ، وجائع نائع ، وحِلّ بِلّ ، وحياك الله وبيَّاك ، وحقير نقير ، وعين حَذْرة بَذْرة ، أى : عظيمة ، وخَضِر مَضِر[٢] ، وسمح لمح ، وسيغ ليغ[٣] ، وشكِس لكِس[٤] ، وشيطان ليطان ، وتفرقوا شَذَرَ مذَرَ[٥] ، وشَغَر بَغَر[٦] ، ويوم عك أك إذا كان حارًّا ،وعطشان نطشان ، وعِفْريت نِفْريت ، وكثير بثير ، وكِنٌّ إنٌّ[٧] ، وحار جار يار ، وقبيح شقيح لقيح ، وثقة تقة نقة ، وهو أسق أمق خنق للطويل ، وحسن بسن قسن ، وفعلت ذلك على رغمه ودغمه وشنَّغمه ، / ٨/ب ومررت بهم أجمعين أكتعين أبصعين .

فصل

وقد تأت العرب بكلمة إلى جنب كلمة كأنها معها وهى غير متصلة بها ، وفى القرآن : ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ [سورة الأعراف : ١١٠] . هذا قول الملأ ، فقال فرعون : ﴿ فماذا تأمرون ﴾ [سورة الأعراف: ١١٠]. ومثله : ﴿ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ [سورة يوسف: ٥١]. فقال يوسف :

---

(١) أى : خفيف حاذق . القاموس « ل ق ف » .

(٢) أى : هدر . القاموس « م ض ر » .

(٣) فى القاموس : سَيِّغ لَيِّغ كهين ، والأليغ : من لا يبين كلامه ، أو يرجع كلامه إلى الياء والأحمق . اهـ . مادة « ل و غ » .

(٤) أى : عسر قليل الانقياد . القاموس « ل ك س » .

(٥) شَذَرَ مَذَر – ويكسر أولهما – : ذهبوا فى كل وجه . القاموس « ش ذ ر » .

(٦) شَغَر بَغَر – ويكسر أولهما – : تفرقوا فى كل وجه . القاموس « ب غ ر » .

(٧) الكِنُّ : وقاء كل شىء وستره . القاموس « ك ن ن » .

﴿ **ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ [سورة يوسف : ٥٢] . ومثله : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾ [سورة النمل: ٣٤] . انتهى قول بلقيس ، فقال الله تعالى : ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾ [سورة النمل : ٣٤] . ومثله : ﴿ **من بعثنا من مرقدنا** ﴾ [سورة يس : ٥٢] . انتهى قول الكفار ، فقالت الملائكة : ﴿ **هذا ما وعد الرحمن** ﴾ [سورة يس : ٥٢] .

فصل

وقد تجمع العرب شيئين فى كلام ، فترد كل واحد منهما إلى ما يليق به .

وفى القرآن : ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] . المعنى : يقول المؤمنون : متى نصر الله؟ فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب . ومثله : ﴿ **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله** ﴾ [سورة القصص : ٧٣] . فالسكون بالليل ، وابتغاء الفضل بالنهار . ومثله : ﴿ **وتعزروه وتوقروه وتسبحوه** ﴾[1] [سورة الفتح : ٩] . فالتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح والتكبير لله .

فصل

وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان ، فيبينونه متصلاً بالكلام تارة ، ومنفصلاً أخرى ، وجاء القرآن على ذلك ، فمن المتصل بيانه : ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات** ﴾ [سورة المائدة : ٤] وأما المنفصل فتارة يكون فى السورة كقوله تعالى فى براءة : ﴿ **قد نبأنا الله من أخباركم** ﴾ [سورة التوبة : ٩٤] مبين عند قوله : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً** ﴾ [سورة التوبة: ٤٧] وتارة يكون فى غير السورة كقوله تعالى فى البقرة : ﴿ **أوفوا بعهدى** ﴾ [سورة البقرة : ٤٠] بيانه فى المائدة : ﴿ **لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى** ﴾ [سورة المائدة: ١٢]. وفى سورة النساء : ﴿ **يخادعون الله**

---

(١) فى الأصل رسمت هذه الكلمات الثلاثة بالتاء والياء ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو : بالياء فى هذه الكلمات ، وروى عُبيد عن هارون عن أبى عمرو : بالتاء ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : بالتاء جميعًا . السبعة فى القراءات (ص ٦٠٣) .

وهوخادعهم ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] . بيانه فى الحديد : ﴿ قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ [سورة الحديد : ١٣] . فى الأعراف : ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ [سورة الأعراف : ٣٧] . بيانه فى تبارك : ﴿ قد جاءنا نذير فكذبنا ﴾ [سورة الملك : ٩] . فى الأعراف : ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل ﴾ [سورة الأعراف : ١٣٧] . بيانها فى القصص : ﴿ ونريد أن نمن ﴾ [سورة القصص : ٥] . فى براءة : ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ [سورة التوبة : ١١٤] . بيانها فى مريم : ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ [سورة مريم : ٤٧] . فى يونس : ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [سورة يونس : ٦٤] . بيانه فى حم السجدة : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ [سورة فصلت : ٣٠] . فى إبراهيم : ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٥] . بيانه فى العنكبوت : ﴿ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٠] . فى النحل : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما / قصصنا عليك من قبل ﴾ [سورة النحل : ١١٨] . بيانه فى الأنعام : ﴿ حرمنا كل ذى ظفر ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٦] . فى بنى إسرائيل : ﴿ ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ [سورة الإسراء : ١١] . بيانه فى الأنفال : ﴿ فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ [سورة الأنفال : ٣٢] . فى طه : ﴿ فقولا له قولاً لينًا ﴾ [سورة طه : ٤٤] . بيانه فى النازعات : ﴿ هل لك إلى أن تزكى ﴾ [سورة النازعات : ١٨] . فى الصافات : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ [سورة الصافات : ٧٥] . بيانه فى القمر : ﴿ إنى مغلوب فانتصر ﴾ [سورة القمر : ١٠] . فى الصافات : ﴿ فحق علينا قول ربنا ﴾ [سورة الصافات : ٣١] . بيانه فى ص : ﴿ لأملأن جهنم ﴾ [سورة ص : ٨٥] . فى الصافات : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا ﴾ [سورة الصافات : ١٧١] . بيانه فى المجادلة : ﴿ لأغلبن أنا ورسلى ﴾ [سورة المجادلة : ٢١] . فى المجادلة : ﴿فيحلفون له كما يحلفون لكم[1] ﴾ [سورة المجادلة : ١٨]. بيانه فى الأنعام :

٩/أ

---

(١) كتب فى الأصل : « فيحلفون لهم » وهو خطأ .

﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] . فى نون : ﴿ **إذ نادى وهو مكظوم** ﴾ [سورة القلم : ٤٨] . بيانه فى الأنبياء : ﴿ **أن لا إله إلا أنت** ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] .

فصل

وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارنًا له وقد يكون بعيدًا عنه ، وعلى هذا ورد القرآن .

فأما المقارن : فكقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهله قل هى مواقيت** ﴾ [سورة البقرة : ١٨٩] .

وأما البعيد : فتارة يكون فى السورة كقوله فى الفرقان : ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق** ﴾ [سورة الفرقان : ٧] . جوابه فيها : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق** ﴾ [سورة الفرقان : ٢٠] . وتارة يكون فى غير السورة كقوله تعالى فى الأنفال : ﴿ **لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ [سورة الأنفال : ٣١] . جوابه فى بنى إسرائيل : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن** ﴾ [سورة الإسراء:٨٨] . فى الرعد : ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلاً** ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] . جوابه فى يس[١] : ﴿ **إنك لمن المرسلين** ﴾ [سورة يس : ٣]. فى الحجر : ﴿ **إنك لمجنون** ﴾ [سورة الحجر : ٦]. جوابه فى نون: ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ [سورة القلم: ٢] . فى الفرقان : ﴿ **قالوا وما الرحمن** ﴾ [سورة الفرقان: ٦٠]. جوابه : ﴿ **الرحمن علم القرآن** ﴾ [سورة الرحمن : ١ ، ٢] . فى الزخرف : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ [سورة الزخرف: ٣١] . جوابه فى القصص : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾ [سورة القصص:٦٨] . فى القمر : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر** ﴾ [سورة القمر : ٤٤] . جوابه فى الصافات : ﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ [سورة الصافات : ٢٥]. فى الطور[٢] :

---

(١) رسمت فى الأصل : « يسن » .

(٢) كذا على الصواب ، وفى الأصل : « نون » .

﴿ **أم يقولون تقوله** ﴾ [سورة الطور : ٣٣] . جوابه فى الحاقة : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل** ﴾ [سورة الحاقة : ٤٤] .

فصل

فأما أجوبة الأقسام ، فتارة يكون القسم فى أوائل السور ، وتارة فى بعضها .

فأما الذى فى أولها: فكقوله تعالى: ﴿ **والصافات** ﴾ [سورة الصافات : ١] . جوابه : ﴿ **إن إلهكم لواحد** ﴾ [سورة الصافات : ٤] . ﴿ **ص والقرآن** ﴾ [سورة ص : ١] . جوابه : ﴿ **إن ذلك لحق** ﴾ [سورة ص : ٦٤] . ﴿ **حَم** ﴾ الزخرف ﴿ **والكتاب المبين** ﴾ [سورة الزخرف : ١ ، ٢] . جوابه : ﴿ **إنا جعلناه قرآنًا عربيًا** ﴾ [سورة الزخرف : ٣] . ﴿ **حَم** ﴾ الدخان : ﴿ **والكتاب المبين** ﴾ [سورة الدخان : ١ ، ٢] . جوابه : ﴿ **إن هؤلاء ليقولون** ﴾ [سورة الدخان : ٣٤] . ﴿ **ق والقرآن** ﴾ [سورة ق : ١] . جوابه : ﴿ **إن فى ذلك لذكرى** ﴾ [سورة ق : ٣٧] . ﴿ **والذاريات** ﴾ [سورة الذاريات : ١] . جوابه : ﴿ **إنما توعدون لصادق** ﴾ [سورة الذاريات : ٥] . ﴿ **والطور** ﴾ [سورة الطور : ١] . جوابه : ﴿ **إن عذاب ربِّك لواقع** ﴾ [سورة الطور : ٧] . ﴿ **والنجم** ﴾ [سورة النجم : ١] . جوابه : / ﴿ **ما ضل صاحبكم** ﴾ [سورة النجم : ٢] . ﴿ **ن والقلم** ﴾ [سورة القلم : ١] . جوابه : ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ [سورة القلم : ٢] . ﴿ **والمرسلات** ﴾ [سورة المرسلات : ١]. جوابه : ﴿ **إنما توعدون لواقع** ﴾ [سورة المرسلات : ٧] . ﴿ **والنازعات** ﴾ [سورة النازعات :١] . جوابه : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ [سورة النازعات : ٢٦] . ﴿ **والسماء ذات البروج** ﴾ [سورة البروج : ١] . جوابه : ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ [سورة البروج : ١٢] . ﴿ **والسماء والطارق** ﴾ [سورة الطارق : ١] . جوابه : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ [سورة الطارق: ٤] . ﴿ **والفجر** ﴾ [سورة الفجر : ١] . جوابه : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ [سورة الفجر : ١٤] . ﴿ **والشمس** ﴾ [سورة الشمس : ١] . جوابه : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ [سورة الشمس : ٩] . ﴿ **والليل** ﴾ [سورة الليل : ١] .

٩/ب

جوابه : ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾ [سورة الليل : ٤] . ﴿ **والضحى** ﴾ [سورة الضحى : ١] . جوابه : ﴿ **ما ودعك ربك** ﴾ [سورة الضحى : ٣] . ﴿**والتين** ﴾ [سورة التين : ١] . جوابه ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**﴾ [سورة التين : ٤] . ﴿ **والعاديات** ﴾ [سورة العاديات : ١] . جوابه : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ [سورة العاديات : ٦] . ﴿ **والعصر** ﴾ [سورة العصر : ١] . جوابه : ﴿ **إن الإنسان لفى خُسر** ﴾ [سورة العصر : ٢] .

وأما الإقسام فى غير أوائل السور : فكثيرة ، كقوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ [سورة الحجر : ٩٢] . ﴿ **فورب السماء والأرض إنه لحق** ﴾ [سورة الذاريات : ٢٣] .

فصل

واعلم أن لغة العرب واسعة ، ولهم التصرف الكثير ، فتراهم يتصرفون فى الكلمة الواحدة بالحركات ، فيجعلون لكل حركة معنى : كالحَمْل والحِمْل[١] ، والرَّوح والرُّوح[٢] .

وتارة بالإعجام : كالنَّضْح والنَّضْخ[٣] ، والقَبْضَة والقَبْصَة[٤] ، والمضمضة والمصمصة[٥] .

وتارة يقلبون حرفًا من الكلمة ولا يتغير عندهم معناها كقولهم : صاعقة

---

(١) الحَمل : ما كان فى بطن أو على شجر .
والحِمل : ما يحمل على الظهر ونحوه . المعجم الوجيز (ص ١٧٢) .

(٢) الرَّوح : نسيم الريح .
الرُّوح : ما به حياة الأجسام . المعجم الوجيز (ص ٢٨١) .

(٣) والنَّضح : الماء ينضح به .
والنَّضخ : يقال : نَضَخ الشىء نضخًا : بلله ورشه بماء أو طيب . المعجم الوجيز (ص ٦٢٠).

(٤) القبضة من الشىء : ما قبضت عليه ملءَ كفك .
والقَبصة : ما تناولته بأطراف أصابعك . المعجم الوجيز (ص ٤٨٨) .

(٥) مضمض الماء فى فمه : حركه بالإدارة فيه .
ومصمص فاه : مضمضه . المعجم الوجيز (ص ٥٨٤) .

وصاقعة ، وجذب وجبذ ، وما أطيبه وأيطبه ، وربض ورضب[١] ، وأنْبَضَ فى القوس وأنضب[٢] ، ولعمرى ورعملى ، واضمحل وامضحل ، وعميق ومعيق ، وسبسب وبسبس[٣] ، ولَبَكْت الشيء وبلكته[٤] ، وأسير مُكَلَّبٌ ومكبل[٥] ، وسحاب مُكْفَهِرٌ ومكرهفٌ[٦] ، وناقة ضَمْرَزٌ وضَمْزَرٌ إذا كانت مُسنة ، وطريق طامس وطاسم[٧] ، وقفى الأثر وقاف الأثر ، وقاع البعير الناقة وقعاها[٨] ، وقوس عُطُلٌ وعُلُط : لا وتر عليها ، وجارية قتين وقنيت : قليلة الرزء ، وشرخ الشباب وشخره : أوله ، ولحم خنز وخزن ، وغاث يغيث وغثى يغثى ، وتنح عن لُقَم الطريق ولمق الطريق[٩] ، وبطِّيخ وطبِّيخ[١٠] ، وماء سَلْسال ولسلاس ، ومُسلسل ومُلسلس : إذا كان صافيًا ، ودقم فاه الحجر ودمقه : إذا ضربه ، وفثأت القدر وثفأتها : إذا سكنت غليانها ، وكبكبت الشيء وبكبكته : إذا طرحت بعضه على بعض .

فصل

ومن سعة اللغة أن العرب تضع للشيء الواحد أسماء من غير تغير يعتريه ، فيقولون : السيف والمهند والصارم . ويغيرون الاسم بتغير يعترى ، فيقولون لمن

---

(١) رضبت الشاة : ربَضت . القاموس « ر ض ب » .

والمعنى : طوت قوائمها ولصقت بالأرض وأقامت . المعجم الوجيز (ص ٢٥١) .

(٢) أنضب القوس : جذب وترها لِتصوت ، كأنبضها . القاموس « ن ض ب » .

(٣) تسبسب الماء وتبسبس : جرى . القاموس « س ب ب » ، « ب س س » .

(٤) أى : خلطته . القاموس « ب ل ك ، ل ب ك » .

(٥) أى : مُقَيَّد . القاموس « ك ل ب ، ك ب ل » .

(٦) أى : سحاب غليظ يركب بعضه بعضًا . القاموس « ك ف هـ ر ، ك ر هـ ف » .

(٧) أى : مندرس ومنمحى . القاموس « ط م س ، ط س م » .

(٨) فى القاموس أبدى فرقًا بينهما فقال : قاع الفحل : نزا ، وقعا الفحلُ الناقةَ : أرسل نفسه عليها، ضرب أم لا . القاموس « ق و ع ، ق ع و » .

(٩) أى : وسطه . القاموس « ل م ق ، ل ق م » .

تنبيه : ضبطت « لمق » فى الأصل بفتح اللام وكسر الميم ، بينما ضبطت فى القاموس بفتح اللام وفتح الميم .

(١٠) انظر : القاموس « ط ب خ » وضبطها فيه : كِسكِّين . أى : بكسر الطاء والباء المشددة .

نزل فى الرَّكىّ فملأ الدلو : مايح . وللمستقى من أعلاها : ماتح . فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق ، والياء المعجمة من تحت لمن تحت .

فصل

١٠/أ وقد قالوا : الصَّباحة فى الوجه ، والوضاءة فى البشرة ، / والجمال فى الأنف، والحلاوة فى العين ، والظرف فى اللسان ، والرشاقة فى القدِّ ، واللباقة فى الشمائل .

فصل

وتضع العرب للشىء الواحد أسماء تختلف باختلاف محاله ، فيقولون لمن انحسر الشعر عن جانبى جبهته : أنزع . فإذا زاد قليلاً قالوا : أجلح . فإذا بلغ الانحسار نصف رأسه قالوا : أجلى وأجْلَهُ . فإذا زاد قالوا : أصلع . فإذا ذهب الشعر كله قالوا : أحَصُّ . والصلع عندهم ذهاب الشعر ، والقرع ذهاب البشرة .

فصل

ويقولون : صدر الإنسان ، ويسمونه من البعير الكِركرة ، ومن الأسد الزَّور ، ومن الشاة القَصُّ ، ومن الطائر الجؤجؤ ، ومن الجرادة الجوشن . والثدى للمرأة، وللرجل ثُنْدوة ، وهو من ذوات الخُفّ الخِلْفُ ، ومن ذوات الظلف الضرع ، ومن ذوات الحافر والسباع الطُّبْىُ[(١)] .

فصل

ويفرقون فى الأوطان ، فيقولون : وطن الإنسان ، وعَطَن البعير ، وعَرِين الأسد ، ووجار الذئب والضبع ، وكِناس الظبى ، وعُش الطائر ، وكُور الزنابير ، ونافِقا[(٢)] اليربوع ، وقرية النمل .

---

(١) بكسر الطاء وضمها : حلمات الضرع التى من خُفٍّ وظِلف وحافر وسبع . القاموس « ط ب ى» .

(٢) النافقاء والنُّفَقَة - كهُمَزَة - : إحدى جِحَرَة اليربوع ، يكتمها ويظهر غيرها ، فإن أُتى من جهة القاصعاء ، ضرب النافقاء برأسه فانتفق . القاموس « ن ف ق » .

فصل

ويفرقون فى المنازل ، فإن كان من مدر قالوا : بيت ، وإن كان من وبر قالوا : بجاد ، وإن كان من صوف قالوا : خِباءٌ ، وإن كان من شعر قالوا : فُسطاط ، وإن كان من جلود قالوا : قِشْعٌ ، وإن كان من غزل قالوا : خيمة .

فصل

ويقولون لما يصنعه الطائر على الشجر : وكر ، فإن كان على جبل أو جدار فهو وكن ، فإن كان فى كِنٍّ : فهو عُشٌّ ، فإن كان على وجه الأرض : فهو أفحوص ، والأُدحىّ للنعام خاصة .

فصل

ويفرقون فى الشهوات ، فيقولون جائع إلى الخبز ، قَرِمٌ إلى اللحم ، قَرِدٌ إلى التمر ، جَعِمٌ إلى الفاكهة ، عَيْمان إلى اللبن ، عطشان إلى الماء ، شَبِق إلى النكاح .

فصل

ويقولون لولد كل سبع : جِرْوٌ ، ولولد الأسد : شِبْل ، ولولد كل وحشية : طفل وطَلا[1] ، ولولد الناقة : حُوَار ، ولولد الفرس : مُهر وفَلُوّ ، ولولد البقرة: عِجل ، ولولد الحمار : جَحْش ، ولولد النعام : رَأْلٌ وحَفَّان ، ولولد الظبية : خِشْفٌ ، ولولد الضب : عِسْلٌ ، ولولد الأرنب : خِرْنِقٌ ، ولولد الثعلب : هِجْرس ، ولولد الدُّب : الدَّيْسَم ، ولولد الخنزير : خِنَّوْصٌ ، ولولدها من الضبع: فُرعُل ، ولولدها من الذئب : سِمْعٌ ، ولفرخ الحمام : الجَوْزَل ، ولولد الضفدع : هَجاة[2] ، ولولد الفيل : دغفل ، ولولد الحرباء : السّقَد ، ولولد اليربوع والفأرة : / دِرْصٌ ، ولولد الحية : حِرْبش ، ولفرخ الحجل : سُلَك ، ولفرخ العُقاب : صُرَم ، ولفرخ النسر : هيثَم ، ولفرخ الكروان : لَيْل[3] ، ١٠/ب

---

(١) الطَّلا - بالفتح - : ولد الظبى ساعة يولد ، والصغير من كل شىء . القاموس « ط ل و » .

(٢) فى القاموس « هـ ج و » : الهجاةُ : الضِّفدع .

(٣) فى القاموس « ل ى ل » : الليل : الحبارى أو فرخها ، وفرخ الكروان .

ولفرخ الحبارى : نهار[١] ، ولولد العقرب : فصعل[٢] .

فصل

ويفرقون فى الأصوات ، فيقولون : صهل الفرس وحمحم ، وشحج البغل ، ونهق الحمار ، ورغى البعير وجرجر وهدر وقبقب ، وأطَّتِ الناقة ، وثغت الشاة ويعرت ، وثأجت النعجة ، ونَبَّ التيس ، وبغم الظبى ونَزب ، وزأر الأسد وناءم ونهت ونأت ، ووعوع الذئب ، ونهم الفيل ،ورقح القرد ، وقبع الخنزير ، وضبح الثعلب ، وماءت السنور ، وفحت الأفعى ، ونضنضت الحية ، ونغق الغراب ، وزقا الديك ، ونقت الدجاجة ، وصرصر البازى والصقر ، وصفر النسر ، وهدر الحمام وهدل ، وغرَّد المُكاء ، وزبَطت البطة ، وعَنْدل البلبل ، ونقنقت النعامة ، وقطقط القطاء ، ووطوط الخُفاش ، وأنْقَضَت الضفادع ، وعزفت الجن .

فصل

ويفرقون فى الضرب ، فيقولون للضرب بالراح على الوجه : صك ، وعلى مُقدم الرأس : صَقْع ، وعلى القفا : صَفْع ، وعلى الخد ببسط الكف : لَطْم ، وبقبضها : لَكْم ، وعلى الذقن والحنك : وَهْز ، وعلى الجنب : وَخْز ، وعلى الصدر والبطن بالكف : وَكْز ، وبالركبة : زبْن ، وبالرجل : رَكْل . وكل ضارب من الحشرات بمؤخره : يَلْسع ، وبفيه : يَلدغ .

فصل

ويفرقون فى الجماعات ، فيقولون : كوكبة من الفرسان ، وكبكبة من الرجال، وجوقَة من الغلمان ، ولُمَة من النساء ، ورَعيل من الخيل ، وصِرْمة من الإبل ، وقطيع من الغنم ، وسِرب من الظباء ، وعَرْجلة من السباع ، وعصابة من الطير ، ورِجْل من الجراد ، وخَشْرم من النحل .

(١) فى القاموس « ن هـ ر » : النهار : فرخ القطا ، أو ذكر البوم ، أو ولد الكروان ، أو ذكر الحبارى .

(٢) فى القاموس « ف ص ع ل » : الصغير من ولد العقرب .

فصل

ويقولون : يدى من اللحم غَمِرة ، ومن الشحم زَهِمة ، ومن البيض زَهِكة ، ومن الحديد سَبِكة ، ومن السمك ضَمِرة ، ومن اللبن والزبد شَتِرة ، ومن الثريد مَرِدة ، ومن الزيت قَنِمة ، ومن الدهن زَنِخة ، ومن الخل خَمِطة ، ومن العسل لَزِقة ، ومن الفاكهة لَزِجة ، ومن الزعفران رَدِعة ، ومن الطين رَدِغة ، ومن العجين وَرِخة ، ومن الطيب عَبِقة ، ومن الدم ضَرِجة وسَلِطة ، ومن الوحل لَثِقة، ومن الماء بَلِلة ، ومن الحَمْأة[1] دَوِطة ، ومن الأشنان قَضِضة ، ومن المداد وَحِدة ، ومن البزر والنفط نَمِسة ونَسِمة ، / ومن البول قَتِمة ، ومن العذرة طَفِسة، ومن الوسخ دَرِنة ، ومن العمل مَجِلة . ١١/أ

فصل

لا تقول العرب مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهى خِوَان ، ولا للعظم عَرْق إلا ما دام عليه لحم ، ولا كأس إلا إذا كان فيه شراب ، وإلا فهى زجاجة ، ولا كوز إلا إذا كانت له عروة ، وإلا فهو كوب ، ولا رُضاب[2] إلا إذا كان فى الفم ، ولا أريكة إلا للسرير عليه قبة ، ولا رَيْطة إلا إذا كانت لفقين ، وإلا فهى مُلاءة ، ولا خِدْرٌ إلا إذا كانت فيه امرأة ، وإلا فهو ستر ، ولا للمرأة ظعينة إلا إذا كانت فى الهودج[3] ، ولا قلم[4] إلا إذا كان مبريًّا ، وإلا فهو أنبوب ، ولا عِهْن إلا إذا كان مصبوغًا ، وإلا فهو صوف ، ولا رَكيَّة إلا إذا كان فيها ماء ، وإلا فهى بئر ، ولا خاتم إلا إذا كان عليه فص ، ولا رمح إلا إذا كان له زج وسنان ، ولا بدنة إلا للتى تجعل للنحر ، ولا لطيمة إلا الإبل التى تحمل الطيب والبَزّ .

---

(١) هو الطين الأسود المنتن . القاموس « ح م أ » .

(٢) الرُّضاب : الريق المرشوف . المعجم الوجيز (ص ٢٦٧) .

(٣) الهودج : مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل ؛ لتركب فيه النساء . المعجم الوجيز (ص ٦٤٦) .

(٤) فى حاشية الأصل : « قال الخفاجى : ووجه كونه لا يسمى قلمًا حقيقة ما لم يبر ويقطع ؛ لأنه مأخوذ من القلم ، وقيل لأعرابى : ما القلم ؟ فقال : لا أدرى . فقيل : توهمه . فقال : عود قُلم من جانبيه كتقليم الظفر ، فسمى قلمًا » .

فصل

حروف النداء خمسة : يا ، وأيا ، وهيا ، وأى ، وألف الاستفهام .

فأما « يا » فظاهرة : يا إبراهيم ، يا موسى . وأما « أيا » فأنشدوا :

أيا بَارِحَ الجَوْزاءِ مَا لَـــك لا ترى عِيالَك قَدْ أمْسوا مَراميـــلَ جُوَّعَا

وأما « هيا » فقال ذو الرُّمة :

هَيَا ظبية الوَعْسَـــاءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبين النقـــاد أأنت أم أمِّ سَالِـم

وأما « أى » فأنشدوا :

ألم تَسْمَعِى أى عَبْدٍ فى رَونَقِ الضُّحَى غِنَاءَ حَمامـــاتٍ لهُنَّ سجيْـعُ

وأنشد سيبويه فى « ألف الاستفهام » :

أزَيْدُ أخا ورْقاء إنْ كُنتَ ثَائـــرا فقد عرضَتْ أحناءُ حقٍّ فخاصِـــم

فصل

كل أسماء الأنبيـاء أعجمية إلا أربعة : آدم ، وصالح ، وشعـيب ، ومحمد . وقد تترك العرب الاسم الأعجمى على حاله ، وقد تغيره إذا عربَتْهُ ، فقد قالوا : إبراهيم ، وإبراهام ، وإبراهِم ، وإبراهُم . وقـالوا : إسماعـيل ، وإسمـاعين . ولهم فى يونس ست لغات كسر النون وفتحهـا وضمها ، مع الهمز ، فى الثلاث لغاتٍ من غير همز .

فصل

فى قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة﴾ [سورة البـقرة : ١٨٩] . إنما سمى الهــلال هلالاً ؛ لأنه حين يُرى يُهِلُّ الناس بذكره - أى : يرفعـون أصواتهم - من قولهم : استهل الصبى . ويقال : أهِلَّ الهلال ، ولا يقال : أهَلَّ .

وفى كم يسمى هلالاً ؟ فيه أربعة أقوال :

أحدها : يسمى هلالاً لليلتين .

والثانى : لثلاث ليال .

والثالث : حتى يُحجر ، وتحجيره أن يستدير بخُطَّةٍ دقيقة . / ١١ ب

والرابع : إلى أن يبهر ضوؤه سواد الليل ، وهذا يكون فى الليلة السابعة ثم يسمى قمرًا .

وقد جعلت العرب لكل ثلاث من الشهر اسمًا ، فقالوا : ثلاث غُرَرٌ ؛ لأن غرة كل شىء أوله ، وثلاث نُفَلٌ ؛ لأنها زيادة على الغرر ، وثلاث تُسَعٌ ؛ لأن آخر أوائلها التاسع ، وثلاثٌ عُشَرٌ ؛ لأن أول أيامها العاشر ، وثلاث بيضٌ ؛ لأنها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها ، وثلاث دُرَعٌ ؛ لاسوداد أوائلها ، وثلاث ظُلَمٌ ؛ لإظلامها ، وثلاث حَنَادِسٌ ؛ لسوادها ، وثلاث دآدئُ ؛ لأنها بقايا ، وثلاث مُحَاقٌ ؛ لانمحاق القمر أو الشهر .

فصل

العرب تُكنى بالأب فتقول : أبو الحارث الأسد ، وأبو جعدة الذئب ، وأبو حُصين الثعلب ، وأبو اليقظان الديك ، وأبو خِداش السنور ، وأبو عَمْرَة الجوع .

ويكنون بالأم قال الله تعالى : ﴿ **لتنذر أم القرى** ﴾ [سورة الشورى : ٧] . وقال رسول الله ﷺ لرجل : « **أخذتك أم ملدم** »[١] . يعنى : الحمى . وأم غياث السماء ، وأم الظِّبَاء الفلاة ، وأم راشد المفازة ، وأم مَعْمَر الليل ، وأم عَمْرو الضبع ، وأم الهيثم العقاب ، وأم عَوف الجرادة ، وأم حُبَيْنٍ دويبة[٢] ، وأم النَّدامة العَجَلة ، وأم الدُّهَيم المنيَّة ، وأم الزُّبَيق الداهية ، وكذلك أم قشعم وأم الرَّقُوب وأم حَبوكرى[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٢ / ٣٣٢) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٤٩٥) كلاهما من طريق محمد بن عمرو عن أم سلمة عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٢) لطيفة : فى شرح القاموس : « هى على خلقة الحرباء ، عريضة الصدر ، عظيمة البطن على قدر الضفدع ، غبراء ، لها أربع قوائم ، فإذا طردها الصبيان قالوا : أم الحبين انشرى برديك ، فإن الأمير ناظر إليك . فتقف وتنشر جناحين أغبرين ، فإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة كن تحت ذينك ، ثم ترى على أحسن لون منهن ما بين أصفر وأحمر وأبيض ، فإذا فعلت ذلك تركوها » .

(٣) ضبطها فى القاموس هكذا : « أم الحَبَوكَرَى » .

فائدة : فى القاموس : « أم قُوب : الداهية » . اهـ . وهى مما يزاد على ما ذكره المصنف - رحمه الله - .

وأما ذكرهم الابن فقال تعالى : ﴿ **وابن السبيل** ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧ ، ٢١٥ ، والنساء : ٣٦ ، والأنفال : ٤١ ، والتوبة : ٦٠ ، والإسراء : ٢٦ ، والروم : ٣٨ ، والحشر : ٧] . وهو المسافر ، وابن بَيْض المنكشف الحال ، وابن جَلا المنجلى الأمر ، وابن خَلاوة البرىء من الشىء ، وابن أُنسٍ الصَّفىُّ ، وابن يَمّ الخليج ، وابن داية الغراب ، وابن ذُكاء الصُّبح ، وابن طاب جِنْسٌ من الرُّطَب، وابن ثاداء وثاطاء : ابن الأمة ، وابن بَلْدتها وابن بَعْطتها وابن بَجْدَتها : العالم بالشىء ، وابن أقوالٍ : المقتدر على الكلام ، وطامر بن طامر : البُرغوث، وابنا سمير : الليل والنهار .

وأما ذكرهم للبنات فيقولون : بنت الخَيْل للصّداءِ ، وللحيَّة التى لا تجيب الرَّاقِى ، وبنت الشَّفة الكلمة ، وبنت أدحِيَّة النعامة ، وبنات الليل الأحلام ، وبنات طيق للدَّواهى .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدره منازل** ﴾ [سورة يونس : ٥] . للشمس ثلاثمائة وستون مشرقًا وكذلك المغارب ، فهى فى كل يوم تطلع من مشرق وتغرب فى مغرب ، ولا تقطع فلكها إلا فى سنة .

فأما القمر فإنه يقطع فلكه فى شهر ، فذلك أنه ينزل كل ليلة منزلاً ، ومنازله ثمانية وعشرون ثم يستسر ، والمنازل التى ينزلها هى النجوم التى / كانت العرب تنسب إليها الأنواء ، وأسماؤها : الشَّرطان ، والبُطَين ، والثُّريَّا ، والدَّبران ، والهَقْعَة ، والهَنْعَة ، والذِّراع ، والنَّثْرَة ، والطَّرْفُ ، والجَبْهَة ، والزُّبرة ، والصَّرْفة، والعوَّا ، والسِّماك ، والغَفْر ، والزُّبانَى ، والإكليل ، والقَلْبُ ، والشَّوْلة ، والنَّعائم ، والبَلْدَة ، وسعد الذَّابح ، وسعد بُلَع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفَرْغ الدَّلو ، وفرغ الدلو والرشاء : وهو الحوت . ١٢/أ

والأنواء : النجوم ، واحدها نَوْء ، وسمى نَوْءًا ؛ لأنه إذا سقط ناء الطالعُ ، يسقط فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر مقابله من ساعته ، فتنقضى الثمانية والعشرون مع انقضاء السنة .

وكانت العرب تقول : إذا سقط منها نجم وطلع آخر فلابد من مطر . فكانوا ينسبون ذلك إلى النجم .

وفى الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجُهنى قال : صلى بنا رسول ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: « **قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته . فذاك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا . فذاك كافر بى مؤمن بالكوكب**[١] »[٢] .

واعلم أنه إنما ذمهم ؛ لأنهم نسبوا المطر إلى فعل النجم ، فأما من قال : مطرنا فى نوء كذا . فإنه لا يُذم ، ولهذا قال عمر : كم بقى من نوء الثريا[٣] ؟ . أى : كم بقى من الوقت الذى جرت العادة أنه إذا تم جاء المطر[٤] .

فصل

فى القرآن آيتان كل واحدة تحوى حروف المعجم : فى آل عمران : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم** ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٤] . وفى الفتح : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] .

إن قيل لك : أين فى القرآن سورة ليس فيها اسم الله - الذى هو الله - ؟ فقل : سورة القمر ، وسورة الرحمن ، وسورة الواقعة . فأما المجادلة فليس فيها آية إلا وفيها اسم الله تعالى.

---

(١) رسمت فى الأصل هكذا : « بالكوب » وهو سبق قلم من الناسخ .

(٢) أخرجه البخارى (١ / ٢١٤ ، ٢ / ٤١) ح (٨٤٦ ، ١٠٣٨ - فتح) ، ومسلم ح (٧١) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره لسورة الواقعة : الآية (٨٢) ، وأورده ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٢٩٩) ، وكذا القرطبى فى تفسيره (١٧ / ٢٣٠) .

(٤) راجع فى هذا المعنى - الذى ذكر المصنف - : القبس شرح موطأ ابن أنس للقاضى ابن العربى المالكى (١ / ٣٩١ ، ٤ / ٤٠٦ - بتحقيقى علاء إبراهيم الأزهرى) .

فصل

قوله تعالى : ﴿ وإياك نستعين ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] . قرأ الأعلام بفتح النون ، وكسرها الأعمش ، وقد قرأوا[1] : ﴿ يوم تِبيض وجوه وتِسود وجوه ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٦] . ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ [سورة المائدة : ١١٣] . ﴿ولا تِركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار ﴾ [سورة هود : ١١٣] . و ﴿ ما لك لا تِيمنّا ﴾ [سورة يوسف : ١١] . ﴿ وما يِشاءون ﴾[2] [سورة الإنسان : ٣٠] . وهؤلاء يقولون : أنت تِلحن وتِذهَبُ .

فصل

قوله تعالى : ﴿ ءأنذرتهم ﴾ [سورة البقرة : ٦ ، ويس : ١٠] . قرأ عاصم[3] فى آخرين : ﴿ ءأنذرتهم ﴾ بهمزتين مفتوحتين من غير مد ، وهى لغة هُذيل . وقرأ أبو عمرو[4] بهمزة بعدها مدة ، وهى لغة تميم . قال ذو الرُّمة :

١٢/ب

أيا ظبية الوعْسَاء بين جُلاجِلٍ / وبين النقا آأنت أم أمِّ سَالِمِ[5]

أى : أنت أحسن أم هى ؟

وقال الآخر :

تطالَلتُ فاستَشْـــرفتُه فرأيتُه فقلـتُ له آأنت زيدُ الأراقم

ومن العرب من يبدل النبترة[6] الثانية عينًا لتقاربهما فى المسلك ، وأن العين

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب : « قرأ » ؛ فإن الأعلام قرأوا هذه الآيات كلها بفتح أولها . والله أعلم .

(٢) قرأها ابن كثير وأبو عمرو هكذا : ﴿ وما يشاءون ﴾ بالياء التحتية ، وقرأ باقى السبعة : ﴿ وما تشاءون ﴾ بالتاء المثناة من فوق . السبعة فى القراءات لابن مجاهد (ص ٦٦٥) .

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى إذا حقق [الهمزة - أى : لم يخففها ولم يسهلها بل نطق بها دون تخفيف] ، وابن عامر كذلك . السبعة فى القراءات لابن مجاهد (ص ١٣٧) وما بين المعقوفين من المحقق الدكتور شوقى ضيف .

(٤) وهى قراءة نافع وابن كثير وكذلك كانت قراءة الكسائى إذا خفف ، غير أن مد أبى عمرو أطول من مدِّ ابن كثير ؛ لأن من قوله أنه يدخل بين الهمزتين ألفًا ، وابن كثير لا يفعل ذلك . السبعة (ص ١٣٦) .

(٥) مر هذا البيت فى (ص ٤٨) وفيه : « هيا » بدل من « أيا » ، وفيه « النقاد » بدل من « النقا »، وفيه « أأنت » بدل من « آأنت » .

(٦) نبر الحرف ينبره : همزه . القاموس « ن ب ر » .

عندهم أخف من النبترة ويروى بيت ذى الرُّمة :

أعن ترسَّمْتَ من خرقاءَ منزلةً ... مآءُ الصَّبابة من عينيك مسحوم

يريد : أأن . وقال أيضًا فيما لا استفهام به :

فعيناكَ عيناها وجِيدُك جِيدُها ... وثغَــرك[1] إلاَّ عنَّها غير عاطِلِ

يريد : إلا أنهــا . وهذه التى يقال لهــا عنعنة تميم ، ومن الرواة من يروى هذا البيت :

فعَيناشُ عيناها وجَيدُش جِيدها ... وثغرش إلا عنهــا غير عاطِلِ

وتسمى كشكشة سليم ، وهو إبدال كاف المخاطبة شينًا .

« الله فـيه ثلاثة أسـماء اليـاء والكاف المتصلتـان بالسين لله ، واليـاء والكاف المتصلتان بالهاء لرسول الله ﷺ ، والهاء والميم للكفار »[2] .

فصل

الأمثال حكمةُ العرب ، وفى القـرآن ثلاثة وأربعون مثلاً ، وكم من كلمة تدور على الألسنة مثلاً جاء القرآن بألخص منها وأحسن .

فمن ذلك قولهم : القتل أنفى للقـتل . مذكور فى قوله تعالى : ﴿ **ولكم فى القصاص حياة** ﴾ [سورة البقرة : ١٧٩] .

وقولهم : ليس المُخْبَرُ كـالمعاين . مذكور فى قـوله تعالى : ﴿ **ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ [سورة البقـرة : ٢٦٠] . وقولهم : ما تزرع تحصد . مـذكور فى قوله تعالى: ﴿**من يعمل سوءًا يُجز به** ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . وقولهم : للحيطان آذان . مذكور فى قوله تعالى : ﴿**وفيكم سماعون لهم** ﴾ [سورة التوبة: ٤٧] .

وقولهم : الحمية رأس الدواء . مذكور فى قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] .

---

(١) فى الأصل عقبها كلمة كأنها : « فا » ، والبيت بدونها .

(٢) ما بين قوسى التنـصيص كذا وقع فى الأصل ، ولعل فى الكلام سقطًا تقـديره : قوله تعالى : ﴿**فسيكفيكهم الله**﴾، وعليه فيكون الصواب: « والياء والكاف المتصلتان بالفاء » . والله أعلم .

وقولهم : احذر شر من أحسنت إليـه . مذكور فى قوله تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ [سورة التوبة : ٧٤] .

وقولهم : من علامة المدبر أن ينتظر المقـبل أن يدبر . مذكور فى قوله تعالى : ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ [سورة النساء : ٨٩] .

وقولهم : من جهل شيئًا عـاداه . مذكور فى قوله تعالى : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾ [سورة يونس : ٣٩] .

وقولهم : خيـر الأمور أوساطها . مذكـور فى قوله تعالى : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ﴾ [سورة الإسراء : ٢٩] .

وقولهم : من أعـان ظالمًا سلطه الله عليه . مذكور فى قـوله تعالى : ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله** ﴾ [سورة الحج : ٤] .

وقولهم : لا تلد الحـية إلا حيـة . مذكور فى قـوله تعالى : ﴿ **ولا يلـدوا إلا فاجراً كفاراً** ﴾ [سورة نوح : ٢٧] .

فصول من الوجوه والنظائر /

١٣/أ

فصل

الباء تذكر فى القرآن بمعنى اللام : ﴿ **وإذ فرقنا بكم البحر** ﴾ [سورة البقرة : ٥٠] . وبمعنى عند : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ [سورة آل عمران : ١٧] . وبمعنـى فى : ﴿ **بيدك الخير** ﴾ [سـورة آل عـمـران : ٢٦] . وبمعنى بعـد : ﴿ **فأثابكم غمًا بغم** ﴾ [سورة آل عـمران : ١٥٣] . وبمعنى على : ﴿ **لو تسوى بهـم الأرض** ﴾ [ســورة النســاء : ٤٢] . وبمعنى صـلة : ﴿ **فامسحوا**[١] **بوجوهكم** ﴾ [سورة النساء : ٤٣ ، والمائدة : ٦] . وبمعنى المصـاحبة : ﴿ **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** ﴾ [سـورة المائدة : ٦١] . وبمعنى إلى : ﴿ **ما سبقكم بها** ﴾ [سورة الأعراف : ٨٠ ، والعنكبـوت : ٢٨] . وبمعنى السبب : ﴿ **والذين هم به مشركون** ﴾ [سـورة النحل : ١٠٠] . وبمعنى عن : ﴿ **فاسأل به خبيرًا** ﴾ [سـورة الفرقـان : ٥٩] . وبمعنى مع : ﴿ **فتولى بركنه** ﴾ [سورة الذاريات : ٣٩] . أى : مع جنده . وبمعنى من : ﴿ **عينًا يشرب بها عباد الله** ﴾ [سورة الإنسان : ٦] .

فصل

الحق بمعنى الجُرْم : ﴿ **ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ [سورة البـقرة : ٦١] . وبمعنى البيان : ﴿ **الآن جـئت بالحق** ﴾ [سـوة البقـرة : ٧١] . وبمعنى المال : ﴿ **وليملل**[٢] **الذى عليه الحق** ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] . وبمعنى القرآن : ﴿ **فقد كذبوا بالحق** ﴾ [سورة الأنعام : ٥] . وبمعنى الصدق : ﴿ **قوله الحق** ﴾ [سورة الأنعـام : ٧٣] . وبمعنى العـدل : ﴿ **وبين قـومنا بالحق** ﴾ [سورة الأعراف : ٨٩]. وبمعنى الإسـلام : ﴿ **ليحق الحق** ﴾ [سـورة الأنفــال : ٨] . وبمعنى المنجـز : ﴿ **وعدًا عليه حقًا** ﴾ [سورة التوبة : ١١١] . وبمعنى الحاجة : ﴿ **ما لنا فى بناتك من حق** ﴾ [سـورة هود : ٧٩] . وبمعنى لا إله إلا الله : ﴿ **له دعوة**

---

(١) فى الأصل : « وامسحوا » خطأ .

(٢) فى الأصل : « فليملل » خطأ .

الحق ﴾ [ســورة الرعــد : ١٤] . ويـراد به الله تعــالى : ﴿ ولو اتبع الحـق أهواءهم﴾ [سـورة المؤمنون : ٧١] . وبمعنى التـوحـيد : ﴿ وأكثـرهم للحق كارهون ﴾ [ســورة المـؤمنون : ٧٠] . وبمعـنى الحظ : ﴿ فى أمـوالهم حق معلوم﴾ [سورة المعارج : ٢٤] .

فصل

الخير يراد به القرآن : ﴿ أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ [سورة البقرة : ١٠٥] . ويراد به الأنفع : ﴿ نأت بخير منها ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] . ويراد به المال : ﴿ إن ترك خيراً الـوصية ﴾ [سورة الـبقرة : ١٨٠] . ويراد بـه ضد الشر: ﴿ بيدك الخير ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] . ويراد به الإصلاح : ﴿يدعون إلى الخير ﴾ [سورة آل عـمران : ١٠٤] . ويراد به الولد الصالح : ﴿ ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ [سورة النساء : ١٩] . ويراد به العافية : ﴿ وإن يمسسك بخير ﴾ [سـورة الأنـعـام : ١٧] . ويكون بمعنـى النافع : ﴿ لاستكـثرت من الخير﴾ [سـورة الأعـراف : ١٨٨] . وبمعنى الإيمـان : ﴿ ولو علم الله فـيهم خيراً﴾ [سورة الأنفـال : ٢٣] . وبمعنى رخص السِّعر : ﴿ إنى أراكم بخير ﴾ [سورة هود : ٨٤] . وبمعنى النوافل : ﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات ﴾ [سورة الأنبيـاء : ٧٣] . وبمعنى الأجر : ﴿ لكم فيها خير ﴾ [سـورة الحج : ٣٦] . وبمعنى الأفضل : ﴿ وأنت خير الراحمين ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠٩ ، ١١٨] . وبمعنى العفّة : ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ [سورة النور : ١٢]. وبمعنى الصلاح : ﴿ إن علمتم فيـهم خيراً ﴾ [سـورة النـور : ٣٣] . وبمعنى الطعام : ﴿ إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ [سورة القصص : ٢٤] . وبمعنى الظفر : ﴿ لم ينالوا خيراً ﴾ [سورة الأحـزاب : ٢٥] . وبمعنى الخيل : ﴿ إنى أحببت حب الخير ﴾ [سورة ص : ٣٢] . وبمعنـى القوة : ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ [سـورة الدخان : ٣٧] . وبمعنى حسن الأدب : ﴿ لكان خيـراً لهم ﴾ [سورة مـحمد : ٢١] . وبمعـنى الدنيا : ﴿ وإنه لحب الخيـر لشديد ﴾ [سورة العاديات : ٨] .

فصل

« فى » تكون بمعنى الظرف : ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ [سورة البقرة : ٢] وبمعنى نحو : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** ﴾ [سورة البقرة : ١٤٤] وبمعنى الباء : ﴿ **فى ظلل** ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] . وبمعنى إلى : ﴿ **فتهاجروا فيها** ﴾ [سورة النساء : ٩٧] . وبمعنى مع : ﴿ **ادخلوا فى أمم** ﴾ [سورة الأعراف : ٣٨] . وبمعنى عند : ﴿ **وإنا لنراك فينا ضعيفًا** ﴾ [سورة هود : ٩١] . وبمعنى عن : ﴿ **أتجادلوننى فى أسماء سميتموها** ﴾ [سورة الأعراف : ٧١] . وبمعنى على : ﴿ **فى جذوع النخل** ﴾ [سورة طه : ٧١] . وبمعنى / اللام : ﴿**وجاهدوا فى الله** ﴾ [سورة الحج : ٧٨] . وبمعنى من : ﴿ **يخرج الخبء فى السموات** ﴾ [سورة النمل : ٢٥] . ‎/١٣

فصل

اللام فى القرآن على ضربين : مفتوحة ، ومكسورة .

فالمفتوحة ترد بمعنى التوكيد : ﴿ **إن إبراهيم لحليم** ﴾ [سورة هود : ٧٥] . وبمعنى القسم : ﴿ **ليقولن ما يحبسه** ﴾ [سورة هود : ٨] . وزائدة : ﴿ **ردف لكم** ﴾ [سورة النمل : ٧٢] .

والمكسورة ترد بمعنى الملك : ﴿ **لله ما فى السموات** ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٤]. وبمعنى أن : ﴿ **ليطلعكم على الغيب** ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٩] . وبمعنى إلى: ﴿ **هدانا لهذا** ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] . وبمعنى كى : ﴿ **ليجزى الذين آمنوا** ﴾ [سورة الروم : ٤٥ ، وسبأ : ٤] . وبمعنى على : ﴿ **دعانا لجنبه** ﴾ [سورة يونس : ١٢] . وصلة : ﴿ **إن كنتم للرؤيا تعبرون** ﴾ [سورة يوسف : ٤٣] . وبمعنى عند : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن** ﴾ [سورة طه : ١٠٨] . وبمعنى الأمر : ﴿ **ليستأذنكم** ﴾ [سورة النور : ٥٨]. وبمعنى العاقبة : ﴿**ليكون**(١) **لهم عدوًا** ﴾ [سورة القصص : ٨] . وبمعنى فى : ﴿ **لأول**

---

(١) فى حاشية الأصل : « وقال صاحب الكشاف : هى لام كى التى معناها التعليل » .

الحشر ﴾ [سورة الحشر : ٢] . وبمـعنى السبـب والعـلة : ﴿ **إنما نطعـمكم لوجه الله** ﴾ [سورة الإنسان : ٩] .

فصل

روى فضالة بن عبيد عن النبى ﷺ أنه قال : « **من قرأ ثلاثمائة آية يقول الجبار: قد نَصِبَ**[1] **عبـدى فِىَّ** » . فمن أراد أن يقـرأ سورتين يجمع فـيهمـا ثلاثمائة آية فـإنهـما البـقـرة والصف ، والأنعـام وطه ، والمؤمنون والصـافات ، والـشعـراء والأحزاب . ومن لم يُحسن فليقرأ سورة الكوثر مائة مرة .

---

(١) النصب : التعب . النهاية (٥ / ٦٢) .

الباب الثالث

فيه طُرَفٌ ونُتَفٌ وأسْوِلَةٌ

عاش آدم ألف سنة ، وولدت له حوى عـشرين بطنًا فى كل بطن ذكر وأنثى ، ولم يمت حـتى رأى من ولده وولد ولده أربعـين ألفًا ، ثم انقـرض النسل وبقى أولاد نوح ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزَّنج ، ويافث أبو الروم والترك .

فصل

الأقاليم سبـعة : الأول : إقليم الهند ، والثانى : إقليم الحـجاز ، والثالث : إقليم مصر ، والرابع : إقليم بابل ، والخامس : إقليم الروم والشام ، والسادس: بلاد الترك ، والسابع : بلاد الصين .

ومقدار كل إقليم سبـعمائة فرسخ فى سبعمائة فرسخ ، والـبحر الأعظم محيط بالدنيا ، وجـبل قاف محيط بالبـحر ، وأوسط الأقاليم إقليم بابل ، وفيـه جزيرة العرب ، وهو سُرَّةُ الدنيا ، وبغداذ[1] وسط هذا الإقليم ، ولاعتداله اعتدلت ألوان أهله ، فـسلموا من شُقْرة الروم ، وسـواد الحبش ، وغلظ التـرك ، وجفـاء أهل الجبال ، ودمامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا فى الخِلقة لَطفُوا فى الفِطْنة .

فصل

وجميع ما عُرف من الجـبال مائة وثمانية وتسعون ، من أعجـبها جبل سَرَنْدِيب طوله مائتان ونيِّف وستون مـيلاً، وفيه أثر قدم آدم لما هبط، وفى واديه الماسُ الذى يثقب اللؤلؤ . وجبل الرَّدْم الذى فيه السُّد ، طوله سـبعمائة فرسخ ، وينتهى إلى البحر المظلم ، والبحار تستمد من البحر المحيط ، وفى الأرض سبعمائة مَعْدِن .

---

(١) كذا فى الأصل - بالذال المعجمة - وهى صحيحة .

فى القاموس « ب غ د » : « بَغداد وبغذاذ - بمهملتين ومعجمتين ، وتقديم كل منهما . وبَغدان وبغدين ومَغدان : مدينة السلام» .

فصل

١٤/أ قال الله تعالى : ﴿ وفى أنفسكم / أفلا تبصرون ﴾ [سورة الذاريات : ٢١]. انظر إليك ويكفى ، وتلمَّح ما لديك ويشفى ، تأمل فطرة قطرة من ماء صُبَّت عن اتِّقَاد نار الشهوة ، كيف ظهرت فيها عن حركات اللذة ، رقوم نقوش عقدتها يد القدرة ، كما تظهر الصورة فى ثوب السَّقْلاطُونى[١] عن حركات الشد ، وإذا كنت لم تر تقلبك فى البداية علمت بتقلب ولدك حالك .

إذا اجتمع الماء المنْخلِقُ منه الولد فأول الحالات أن يزيد ، فيظهر عن الزَّبَد النَّفْخ، فيندفع النفخ كله إلى وسط الرطوبة ، أعداد المكان القلب ، فالقلب أول عضو متلون ، ثم الدماغ ، ثم الكبد ، ثم يوماً يومًا إلى جميع الماء ، فيستحيل علقة ، ثم مضغة ، وفى تلك الحال يصير للأعضاء الرئيسة قدر مُحَسّ ، فيتنحَّى القلب عن الكبد ، ويبعد عنها الدماغ ، وتتخطط الأطراف ، فتصير لحمًا ، فكم من صَوْت بين أرجل هذه النُّقَل ، من تحريك جلاجل العبر فى خلاخل الفكر ؟! كلما رنَّت غنت ألسُن الهدى فى مغانى المعانى ، ولكن لا يسمع أطروش الشقوة .

وعظام البدن مائتان وأربعون سوى السِّمْسمانيَّة[٢] ، فمنها ما هو أساس للبدن يُبنى عليه كما تُبنى السفينة على الخشبة الأولى ، ومنها كالمجنِّ ، فالقحف جُنَّة للدماغ ، والتخيل فى مقدم الدماغ ، والفكر فى وسطه ،والذكر فى آخره ، وكما أن الذكر نعمة فالنسيان نعمة ؛ إذ لولاه ما سُلِى فقد ، ولا مات حقد .

فصل

والعين مركبة من عشرة أجزاء ، وهى سبع طبقات ، وثلاث رطوبات ، فالطبقات كقشور البَصَل إن أصاب بعضها آفة نابت الأخرى ، وإنما يكون البصر بالرطوبة الوسطى ، فهو يغتذى من الرطوبتين ، وخُلق الهُدْب ليدفع ما يطير إلى العين ، وخلق الأنف لينحصر فيه الهواء المستنشق لترويح الرئة والدماغ .

(١) سقلاطون : بلد بالروم ، ينسب إليه الثياب . القاموس « س ق ل ط » .

(٢) أى : الخفيفة . القاموس « س م م » .

واللسان آلة للنطق ولتقليب الممضوغ ، وجعل ماء الفم عَذْبًا ليطيب المطعم ، وماء الأذنين مرًّا ليرد الحشرات ، وماء العين مِلْحًا لئلا يذوب ؛ لأنهما شحمتان .

فصل

والأسنان اثنان وثلاثون : ثنيتان من فوق وثنيتان من تحت ، ورباعيتان من فوق ورباعيتان من تحت ، ونابان من فوق ونابان من تحت ، ثم الأضراس وهى عشرون ،من كل جانب من الفم خمسة ، فمنها الضواحك : وهى أربعة أضراس تلى الأنياب ، إلى جنب كل ناب من أعلى الفم وأسفله ضاحك . ثم بعد الضواحك الطواحن ويقال لها : الأرْحَا ، وهى اثنا عشر ، / من كل جانب ثلاثة. ثم يلى الطواحن النواجذ : وهى أربعة ، وهى آخر الأسنان من كل جانب من الفم ، واحد من فوق وواحد من أسفل . فالأنياب للكسر ، والرباعيات للقطع ، والأضراس للطحن .

١٤/ب

فصل

وخُلقت فى الأصابع عظام غير مجوفة ؛ ليكون أقوى على الأفعال والصَّدمات، وقُعِّرَ باطن الكف ؛ ليتمكن من قبض الأشياء .

فصل

والقلب قوى الذات ليكون أبعد للآفات ، وهو فى وسط الصدر ، وهو بيت النفس ، وقد أميل إلى اليسار يسيرًا ليبعد عن الكبد ، وله زائدتان كالخِزانتين يصل إليهما النسيم والدم ، فيؤديانه إليه بقَدَر ، والرئة وطاءٌ للقلب .

فصل

وللكبد عرقان ، أحدهما : يسمى الباب ، يَجْذب الغذاء إليها فتطبخه ، وتوجهه إلى البدن فى العرق الآخر : المسمى بالأَجْوف ، ثم يرسل المائية إلى الكليتين ، والرغوة الصفراوية إلى المرارة ، والرسوب السوداوى إلى الطحال .

فصل

وخلقت الأمعاء كثيرة التلافيف ؛ ليطول سير الغذاء فيها ، فلا يحتاج الإنسان إلى الغذاء فى كل وقت . وخلق القدم أخمص ليمسك ما يشبه الدرج . ثم قِوام هذا البدن بالنفس فلمَّا تمت الخلقة جاء راغب ﴿ **إن الله اشترى** ﴾ [سورة التوبة : ١١١] .

فصل

ومن نظر فى النبات زاد عجبه ، هذه الشجرة كلما طال فرعها امتدت فى الأرض عروقها ، ثم تحيا وتموت ، فتجمع بين العبرة وأمن الملل ، فهى عند عدم ثمرتها كالغائب ، فإذا همت بالقدوم بشَّر نور[1] النور .

تأمل الرمانة كيف حُشيت بالشحم بين الحب ؛ ليكون غذاء لها إلى وقت عُود المثل ، ثم بين كل حشوين لفافة ؛ لئلا تتصاك[2] فيجرى الماء .

وفى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر فينعقد مواد الثمر ، فيظهر فى الرَّبيع ويقوى حرُّ الشمس فى الصيف لإنضاج الثمار . والشمس دائمة المسير ليعم نفعها .

ولما كانت الحاجة ماسة إلى النار جعلت كالمخزون تُسْتَثَارُ وقت الحاجة ، ولو بُثت فى العالم أحرقته .

فصل

ومن تفكر فى الحيوانات أدركه الدَّهَشُ من حكمة الخالق سبحانه ، لما قُدِّر للطائر الطيران خُفِّف جسمه ، وجعل له جؤجؤ محدد يخترق به الهواء ، كما تخترق السفينة بجؤجئها الماء ، وكُسى الريش ليتداخله الهواء فيُقِلُّه ، ولما كان يختلس قوته خوف اصطياده صُلِّب منقاره ؛ لئلا ينسحج[3] من الالتقاط ، ونقص

---

(١) النَّور : الضياء . المعجم الوجيز (ص ٦٣٨) .

(٢) أى : تتدافع . المعجم الوجيز (ص ٣٦٧) .

(٣) أى : لئلا يتقشر . المعجم الوجيز (ص ٣٠٤) .

الأسنان ؛ لأن زمان الانتهاب لا يحتمل المضغ ، وجعلت / له حوصلة ينقل ١٥/أ إليها ، فإذا أمن دفعه إلى العانصة[1] فطحنته ، ولما بثَّ الطير صان السنبل بقشور محددة ؛ لئلا تنسفه الطير فتموت بشمًا[2] ، فيفوت الحطَّان .

والغِربان لا تقرب نخلة موقرة حَمْلاً ، فإذا جُذَّت تسابقن إلى ما يبقى منها ، كما يتسابق الفقراء إلى المحصود ، فإن رأيت من الطير مؤذيًا للتمر فذاك نادر كقطاع الطريق .

ولما جعل رزق طائر الماء من الماء طُوِّل ساقاه ، فهو يقيم فى ضَحضاح ، فإذا رأى صيداً خطا إليه ، ولو قصرت قائمتاه كان حين سعيه يضرب الماء ببطنه فينفر الصيد .

وليث الذباب يسكن كالميت ، فإذا غفلت عنه الذبابة وثب .

والنملة إذا عجزت عن حمل شىء إلى بيتها استعانت بجنسها فأعنَّها ، فإذا بلغت باب بيتها عُدن ورفَّهنه عليها تكرمًا عن الأجرة .

العصافير فيهم عصبية ، إذا وقع فرخ أحدها اجتمعوا حوله فعلموه الطيران .

خرطوم البعوضة ينفذ فى جلد الجاموس ، فتعتصم منه بماء النهر ، كما أن إبرة العقرب تنفذ فى الصُّفْر[3] .

الطاووس يلقى ريشه فى الخريف إذا ألقى الشجر ورقه ، فإذا اكتسى الشجر اكتسى .

السمك لا تتنفس لأنه لا رئة له .

الضفدع لا يمكنها أن تُصَوِّت حتى يغوص فكها الأسفل فى الماء .

قد ركب فى الجرادة خلقة سبعة جبابرة : رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر سَبُع ، وبطنها بطن عقرب ، وجناحها جناح نَسْر ، ورجلها

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) بشم من الطعام بشمًا : أكثر منه حتى اتخم وسئمه . المعجم الوجيز (ص ٥٢) .

(٣) نوع من النحاس . القاموس « ص ف ر » .

رجل جمل ، وذنبها ذنب حية .

وكل أسك[١] يبيض ، وكل مشرف الأذنين يلد .

فصل

من العجب أن الطير إذا انشق بيضها عن الفراخ علمت أن حوصلة الفرخ لا تحتمل الغذاء ، فتنفخ الريح فى حلقه لتتسع الحوصلة ، ثم تعلم أن الحوصلة تفتقر إلى دفع وتقوية فتأكل من صاروج[٢] الحيطان - وهو شىء فيه مُلوحة كالسبخ - ثم تزقه ، فإذا قويت الحوصلة زقَّته الحبَّ ، فإذا استقل باللقط ثم طلب الزَّقَّ ضربته بالأجنحة ، ولما كان الطائر يحتاج إلى زق فراخه لم يحمل عليه إلا تدبير بيضتين، ولما كانت الدجاجة لا تزق حضنت بيضًا كثيرًا .

فصل

وقد خلق الله سبحانه فى الطير قوة ذِكرية يذكر بها الأوكار والأعشاش ، ورأفة طبيعية تزقُّ بها الفراخ ، فلو منحها الذِّكرَ دون الحنو لما زقت ، ولو منحها الحنو دون الذكر ضاعت أعشاشها منها ، فهلك الفراخ .

فصل

لما كان التمساح مختلف الأسنان صار كلما أكل حصل بين أسنانه ما يؤذيه ، فيخرج إلى شاطئ البحر فاتحًا فاه طالبًا للراحة ، فيأتى طائر فينقر ما بين أسنانه ، فيكون / ذلك رزقًا للطائر وترويحًا عن التمساح ، وربما ضم فاه على الطائر فهلك ، فلذلك يقول الناس فيمن عمل جميلاً فكوفئ بقبيح : هذه مكافأة التمساح .

١٥/ب

فصل

الخُلْدُ دويبة عمياء ، قد ألهمت وقت الحاجة إلى القوت أن تفتح فاها ، فيدخل الذباب فيه ، فتتناول منه .

---

(١) أى : صغير الأذنين . المعجم الوجيز (ص ٣١٦) .

(٢) هو النُّورة وأخلاطها ، معرَّب . القاموس « ص ر ج » .

الفهد على جباسة[1] خُلقه يصاد بالصوت الحسن ، ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات فلم يدركه غضب على نفسه .

لما عزت نفس الببَّغاء زاحمت الآدميين فى النطق ، وشابهتهم فى تناول مطاعمهم بيدها ، فالعجب لبهيم يتشبه بإنسان ، ولإنسان يتشبه بالبهيم .

(١) الجِبس : الجامد الثقيل الروح . المعجم الوجيز (ص ٩١) .

فصول فى علم الحديث

فصل

آخر من مات من أهل العقبة جابر بن عبد الله بن عمرو ، ومن أهل بدر أبو اليَسَر ، ومن المهاجرين سعد بن أبى وقاص ، وهو آخر العشرة موتًا ، وآخر من مات بمكة من الصحابة ابن عمر ، وبالمدينة سهل بن سعد ، وبالكوفة عبد الله بن أبى أوفى ، وبالبصرة أنس ، وبمصر عبد الله بن الحارث بن جَزء ، وبالشام عبد الله بن بُسر ، وبخراسان بُريدة ، وآخر الناظرين إلى رسول الله ﷺ موتًا أبو الطفيل عامر بن واثلة .

فصل

أول ما خلق الله القلم ، أول جبل وضع فى الأرض أبو قبيس ، أول مسجد وضع المسجد الحرام ، أول ولد آدم قابيل ، أول من خط[1] وخاط إدريس ، أول من اختتن إبراهيم[2] ، أول من دخل الحمام سليمان ، أول من سن الدية مائة من الإبل عبد المطلب ، أول من قطع فى السرقة فى الجاهلية وقضى بالقسامة وخلع نعليه عند دخول الكعبة : الوليد بن المغيرة ، أول من قضى فى الخنثى من حيث

---

(١) قال ابن عباس : الخط هو الذى يخطه الحازى ، وهو علم قد تركه الناس ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانًا ، فيقول له : اقعد حتى أخط لك ، وبين يدى الحازى غلام له معه ميل ، ثم يأتى إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطًا كثيرة بالعجلة ؛ لئلا يلحقها العَدَد ، ثم يرجع فيمحو منها على مَهَل خطَّين خطَّين ، وغلامه يقول للتفاؤل : ابنَى عيان أسرعا البيان ، فإن بقى خطان فهما علامة النُّجح ، وإن بقى خط واحد فهو علامة الخيبة .

وقال الحربى : الخط هو أن يخط ثلاثة خطوط ، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ويقول : يكون كذا وكذا . وهو ضرب من الكهانة .

قال ابن الأثير : الخط المشار إليه علم معروف ، وللناس فيه تصانيف كثيرة ، وهو معمول به إلى الآن ، ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأسامٍ وعمل كثير ، ويستخرجون به الضمير وغيره ، وكثيراً ما يصيبون فيه . انتهى بحروفه من النهاية (٢ / ٤٧) .

(٢) فى حاشية الأصل : « قال القرطبى : أجمع العلماء على أن أول من اختتن إبراهيم. اهـ. » .

يبول عامر بن الظرِب ، أول عربى قسم للذكر مثل حظ الأنثيين عامر بن جُشم ، أول من أذَّن بلال ، أول من بنى مسجدًا فى الأرض عمار ، أول من سل سيفًا فى الإسلام الزبير ، أول شـهيد فى الإسلام سمـيَّة ، أول من أوصى بثلث ماله البراء ابن معـرور ، أول من دفن بالبقيع عـثمان بن مظعـون ، أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلى ، أول من نقط المـصاحف يحيى بن يَعْمَرَ ، أول من تفـقدون من دينكم الأمانة ، أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ، أول من تنشق عنه الأرض نبينا ، وهو أول من يقرع باب الجنة ، وهو أول شافع وأول شفيع .

فصل

من المنسـوبين إلى أمـهاتهم بلال ابن حَمَامَة واسم أبـيه رباح ، ابن أم مكتـوم واسم أبيه عـمرو ، بشـير ابن الخَصَاصـيَّة واسم أبيه مَعْبَد ، الحـارث ابن البَرَصا واسم أبيه مـالك ، خُفاف ابن ندبة واسم أبيه عمـير ، سعد ابن حَبْتـة واسم أبيه نحير ، شرحبيل ابن حَسنة واسم / أبيـه عبد الله ، عبد الله ابن بُحَينة واسم أبيه مالك ، مـالك ابن نميلة واسم أبيه ثابت ، مـعاذ ومـعوِّذ ابنا عفـرا واسم أبيهـما الحارث ، يعلى ابن سبابة واسم أبيه مُرة ، يعلى ابن منية واسم أبيه أمية ، وهؤلاء كلهم صحابة .

١٦/أ

فصل

مضر بن نِزار حـيَّان وهما : خِنْدف ، وقيس . فأما خندف فـهى امرأة إلياس ابن مضـر ، نُسب ولد إلياس إليـها وهى ولَدَتهم . فأمـا قيس فـهو ابن الناس - بالنون - بن مـضر ، فمن قـبائل خندف قـريش ، واسمـه النضر[1] بن كنـانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

فصل

أحمد فى الأسمـاء كثير ، وأجمد بن عـجيَّان شهد فتح مصـر . أنس كثير ، وآتَش جد محمد بن الحسن بن آتش الصنعانى. بشر كثير ، وبُسر بن أبى أرطاة ،

---

(١) كتبت فى الأصل بالظاء المشالة من فوق هكذا : « النظر » .

ويَسَر أبو اليَسر صحابيان ، ويُسْر بن أنس متأخر ، ونَسْرُ قاضى كرمان ، ونَشر : محمد بن نشر الكوفى . خُبيب وجُبَيب صحابيان ، وحبيب بن النعمان وحُبَيِّب أخو حمزة ، خُنَيْس بن حذافة ، ووهب بن خَنْبس ، وحُبَيْش بن خالد ، صحابة، وحبيس[1] بن عائذ مصرى .

ومن الأسماء الظريفة : مسدّد بن مُسرهد بن مُسربل بن مغربل بن مطربل بن أرندل بن سرندل بن غَرندل بن ماشك بن المستورد الأسدى .

فصل

الأَسِيدى أبو خالد من آل أسِيْد بن أبى العيص ، والأُسيْدى حريث بن مالك ، والأُسيِّدى حَنظلة بن الربيع ، والأسبنى[2] عبد الله بن دارم .

البابى زهير بن نعيم ، والبانى موسى بن عبد الملك ، والثاتى إبراهيم بن يزيد، والثائى كريب بن سعد .

البجَلى جرير بن عبد الله ، والبجْلى عمرو بن عَبَسة ، والنَّخَلى أبو هند ، والنِّحْلى عامر بن سَيَار ، والنحْلى عبد الله بن منيح .

البنانى ثابت ، والبتَّاتى أحمد بن جابر ، والبيَّانى قاسم بن أصبغ ، والتيانى أبو تمام اللغوى ، والتُّبانى الحسين بن أحمد ، والنباتى محمد بن سعيد الأندلسى، والنُّباتى أبوعامر الواعظ .

الجُرُجانى منسوب إلى جُرجان ، والخُرجانى زياد بن محمد ، والخُرخانى أبو جعفر الفرائضى ، والجُوخانى يزيد بن زيد ، والجوَّخانى أبو عمرو الفراتى .

العَبْسى حذيفة والكوفيون ، والعَنْبسى عمَّار والشاميون ، والعَيْشى الصَّعو بن حَزن والبصريون .

فصل

فى السنة الأولى من الهجرة آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ،

---

(١) لعله هكذا ؛ فإن الياء - التحتية - غير منقوطة فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل - بالباء الموحدة - .

١٦/ب وفى الثانية حُولت القلبة ، / وفى الثالثة ولد الحسن ، وفى الرابعة ولد الحسين ، وفى الخامسة نزل الحجاب ، وفى السادسة تكلم أهل الإفك ، وفى السابعة غزاة خيبر ، وفى الثامنة فتح مكة ، وفى التاسعة بعث عليًّا ببراءة ، وفى العاشرة حج حجة الوداع ، وفى الحادية عشر توفى ﷺ .

فصل

من العجائب : امرأة شهد لها بدرًا سبعة بنين مسلمين ، وهى عفرا بنت عبيد، تزوجها الحارث بن رفاعة فولدت معاذًا ومعوذًا ، ثم تزوجها بُكيرٌ فولدت له إياسًا وخالدًا وعاقلاً وعامرًا ، ثم رجعت إلى الحارث فولدت له عوفًا(١) ، فشهدوا كلهم بدرًا مسلمين .

ومن هذا الجنس امرأة كان لها أربعة إخوة وعَمَّان شهدوا بدرًا ، فأخَوان وعَمٌّ مع رسول الله ﷺ ، وأخَوانِ وعمٌّ مع المشركين ، وهى هند بنت عتبة بن ربيعة ، فالأخوان المسلمان : أبو حذيفة بن عتبة ، ومصعب بن عمير . والعمُّ المسلم معمر بن الحارث . والأخوان المشركان : الوليد بن عتبة ، وأبو عزيز . والعمُّ المشرك شيبة بن ربيعة .

فصل

ومن العجائب : ثلاثة كانوا بنى عم فى زمن واحد ، كل واحد اسمه على ، ولهم ثلاثة أولاد كل واحد اسمه محمد ، والآباء والأبناء أشراف ، وهم على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وعلى بن عبد الله بن العباس ، وعلى بن عبد الله بن جعفر .

ومن العجائب : أربعة إخوة بين كل واحد وواحد عشر سنين ، وهم أولاد أبى طالب ، فطالبٌ أسنُّ من عَقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من على بعشر سنين .

---

(١) فى حاشية الأصل : « أو عوذًا كما قاله النووى والعراقى والقاضى زكريا . » وفوقها فى الحاشية كذلك - بخط مغاير - كأنها : « ما فى الأصل حسن » .

فصل

فى أحاديث مشتبهة الرواة

روى عطاء عن أبى هريرة قال : فى كل الصلاة قراءة ، فما أسمعَنا رسول الله ﷺ أسمعناكم ، وما أخفى علينا أخفينا عليكم[١] .

وروى عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يجتمع حُب هؤلاء الأربعة إلا فى قلب مؤمن : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى** »[٢] .

وروى عطاء عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة** »[٣] .

وروى عطاء عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ **سجد فى اقرأ** باسم ربك[٤] .

وروى عطاء عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مضى ثلث الليل يقول الله - عز وجل - : ألا داعٍ يُجاب** »[٥] .

١٧/أ عطاء الأول / هو ابن أبى رَبَاح ، والثانى الخراسانى ، والثالث ابن يسار ، والرابع ابن مِيْناء ، والخامس مولى أم صُبيَّة .

حديث آخر : روت عمرة عن عائشة قالت : لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما مُنعته نساء بنى إسرائيل[٦] .

وروت عمرة أنها دخلت مع أمها على عائشة فسألتها ما سمعتْ من رسول الله ﷺ يقول فى الفرار من الطاعون ؟ قالت : سمعته يقول : « **كالفرار من الزحف** »[٧] .

---

(١) أخرجه البخارى (١ / ١٩٥) ح (٧٧٢ - فتح) ، ومسلم ح (٣٩٦) برقم فرعى (٤٢).
(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٤٦٤) .
(٣) أخرجه مسلم ح (٧١٠) برقم فرعى (٦٣) .
(٤) أخرجه مسلم ح (٥٧٨) برقم فرعى (١٠٨) .
(٥) أخرجه أحمد فى المسند (١ / ١٠٢) ، والدارمى (١٤٩٢) .
(٦) أخرجه البخارى (١ / ٢١٩) ح (٨٦٩ - فتح) ، ومسلم ح (٤٤٥) برقم فرعى (١٤٤) .
(٧) أخرجه أحمد فى المسند (٦ / ٨٢ ، ٢٥٥) .

وروت عمرة قالت : خرجت مع عائشة ، فرأينا المصحف الذى قُتل عثمان وهو فى حجره ، فكانت أول قطرة قطرت على قوله تعالى : ﴿ **فسيكفيكهم الله**﴾[1] [سورة البقرة : ١٣٧] .

وروت عمرة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الوصال[2] .

عمرة الأولى هى بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والثانية بنت قيس العدوية ، والثالثة بنت أرطاة ، والرابعة يقال لها الطَّاحيَّة .

فصل

أنس بن مالك فى الحديث خمسة ، أسامة بن زيد ستة ، جابر بن عبد الله سبعة ، الخليل بن أحمد خمسة ، سعيد بن المسيب ثلاثة ، عبد الرحمن بن مهدى اثنان ، عبد الله بن المبارك ستة ، عمر بن الخطاب سبعة ، عثمان بن عفان اثنان ، على بن أبى طالب تسعة ، عمران بن حُصين أربعة ، قتيبة بن سعيد ثلاثة، الليث بن سعد اثنان ، مسلم بن يسار ستة ، مقاتل بن سليمان[3] ، مالك ابن أنس اثنان ، فضيل بن عياض اثنان ، يحيى بن معاذ ثلاثة ، يوسف بن عطية ثلاثة، يوسف بن أسباط ثلاثة، أبو عمران الجَونى اثنان، أبو بكر بن عياش ثلاثة.

فصل

إن قيل : لِمَ دخلت الفاء فى قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا لقيا غلامًا فقتله** ﴾ [سورة الكهف : ٧٤] . ولم تدخل فى قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها** ﴾ ؟ [سورة الكهف : ٧١] .

فالجواب : أنه حين لقيه قتله ، ولم يخرقها حين نزل .

إن قيل : ما وجه قوله تعالى : ﴿ **تغرب فى عين حمئة** ﴾ [سورة الكهف : ٨٦] . والشمس أكبر من الأرض ؟ .

فالجواب : أن تلك العَيْن لم يكن بعدها بنيان فرآها تغرب فيها ، كما يرى

---

(١) أخرجه أحمد فى فضائل الصحابة ح(٨١٧)(١/٥٠١)، وابن عبد الغنى فى التقييد (١/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ح (٤٣٦٧) .

(٣) فى الأصل عقبها بياض .

راكب البحر الذى لا يرى طرفَيْه عند غروب الشمس أنها تغرب فى الماء ، يدل على هذا أن الشمس فى السماء الرابعة ، ولولا عظمها ما رأيناها ، ألا ترى أن طائرًا لو بَعُد عنا قدرَ ألف ذراع لم نره ، فكيف وبيننا وبين السماء خمسمائة سنة؟! .

١٧/ب **إن قيل** : لما قال فرعون : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ / [سورة الشعراء : ٢٣] . كيف أجابه بقوله : ﴿ **رب السموات** ﴾ ؟ [سورة الشعراء : ٢٤] .

فالجواب : أن لفظة : « ما » تستخلص الماهية من الأجناس والأنواع ، والخالق سبحانه ليس بداخل تحت جنس فيكون نوعًا ، ولا تحت نوع فيكون شخصًا ، فلما بطل عمل « ما » أجابه بمَنْ ، وصار هذا كقول القائل : من فى الدار ؟ وليس فى الدار ما يقع عليه « مَنْ » ، فيجاب بما فيها مما يقع عليه « ما » فوصفه بأفعاله التى ظهرت إضافة تعريف ، ولو أن قائلاً يقول : آدم ابن مَنْ ؟ لحُسن أن يقال : هو أبو شيث .

فإن قيل : ما فائدة قول موسى ﴿ **فأرسله معى رِدءًا يصدقنى** ﴾ [سورة القصص : ٣٤] . وأى شىء ينفعه عند فرعون تصديق هارون ؟ .

فالجواب : ليس المراد أن يقول صدقت ، إنما المراد أن هارون بفصاحته وبلاغته يبسط الكلام ويجادل ، فيكون ذلك تصديقًا لموسى .

إن قيل : ما معنى ذكر العلم فى قوله تعالى : ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ [سورة يس : ٧٩] . وقوله تعالى : ﴿ **أوَ ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾ [سورة يس : ٨١] . فذكر العلم فى الموضعين وكان ذكر القدرة أوقع ؟! .

فالجواب : أنه لما كانت اللُّحْمَان تنتقل بالأكل من حيوان إلى حيوان ، وتختلط الجواهر بالجواهر ، وكان ذلك أكبر شُبَه القوم حين قالوا : ﴿ **أءذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد** ﴾ [سورة السجدة : ١٠] . فرأوا أن الحيوانات تَأْكل وتؤكَلُ فاستبعدوا إدراك العلم تمييز ما تفرق من الجواهر ، وإحاطة القدرة برد

المتفرق ، فوصف نفسه بعلم ما تفرق من الأجسام والجواهر بقوله : ﴿ **وهو بكل شيء عليم** ﴾ [سورة البقرة : ٢٩] . وبقوله : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ [سورة ق : ٤] .

ومن علم قدر ما يؤكل ويتفرق علم أين يذهب ، وقدر على إعادة الذاهب ، وقال : ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ [سورة يس : ٧٩] . فجمع فى هذه الآية بين القدرة على الإعادة ، والعلم بتمييز الأجزاء المختلطة .

ولما كان البِلى واختلاط الأجسام ينافى فى العادة العود ذكر وجود النار فى الشجر الأخضر ، وقد قيل : ما من شجرة إلا وفيها نار إلا شجرة العنَّاب ، ولهذا يتخذ منها كُذنِيّعات القصَّارين .

إن قيل : لما قال المشركون : ﴿ **وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا الأولين** ﴾ [سورة الدخان : ٣٥ ، ٣٦] . كيف صَلُح أن يكون الجواب : ﴿ **أهم خير أم قوم تبع** ﴾؟ [سورة الدخان : ٣٧] .

فالجواب : أنهم لما أنكروا البعث وسألوا فى الدليل / عليه إحياء الآباء ، كان ذلك جهلاً منهم من أربعة أوجه : ١٨/أ

أحدها : أنهم قدروا من الآيات الدالة على البعث نطقًا وتنبيهًا ما يكفى ، فلم يبق عندهم إلا التعنُّت ، أوَليس النشأة الأولى تكفى دليلاً على القدرة على البعث؟! ومن أحْيا الأرض بماء المطر ، وأخرج الحبَّ العَفِن من تحت التراب يهتز خَضِرًا ، وأبرزَ ناقة من صخرة ، وثعبانًا من عصا ، وفرّوجًا من بيضة ، وولدًا من بطن ، وكل ذلك قبور مبعوثة ، قادر على بعث الموتى .

والثانى : أن الدليل على الشىء لا يكون نفس الشىء ، والقوم طلبوا الدليل على الإعادة بالإعادة .

والثالث : أنه إن لم يُعِد الآباء فقد أوجد الأبناء ، والخَلْق للأبناء من مواد تجرى مجرى الرِّمم تدل العقل بوجودها على ما لم يوجد ، فقولهم : ﴿ **فأتوا بآبائنا** ﴾ [سورة الدخان : ٣٦] . معناه : عجلوا لنا القيامة ؛ لأن إعادة الآباء هو عين

القيامة ، لا دليل وجودها ، فحسُن أن يكون جوابهم : إنى قد أهلكت من تنطع قبلكم وغفل عن إعمال أدلة العقول ، فاحذروا .

والرابع : أن الإعادة إنما تكون للجزاء ، والجزاء يكون فى الآخرة لا فى الدنيا، ثم قد جاء جواب سؤالهم بعد ذلك ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما** ﴾ الآيات [سورة الدخان : ٣٨] . فبين أنه لم يخلق ذلك إلا للدليل على القدرة ، ولولا البعث والجزاء كان الخلق عبثًا ، وإذا كنتُ لم أخلقْ ما خلقت لكم من السماء والأرض وغيره عبثًا ، أفأخلقكم أنتم وأنتم محل معرفتى وتكليفى وخطابى عبثًا ؟! كلا والله ما زجرتكم عن شهواتكم ثم رميتكم فى القبور إلا لأبعثكم وأجازيكم ، ولولا ذلك كان فعلى عبثًا وأنا منزه عن العبث .

إن قيل : ما فائدة قوله تعالى : ﴿ **يتنازعون فيها كأسًا** ﴾ [سورة الطور: ٢٣] . وفى التنازع نوع مخاشنة ؟ .

فالجواب : إن فى المنازعة دِلالة شوق إلى الكأس ، ومتى وقع الشوق إلى المتناول كان أشهى .

فإن قيل : ففى الشوق نوع نُغْصة إلى أن يحصل المشوق .

فالجواب : أن النغصة إنما تقع فيما يخاف فوته لا فيما يُتيقن حصوله .

فصل

قلت يومًا : من لم يتطهر إلا بالماء فقبلته الحائط ، ومن كانت طهارته تنقية القلب من الآفات ، فقبلته الوحدانية .

وقلت : مراكب الوَجْد واقفة تنتظر أنفاس الصّعداء ؛ فإذا هبّت ألقتْها إلى بلد الوصل.

وقلت : العُبَّاد بالليل يَهذُّون القراءة ويَسيرون ، وأما أهل المحبة فمعهم خِيَمٌ كلما لاح لهم معنى ضربوا خيمة / وأقاموا . ١٨/ب

وقلت : إذا انتهت شفاعة الشافعين قال الحق سبحانه : بقيت رحمتى . فيخرج خلقًا من النار ، وذلك أن مناقيش الشفاعة خَلَّصَتْ ما أمكنها من ذرّات التفريط ،

فأقبل زئبق الرحمة فألف شَمْلَ خفيَّاتٍ أعجزت صائغ الشفاعة .

وحكيت عن أبى محمد الجويرىّ قال : غسّلتُ فتحَ بن شخرف ، فرأيت على فخذه مكتوبًا : لله ،فذهبت أنظر فإذا به بين الجلد واللحم . **قلت** : أشعر الهوى بالوَقْفيَّة ليكُفَّ كفَّ التصرف .

وسأل سائلٌ : من أين دخلَتْ هذه الغـفلة ؟ **فقلت** : من باب المخالفـة ، فإذا رأت اليقظة تمكنها أعـرضَتْ . من تزوج حرة لها أنفة ، فـأقبلت إلى الدار فرأت مملوكةً ، رجعت من الباب .

وقلت : الظالم فى خَفَارَة[1] معاصى المظلوم ، كما أن مـانع الصدقة فى خفارة كذب السائل .

وقلت : كان الشِّبلى فى النزع وهو يقول :

إنَّ بيتًا أنْتَ ساكنهُ ... غيرَ مُحْتاجٍ إلَى السُّرُجِ

قوة المحبة برسام[2] حاد لا يُحَسُّ معه بالتلف .

وقلت : الهوى محنة إن مُدَّ فنزلة ، وإن قُصِر فنزول .

وقلت : كانوا يقولون : عـجائب بغداذ[3] ثلاثة حكايات : جعـفر الخوّاص ، وإشارات الشـبلى ، ونُكَت المرتَعش . وأنا قد أدخلت الثـلاثة الكير فـصارت فى مجلسى سبيكة ، وزِدْت النقشَ .

وقرئ بين يدى : ﴿ **إن المتقـين فى جنات ونهر** ﴾ [سورة القـمر : ٥٤] . **فقلت** : مسكن طيب ، ففى أى المحال هو ؟ قيل : ﴿ **فى مقعد صدق** ﴾ [سورة القمر : ٥٥] . **قلت** : من الجار ؟ قيل : ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ [سورة القمر : ٥٥] . **قلت** : الآن تمت الأمانى .

وسئلت عن قوله - عليه السلام - : « **لله فى كل يوم إلى عبده المؤمن ثلاثمائة وستون نظرة** » . **فقلت** : هذا عدد عظام الآدمى ، فإذا صلى ركعتين ، فكل عَظْم له فيها حركة ، فينظر إليه نظرة رضى بما فعل .

---

(١) أى : إجارة وحمى . المعجم الوجيز (ص ٢٠٤) .

(٢) البرسام : ذات الجنب ، وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة . المعجم الوجيز (ص ٤٥) .

(٣) تقدم أنها لغة صحيحة فى بغداد .

وقلت : يا خاطب الدنيا إنها لا ترضى بمهر سوى دينك ، فإن أمهرتها دينك نُقلت إليك فى جهازها الحِرصَ والطمع .

وقلت : الأولياء يستعملون العزائم ؛ لأنهم حضور ، وأنتم مع الرُّخَص ؛ لأنكم مسافرون عن الحضرة .

وسئلت : ما بال الكبير يعلم قرب الرحيل وأمله طويل ؟ **فقلت** : لو كُشف الغطاء عن العواقب مات الحرص والأمل ولهما أجل .

١٩/أ **قال قائل** : إنى لأقنع بالبُلْغة وفى باطنى شَرَهٌ . **فقلت** : لو قنعت ما وَهَنْتَ / دار القلب على شهوة وسَلَّمت كتبَ الأصل .

وقلت يومًا : إيثار ما يفنى على ما يبقى برسام حاد .

وذكرت يومًا علمًا غريبًا ثم أنشدت :

إنِّى أنا السَّيفُ الحِسَامُ الهِنْدِى ... وكُلَّما يُطْلَب عَند[1] عِنْدِى

وقلت : مياه المعانى مخزونة فى صدر العالم ، يفتح منها لزرع قلبه سَيْحًا بعد سيح ، فإذا تكاثرت عليه صاح السَّيْل .

وقيل لى : ما أحسنَ ارتجالك ؟ **فقلت** : الطبعُ ينظم ، والذوق يزن ، والقريحة تتحير ، واللسان يصقل ، والسمع يستشف ، والفهم يستعذبُ ، وأنشدت :

بستانُنا فَيَّاحُ ... رَيْحَانُه فوَّاحُ
تُفَّاحُهُ نَفَّاحُ ... لفَّاحُهُ لَفَّاحُ
جَدْوَلُهُ سَيَّاحُ ... بُلْبُلُه صَيَّاحُ
حَمَامه صَدَّاحُ ... أخْلاقُه صلاحُ
تجى به أرواحُ

قال سائل : صف لى جادة القوم . **فقلت** : المضَحَّى فى بوادى[2] الجوع ، والمُعَشَّى بوادى السهر إلى أن تلوح بوادى القبول .

---

(١) لعل ضبطها هكذا ، يقال : عاند فلانًا : خالفه وعارضه فيما يفعل . المعجم الوجيز (ص٤٣٦).

(٢) فى الأصل : « بودى » .

الباب الرابع

فـى المتعلـق بـالـوعـظ

فصل فى التوحيد

فى قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر ﴾ [سورة الحديد : ٣] . أول ليس له مبدأ ، آخر جل عن منتهى ، ظاهر بالدليل ، باطن بالحجاب ، يثبته العقلُ ، ولا يدركه الحسُّ ، كل مخلوق محصور بـحد ، مأسور فى سور قُطرٍ ، والخالق بائن مباين يعرف بعدم مألوف التعريف ، ارتفعت لعدم الشَّبه الشُّبه ، إنما يقع الإشكال فى حق من له أشكال ، وإنما تضرب الأمـثال لمن له أمثال ، فـأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال .

عظمـته عظُمَت عن نيل كـفّ الخيـال ، كيف يقـال كـيف والكيف فى حقـه محال؟! أنى تتخايله الأوهام وهى صُنْعه ؟! كيف تحده العقول وهى فعله ؟! كيف تحويه الأمـاكن وهى وضعه ؟! انقطع سيـر الفكر ، وقف سلوك الذهن ، بطلت إشارة الوهم ، عجز لطف الوصف ، عشـيت عين العقل ، خرِس لسان الحسّ ، لا طَور[1] للقدَم فى طُورِ القِدم ، عزَّ المَرْقى فيأس المرتقى .

بحر لا يتمكن منه غـائص ، ليل لا يبين فيه للعـين كوكب ، مرام شط مَرْمى العقل فيه ، فدون مداه بيد لا يبينه ، جادة التسليم سليمة ، وادى النقل بلا نقع. أنزل عن علو غـلوِّ التـشـبـيـه ، ولا تعل قُلَلَ أباطيل التـعطـيل ، فـالوادى بين الجبلين،/ المشبه متلوث بفرط التجسيم ، والمعطل نجس بدم الجحود ، والمحق لبن خالص هو التنزيه . ١٩/ب

(١) الطَّور : المرة والتارة . المعجم الوجيز (ص ٣٩٧) .

ما عـرفه من كيَّفه ، ولا وحَّده من مـثَّله ، ولا عبده من شـبَّهه ، مما تنزه عنه رمم ، فيما يجب نفيه فيم ، جل وجوب وجوده عن زَخِم[١] لعلَّ ، سبق الزمان، فلا يقـال : كان إذ . تمجـد فى وحدانيـته عن زحـام مع ، تفرد بالإنشـاء ، فلا تستـفهم عن الصانع بمَنْ ، أبرز عـرائس الوجود من كِنِّ[٢] كُن ، بث الحكـم فلم يعارض بلم ، تعـالى عن بعضية مِنْ ، وتـقدس عن ظرفية فى ، وتنزه عن شـبه كأن ، وتعظم عن نقص لو أنَّ ، وعز عن عيب إلا أن ، وسما عن تدارك لكنّ .

إن وقف ذهن بوصفـه صاح العـز : جُز ، إن سار فكر نحوه قـالت الهيـبة : عُدْ، إن قعد القلب عن ذكره قال القلب : قم ، إن تجبر متكبر قال للقهر : سِمْ، إن سأل محتـاج قالت الإنعام : رِش[٣] ، إن تعرض فـقيـر قال للوَفْر : فِرْ ، إن سكت مذنب حياء قال الحلم : قل ، إن بَعُد ذو خطأ نادى العَفْوُ : أُبْ .

نثر عجائب النعم وقال للكل : خذ . من بيان عظمته : ﴿ **رفيع الدرجات** ﴾ [سورة غافر : ١٥] . من أثر قَسْره : ﴿ **تسبح له السموات** ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] . توقيـع أمره ﴿ **يأمر بـالعدل** ﴾ [سـورة النحـل : ٩٠] . واقع زجـره ﴿**ينهى عن الفحشاء** ﴾ [سـورة النحل : ٩٠] . ينادى على باب عـزته : ﴿ **لا يُسأل** ﴾ [سورة الأنبيـاء : ٢٣] . يُصاح على محجة حـجته ﴿ **لمن الأرض** ﴾ [سورة المؤمـنون : ٨٤] . ينذر جاسوس عـلمه ﴿ **مـا يكون من نجـوى ثلاثة** ﴾ [سورة المجادلة :٧]. يقول جهبذ طَوْله : ﴿ **وإن تعدوا** ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤ ، والنحل : ١٨] . يترنم منشد فضله : ﴿ **لا تقنطوا** ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] .

تبارك الله فى عَلياء عِزَّتـــه ... وكلَّ كُلُّ لسان عن تَعَاليـــه
وجودُه سَابق لا شيء يُشْبهــه ... ولا شَرِيك له لا شَكَّ فيـــه
لا دَهْرَ يُخْلفه لا نَقْص يَلحقـه ... لا كَشْف يُظْهره لا ستر يُخْفيـه
لا كَون يَحْصره لا عَون يَنْصره ... وليس فى الوَهْم مَعْلوم يُضَاهيه

(١) فى الأصل : « زحم » ، ولعل الصواب ما أثبته .
يقال : زخم اللحم ونحوه : خبثت رائحته وأنتن . المعجم الوجيز (ص ٢٨٧) .
(٢) الكِنُّ : كل ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمغاور ونحوها . المعجم الوجيز (ص ٥٤٣) .
(٣) كذا فى الأصل - بكسر الراء - وفى القاموس «ر ش ش» : الرَّش : نفض الماء والمطر القليل.

فصول فى ذكر القصص

فصل فى قصة آدم

لما خلق الله - عـز وجل - آدم ألقـاه كاللقـاء ، فلمـا نفخ فـيه الروح مـات الحاسـد، لما زلَّ نزل ، فأقلق الوجود بـبكائه ، فقال جـبريل : ما لك ؟ فـأجاب لسان حاله :

ما رَحلت العِيس عن أرْضِكُم فَرَأَت عَيْناى شيئًا حَسَـــنا
هَلْ لنا نَحْوَكم مِنْ عَــوْدَة ومِنَ التَّعْليل قَولى هَلْ لنا / ٢٠/أ

فقيل : لا تحـزن لقولى : ﴿ **اهبط منها** ﴾ [سـورة الأعـراف : ١٣] . فلك خلقتها ، اخـرج إلى مزرعة المجاهدة ، وسُق من دمك ساقيـةً لندمك ، فإذا عاد العود خَضِرًا فعد .

إن جَرَى بيننا وبَيْنَـــك عَتْبٌ أو تناءت مِنَّا ومنك الديـــارُ
فالعَليلُ الذى عَهِــدْتَ مقيمٌ والدمُــوعِ الذى عَلمتَ غِزارُ

واعجـبًا لقلق آدم بلا معـين على الحـزن ، هوام الأرض لا تفهم مـا يقول ، وملائكة السماء عندهم بقايا ﴿ **أتجعل** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . فهو فى كربه : لا رحيم من آل لـيلى فأشكو . ثم لم تزل تلك الأُكلة تُعـادُّه حتى اسـتولى داؤه على أولاده ، فنمت هينمة[1] الملائكة بعبارة بطر العافية ، فنشروا مطوىّ ﴿**أتجعل**﴾ [سورة البقرة : ٣٠] . وتبقى حزازات النفوس كما هيا .

فدَعُّوا بعـصى الدعاء ظهور العصـاة ، فقيل لهم : لو كنتم بين أفـاعى الهوى وعقارب اللذات لبات سليمكم سليـمًا ، فأبوا للجراءة إلا جرَّ الدَّعاوى ، وحدثوا أنفسهم بالتُّقى بالتقاوى ، فقيل : نقبوا عن نقبائكم وانتقوا ملك الملكوت . فماروا فما رأوا لمثلها مثل هاروت وماروت، فنزلا منزل الدعوى فنزلا عن مقام العصمة، فركبا مـركب البشرية ، فمرت على المرأين امرأة يقـال لها الزُّهرة ، بيدها مِزهرٌ[2]

(١) الهينمة : الصوت الخفى . المعجم الوجيز (ص ٦٥٤) .
(٢) المِزهر : العود الذى يضرب به ، وهو أحد آلات الطرب . المعجم الوجيز (ص ٢٩٤) .

زَهْرة الشهوة ، فغنت الغانية بغُنَّة أغَنّ ، فرنَّت قِباب الهوى ، فهوى الصوتُ كالصوت[1] إلى قلب قلبيهما عن تقوى التقويم ، فانهار بناء عزم هاروت ، ومار هَمُّ حزم ماروت ، فأراداها على الردى فراوداها وما قبل الهوى نَفْسًا فردَاها ، فبسطت نِطَع[2] التنطُّع ، إما أن تشركا ، وإما أن تقتلا ، وإما أن تشربا ، فظنا سهولة الأمر فى الخمر وما فطنا ، فلما امتدَّ ساعد الهوى فسَقى ، فسقا فزنيا وقتلا ، ففتَّتْ فتنتهما فى فئة الملائكة ، فاتخذوا لتلك الواردة وِرْدًا من تضرع : ﴿ويستغفرون لمن فى الأرض﴾ [سورة الشورى : ٥] .

فصل فى قصة نوح

أنذر الخلائق ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وبصيرهم كلما رأى الحق يتعامى ، فلاح اللأَّحى عدمُ فلاحهم فولأَّهم يأسًا من صلاحهم ، فأذن مؤذن الطرد على باب دار إهدار دمائهم ، فغربت شمس الإفطار ، فادلهمت عقاب العقاب ، فلما انسدلت الظلمة وفات النور ، فار التنور .

فصل فى قصة عاد

أقلُّ ما فُعل بعاد بِعاد ، سحب سحابُ العذاب ذيل الإدبار بإقباله إلى قُبالتهم، فظنوه لما اعترض عارضَ ممطر / فصاح بُلبل البلبال ، فبلبل ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤] . فراحت ريح الفجور لكى تسم الأدبار بكى الإدبار ، فعجوا منها عجج الأدبر ، فلم يزل يكوى تكوينهم بميسَم العدم ، وتَلوى تلوينهم إلى حياض دم الندم ، ويكفأ عليهم الرمال فتكفى تكفينهم ، ويبرزهم إلى البراز عن صَون حصون كنّ يقينًا يقينهم ، فما برحت بارحهم عن براحهم حتى برَّحت بهم ، ولا أقلعت حتى قلعت قلوع قلاعهم ، فدامت عليهم آفة وداءً لا تقبل فداء ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ﴾ [سورة الحاقة : ٧] . فحسبوا ما أذاقهم من سوء ما ماسوا .

٢٠/ب

---

(١) أى : اللحن . المعجم الوجيز (ص ٣٧٣) .

(٢) بساط من جلد ، كثيرًا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل . المعجم الوجيز (ص ٦٢١) .

فصل فى قصة ثمود

لما أعرضوا عن كل فعل صالح بعث إليهم للإصلاح صالح، فتنطَّع عليه تافِهُ[١] هواهم بطلب ناقة، فخرجت من صخر صماء تُقبقب، وفصل عنها فصيل يرغو، فقال حاكم الوحى : ﴿ **لها شربٌ** ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٥] . فضرب أشقاهم بعطن ﴿ **فتعاطى** ﴾ [سورة القمر : ٢٩]. فصُبَّ عليهم صَيَبُ صاع صاعقة .

فصل فى قصة الخليل – عليه السلام –

لما خاض المخـاض فى خَضْم أم إبراهيم خرجت به من خَيف الخـوف إلى حَير التحيُّر تهيم ، فـوضعته فى نهر قد يبس ، وغطَّته بالحلفـاء ليلتبس ، فلما ترعرع أحضره نمرود ، فأحضر فى ميدان الدليل ﴿ **فأت بها من المغرب فبهت** ﴾ [سورة البقـرة : ٢٥٨] . ثم دخل على الأصنام وقت الفراغ ﴿ **فراغ عليهم** ﴾ [سورة الصـافات : ٩٣] . فـجردوه من بُرْد بَرْدِ العـدل إلى حَرِّ ﴿ **حرقوه** ﴾ [سورة الأنبيـاء : ٦٨] . فسـبق بريد الوحى إلى النار بلسـان التفـهيم : ﴿ **كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم** ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٩] .

فصل فى قصة قوم لوط

لما تهاووا فى هوة أهوائهم لا يـرعون ، جاءه ضيف فـأقبلوا يهرعـون ، فدافع بمشورة ﴿ **هؤلاء بناتى** ﴾ [سورة هود : ٧٨ ، والحجر : ٧١] . وبتقاة ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ [سورة هود : ٧٨] . وبسؤال ﴿ **ولا تخزون** ﴾[٢] [سورة هود : ٧٨ ، والحجر : ٦٩] . وبتوبيخ ﴿ **أليس منكم** ﴾ [سورة هود : ٧٨] . فلما كَلَّ كُل سلاحه ، وأعيته جهات جهاده أنَّ برمز ﴿ **لو أن لى بكم قـوة** ﴾ [سورة هود : ٨٠] . فاحتمل جـبريل قرى من قد جنى على قَرا[٣] جناحه ، فلم ينكسر وقت رفعهم إناء ، ولم يُرَق فى صَعود[٤] صعودهم ماء ، فلما سـمع أهل السماء نباح كلابهم أسرعت كف القِلى بهم فى انقلابهم .

---

(١) فى الأصل : « ناقهُ » – بالقاف – ولعل ما أثبته هو الصواب .

(٢) فى الأصل : « فلا تخزونى » .

(٣) أى : ظهر . المعجم الوجيز (ص ٥٠٠) .

(٤) أى : مشقة . المعجم الوجيز (ص ٣٦٤) .

تالله لقد ضكضك[١] العذاب فضعضعهم[٢] فتضعضعوا ، وانقضَّ بقضِّه[٣] وقضيضه[٤] فقضقض عظام عظامهم ، وقظها فتقطعوا ، وسار بهم فى طرفسان[٥] عُقاب[٦] العقاب إلى عَوْطب[٧] العطب فاهرَّمعوا[٨] ، وكانوا فى كِنّ صافى الصفات فمروا إلى مَرِّ الرنق[٩] فافرنقعوا ، وهمس هميسعهم[١٠] ، وهل مثلهم إلا الوهل[١١] والوهاة ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ [سورة ص : ٣] وأن درقعوا[١٢] وبرقط[١٣] المخرنشم[١٤] بعذاب بهبس وبَلْهَس ، فبلطح وحزن / المترنشق بعذاب رهرق فبلسم[١٥] وكلّح[١٦] ، فأحيل على دال الحيل سحل السحيل ، فما برح حتى برَّح[١٧] ، فقولوا لمن خرج عن الشرع بفعل فاحشتهم وشرد : رمى القوم بالحجارة، وخوفتم بالبرد .

٢١/أ

فصل فى قصة يوسف

احتال إخوته عليه بحجة ﴿ **نرتع ونلعب**[١٨] ﴾ [سورة يوسف : ١٢] فلما

---

(١) ضكه : ضاق عليه . القاموس « ض ك ك » .

(٢) أي : هدمهم حتى الأرض . القاموس « ض ع ع » .

(٣) القض : الحصى الكبار . المعجم الوجيز (ص ٥٠٦) .

(٤) القضيض : صغار الحصى . المعجم الوجيز (ص ٥٠٦) .

(٥) أي : الظلمة . القاموس « ط ر ف س » .

(٦) عُقاب : موضع . القاموس « ع ق ب » .

(٧) أي : داهية . القاموس « ع ط ب » .

(٨) أي : تباكوا . القاموس « هـ ر م ع » .

(٩) في الأصل النون غير منقوطة ، ولعل صوابها ما أثبته .
والرنق : الكدر . القاموس « ر ن ق » .

(١٠) الهميسع : القوي الذي لا يصرع . القاموس « هـ م س ع » .

(١١) أي : الضعيف الفزع . القاموس « و هـ ل » .

(١٢) أي : فروا وأسرعوا من الشديدة . القاموس « د ر ق ع » .

(١٣) أي : ولى متلفتًا . القاموس « ب ر ق ط » .

(١٤) أي : المتعاظم المتكبر في نفسه . القاموس « خ ش ر م » .

(١٥) أي : كرّه وجهه . القاموس « ب ل س م » .

(١٦) أي : تكشر في عبوس . القاموس « ك ل ع » .

(١٧) أي : اشتد . المعجم الوجيز (ص ٤٣) .

(١٨) هذه قراءة ابن كثير . السبعة (ص ٣٤٥) .

أصحروا[١] أظهروا المقت له ، ورموا بسهم التلف مقلته ، ولطخوا قميصه الصحيح بدم كذب ﴿ **وشروه بثمن بخس** ﴾ [سورة يوسف : ٢٠] واعجبًا لقمٍ[٢] قومر به فأجلسه العزيز على عرار[٣] ﴿ **أكرمى** ﴾ [سورة يوسف : ٢١] فشغف حبه قلبها وفرى فراودته ، فأنفـد القوة فى الفرار وما استبـقى فاستبقا ، فـامتدت اليد التى تعدَّت فقدت ، فاختارت درة فهمه صدف الحبس لجهل الناقد .

ولما ملك هواه الذى عـجز عنه الملَك[٤] ملك ، فغم غَمُّ[٥] القحط أرض كنعان حين جوَّل[٦] ، فدخل عليـه إخوته فمـا عرفوه ولا فى الأول ، فـسأل عن الوالد فسال دمع الواجد .

إيهٍ أحَادِيث نُعْمانَ وسَـــــاكِنه إنَّ الحدِيثَ عَنِ الأحْبابِ أسْمَارُ

فقـالوا : لنا شيخ يقرأ عليك السـلام ، فانتفض طـائر الشوق لذلك الكلام ، فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى ، ثم آل أمر الأيدى التى مدها بعشرم[٧] ﴿ **وشروه** ﴾ [سـورة يوسف : ٢٠] أن مُدت فى ذل ﴿ **وتصدق علينا** ﴾ [سورة يوسف : ٨٨] .

فصل فى قصة أيوب

سلط إبليس على ماله وجسده فلم يتغير رضاه عن سيده، تقطع الجسم وداد[٨]، وما تقطع رسم الوداد ، ثم عوفى وردُ عليه كل ما ذهب ، ونُثِر على واديه بعد أن جرى داء جرادًا من ذهب ، وبقيت عليه اليمين فى ضرب زوجته رحْمة[٩] ، فأقبل لسان الوحى يتلو فتوى الرحمة ﴿ **وخذ بيدك ضغثًا** ﴾ [سورة ص : ٤٤] .

(١) أي : برزوا في الصحراء . القاموس « ص ح ر » .
(٢) لعله يقصد بالقمٍ : البدن . القاموس « ق م م » .
(٣) أي : الرفعة والسؤدد . القاموس « ع ر ر » .
(٤) يشير المصنف - رحمه الله - بالملك إلى القصة المنسوبة للملكين هاروت وماروت .
(٥) أي : كرب . القاموس « غ م م » .
(٦) أي : طاف وأحاط . القاموس « ج و ل » .
(٧) العشرم : الخشن الشديد . القاموس « ع ش ر م » .
(٨) أي : خرج من جسده الدود ، والصحيح أنه لا يجوز نسبة هذا للأنبياء .
(٩) هذا اسم زوجـة أيوب - عليه السـلام - ، وهي رحمـة بنت أفـراييم بن يوسف بن يعقـوب . انظر: التبصرة (١/١٩٢ - ط . دار إحياء الكتب العربية) .

فصل فى قصة شعيب

خوف شعيب قومه من قُحَم[١] قَحْل[٢] القحط ، فمدوا نحوه باع النخوة ﴿لنخرجنك﴾ [سورة الأعراف : ٨٨] فلما اسمهرّ[٣] ظلام ظلمهم اسحنكك[٤] ليل إدبارهم ، واسلنطح[٥] نهار هلاكهم ، فحقحق إليهم ما حق عليهم من محقهم ، فأظل على ظُلل ضلالهم عذاب الظلة[٦] ، وشدت عليهم شدة الحر ، فهربوا إلى البَر لا إلى البِر ، فإذا سحابة تسحب بُرُدْ[٧] البَرْد ، فتنادوا هلموا إلى راحة الرَّوح[٨] ، فلما تم اجتماعهم فى قصر الحصر ، وظنوا أنها من حر وقتهم وقَتْهُم[٩] ، نزلت نار فأحرقتهم .

فصل فى قصة الكليم

أخبر الكهنة فرعون بوجود موسى فأطلق فى ذبح الأطفال الموسى ، فألقته أمه فى التنور[١٠] ثم فى اليم[١١] ، وإذا لطف الإله معه ثَمَّ ، فأدركها واجد المحب بفراق أحبابه ، فصدرت بصدر لا يعلم قدر ما به إلا من قد رمى به ، فجيب جيبُ النيل ، فشرعت فى تناوله مشرعة / دار فرعون فألقته فى برية ﴿ فالتقطه ﴾ [سورة القصص : ٨] فلما قص الشوق جناح صبر أمه ﴿قالت لأخته قصيه﴾ [سورة القصص: ١١] فقر فى حجر الوالدة ﴿ كى تقر

٢١/ب

---

(١) أى : مصاعب . القاموس « ق ح م » .

(٢) أى : جدب . المعجم الوجيز (ص ٤٩١) .

(٣) اسمهرَّ الظلام : تنكر وتراكم . القاموس « س م هـ ر » .

(٤) اسحنكك الليل : أظلم . القاموس « س ح ك » .

(٥) أى : اتسع . القاموس « س ل ط ح » .

(٦) عذاب الظلة : هى سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم . تفسير الجلالين (ص ٣١٣) .

(٧) ثوب مخطط . القاموس « ب ر د » .

(٨) الرَّوح : الراحة والرحمة . القاموس « ر و ح » .

(٩) من الوقاية .

(١٠) التنُّور :كل مفجر ماء ، ومحفل ماء الوادى . القاموس « ت ن ر » .

(١١) اليم : البحر . المصباح المنير (ص ٣٥١) .

عينها﴾ [سورة القصص:١٣] فلما جرى القدر بقتل القبطى فرَّ إلى شعب شعيب، فاجتمع شمل الصهر[١] ، فلما خرج بأهله من مدينة مدين انطلق بها طلق الطلق ، فما زال يكادح المقادح فـلم تُورِ ؛ لأن عروس نار الطور لما همت بالتجلى نوديت النيران غضوا ، فهام[٢] فى حير التحير ، فهيَّت به أنيسُ آنس فأنِس .

يا حَار إنَّ الرَّكْبَ قَد حَـــارُوا   فاذْهَب تَحَسَّـــس لمنِ النَّارُ

ثم أرسل إلى محاربة العدو فجاهده حتى قـبر فى لحد اليم ، فطلب قومه كتابًا يرد نادَّهم ، فأمر بـالصوم ، فصام أربعين ليلة نـهاره وليله ، فدام فِدام[٣] فِيه فِيه عن مطمع المطعم ، فقِيد فقِيد قوت الوقت ، فصارى[٤] فى ذكر الوعد .

فلما بلغ من أخذ التوراة المنى قال قومه: من أعلم الناس؟ فقال: أنا. فدل على الخَضِر ، فتاه وفتاه ، ثم وصل فوصل جناح صحبته ، فسامحه فى نوبة السفينة ، ثم عاتبه فى قتل الغلام ، ثم أراق ماء الصـحبة فى أمر الجدار، ثم سرد عليه علل ما فعل فصلاً فصلاً بلسان إنسـان يقول فصلاً ، وكلما ذكر له أصلاً أصلاً لم يبق لموسى عين تراه أصلاً، وكلما سل من حر العتاب نصلاً[٥] صاح لسان حال موسى كم نصلاً ؟ فألقى عليه تفسير الأمور وأملى ، والقدر يقول : أهو أعلم أم لا ؟ .

ثم إن موسى تفكر ، فـإذا قد جرى له من جنس ما أنكر ، غـضب من خرق السفينة خوف الغرق ونسى نجاته يوم ﴿ **فألقيه فى اليم** ﴾ [سورة القصص : ٧] ومن إتلاف شخص ونسـى قتل القبطى ، ومن عـمل بغيـر أجر ونسى ﴿ **فسقى لهما﴾** [سورة القصص : ٢٤][٦] .

---

(١) قال الخليل : الصِّهـر : أهل بيت المرأة. قال: ومن العرب من يجعل الأحـماء والأختان جـميعًا أصـهارًا . وقـال ابن السِّكيت : كل من كـان من قبل الزوج من أبيـه أو أخيه أو عـمه فـهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختـان ، ويجمع الصنفين الأصهار . اهـ . من المصباح المنير (ص ١٨٢) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفوقها : « لعله » . وكأن الناسخ كتبها على الاحتمال .

(٣) فِدام جمع فَدْم : وهو العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم . القاموس « ف د م » .

(٤) يعنى : تقدَّم . القاموس « ص ر ى » .

(٥) النصل : حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض . القاموس « ن ص ل » .

(٦) لطيفة : الأمور التى جرت لموسى - عليه السلام - مع الخَضِر - عليه السلام - ذكرت فى سورة الكهف متـتابعة ، والأمور التى حـدثت لموسى - عليه السلام - مـشابهة لها ذكـرت فى سورة القصص متتابعة أيضًا .

فصل فى ذكر بلعام

كانت بنيّة[١] نيته على رمل الرياء ، فجرت تحتهـا أنهار التجربة ففجرت ، كان ظاهره لبقاء النَّقا[٢] وباطنه باطِية[٣] لخمـر الهوى ، فلـقد خبـأ الخبـائث فى طى الطيبات ، فلما أراد المقدر تنبيه جـاره على جوره ، تقدم إلى القدر بهتك ستره ، فأتاه وهو فى عقر عقَار[٤] الهوى يعاقر عُقار[٥] الرياء ، وقد رفعت له عـقيرتها[٦] عاقرٌ[٧] الفـهم إلى أن عُقِر لعقـر قلبه ، فـعاد عـقيـرًا ، فمزق جلـباب تعـبده ، فانكشف عوار عورته فعوى[٨] ، فإذا به كلب عقور[٩] .

فصل فى قصة قارون

كانت مقاليد خزائنه وِقر[١٠] ستين بغلاً . والذى فاته أعلى وأغلى ، ركب يومًا فى أربعة آلاف مقاتل وسَمّ[١١] الهوى يعمل فى المقاتل ، وركب معه فى المعمعة[١٢] ثلاثمائة جارية ، وقد أنساه سفـه الأمل أن سفينة الأجل جارية ، فلما ارتفع بظلم حُطَّ بعدل إلى حضيض ﴿ فخسفنا به ﴾ [سورة القصص : ٨١] .

فقال الجاهلون : / إنما بادر مسوى[١٣] بادرته لأخذ بِدرة[١٤] بداره . فقال حاكم ٢٢/أ

---

(١) البَنِيَّة : الكعبة لشرفها . القاموس « ب ن ى » .
ولعل المصنف - رحمه الله - يقصد قبلة نيته ، أى : قصده . والله أعلم .

(٢) النَّقا : الكثيب من الرمل . المعجم الوجيز (ص ٦٣٢) .

(٣) باطِية : إناء الخمر . انظر القاموس « ب ط ى ، ن ج د » .

(٤) العَقَار : كل ملك ثابت له أصـل كالدار والنخـل ، قال بعضـهم : وربما أطلق على المتـاع . المصباح المنير (ص ٢١٨) .

(٥) العُقَار : الخمر . المعجم الوجيز (ص ٤٢٨) .

(٦) العقيرة : الصوت : المعجم الوجيز (ص ٤٢٨) .

(٧) العاقر : العقيم . المعجم الوجيز (ص ٤٢٧) .

(٨) صاح صياحًا ممدودًا ليس بنباح . المعجم الوجيز (ص ٤٤٢) .

(٩) كلب عقور : كثير العقر - أى : العَضّ - . المعجم الوجيز (ص ٤٢٨) .

(١٠) الوِقر : الحمل الثقيل . المعجم الوجيز (ص ٦٧٨) .

(١١) السم - بتثليث السين - : ما يقتل . وهو بالفتح فى الأكثر ، المصباح المنير (ص ١٥١) .

(١٢) المعمعة : اختلاف الأصوات ، وأصلها فى التهاب النار . المصباح المنير (ص ٢٩٧) .

(١٣) كأنها هكذا فى الأصل .

(١٤) بادر إليه مبادرة وبِدارًا : أسرع . المصباح المنير (ص ٢٥) .

الغيب لإزالة الريب : ﴿ وبداره ﴾ [سورة القصص : ٨١] .

فصل فى قصة داود

لما حلى حلية النبوة ، ولقن فصل فصْل الخطاب[١] ، أطرب شدو[٢] شكره سمع القبول ، فـمنحه إقطاع **﴿ يا جبال أوبى معه ﴾** [سورة سبأ : ١٠] فأعجبته سلامة العصمة ، فقال : لا تغـفر للخطائين . والقدر قد أنزع له مما سيعض عليه الأنامل ملء الإناء ، فرماه فى دُرَع[٣] ليالى الفتن ، فما رد دِرع **﴿ وقَدِّر ﴾** [سورة سبأ : ١١] لاحت له فى حـمى دعواه حمامة من ذهب فذهب يصـيدها ، فوقع فى عين شَرَك عينه ، ظن غداة الخيف[٤] أن قد سلما ، لما رأى سـهمًا وما أجرى دمًا ، فعاد يستقرى حشاه فإذا فؤاده من بينها قد عدما[٥] ، لم يدر من أين أصيب قلبه ، وإنما الرامى درى كيـف رمى ، فلما حـضر الخـصـمان المعـامعـا[٦] معانى المعاصى ، فـفطن ، ففتَّ فى الفـتى الفاتن فَتْن[٧] فتياه **﴿ وظن داود أنما فـتناه ﴾** [سورة ص : ٢٤] . فنزل عن مركب العـز إلى مس مسجد الذل ، وزرَّ[٨] زِرَّ[٩]

---

(١) فصل الخطاب : ما فيه قطع الحُكم . المفردات (ص ٣٨١) .

(٢) الشَّدو : القليل من كل كثير . القاموس « ش د و » .

(٣) ليال دُرَع : يقال للثلاث تلى البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها . القاموس « د ر ع » .

(٤) كذا فى الحاشية مصححًا ، وفى الأصل : « البين »

والمصنف - رحمه الله - يشير بذلك إلى ما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : **﴿ وهل أتاك نبـأ الخصم إذ تسـوروا المحراب . إذ دخلوا على داود فـفزع مـنهم قالوا لا تخف خـصـمـان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسعة وتسعـون نعجة ولى نعـجة واحـدة فقال أكـفلنيها وعـزنى فى الخطاب . قال لقـد ظلمك بسؤال نعـجتك إلى نعـاجه وإن كـثيـرًا من الخلطاء ليبـغى بعضـهم على بعض إلا الذين آمنوا وعـملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب ﴾** [سورة ص : ٢١ - ٢٤] .

(٥) أى : فقد . القاموس « ع د م » .

(٦) المعامع : ميل بعض الناس على بعض وتظالمهم . القاموس « م ع م ع » .

(٧) الفَتن : الحال . القاموس « ف ت ن » .

(٨) الزَرّ : شد الأزرار . القاموس : « ز ر ر » .

(٩) هو الذى يوضع فى القميص . القاموس « ز ر ر » .

زَر مانقة الخوف على شعار القلق ، فأسكت الحمائم بنوحه ، وشغلها عن صدحها بصوته ، فشرب عِرْق العشب من عين عينه ، وحشا سبعة فرش رمادًا ، ثم رمى داء الحشا بعد أن فرَشَها فرَشَّها ، ولم يزل يغسل العين من العين ، ولسان العتاب يقول : يا بعد النقا[(١)] . إلى أن نجاه من المهالك ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ [سورة ص : ٢٥] .

فصل فى قصة سليمان

أعطى ما لم يُعطه أحد فشكر المعطى وما جحد ، راحت الريح بوأده[(٢)] على وادى النمل ، فنادت نملة أخواتها بِبَدْه[(٣)] : ﴿ **لا يحطمنكم** ﴾ [سورة النمل : ١٨] . ﴿ **فتبسم** ﴾ [سورة النمل : ١٩] افتقر فى القفر[(٤)] إلى الماء ، وقد غاب الهدهد فتواعده بلفظ ﴿ **لأعذبنه** ﴾ [سورة النمل : ٢١] . فأقبل ببَهْتٍ[(٥)] ذكى ﴿ **أحطت بما لم تحط به** ﴾ [سورة النمل : ٢٢] فحمَّله كتاب إنذار فألقاه إليهم من قارة منقاره ، فلما رأت الرسول يُحرك الجناحين ويحذر من خلاف إن جرى جنى الحين[(٦)] ، صاداها العقل والفهم ، فصاداها فى فخ القسر[(٧)] كريم ﴿ **إنى ألقى إلىَّ كتاب كريم** ﴾ [سورة النمل : ٢٩] .

فصل فى قصة عيسى

حنت حنَّةُ[(٨)] إلى ولد وقد استولى الكبر ، فرأت يومًا طائرًا يغُرُّ[(٩)] فرخًا فرحًا ،

---

(١) النَّقا : كل عظم ذى مخ . القاموس « ن ق و » .

(٢) الوأد : الصوت أو العالى الشديد . القاموس « و أ د » .

(٣) فى الأصل غير منقوطة ، ولعل الصواب ما أثبته .
والمعنى : أنذرتهم على البديهة ، أى : في أول الأمر . والله أعلم .

(٤) القفر : الخلاء من الأرض . القاموس « ق ف ر » .

(٥) البَهت : الأخذ بغتة . القاموس « ب هـ ت » .

(٦) أى : الهلاك . القاموس « ح ى ن » .

(٧) كأنها فى الأصل بالسين ، وعليه فمعناها : القهر .
وإن كانت بالصاد « القصر » فمعناها واضح . والأول أقرب والله أعلم .

(٨) حنَّة : اسم أم مريم - عليها السلام - وهى حنَّة بنت فاقود بن قابيل ، وكانت من العابدات .
قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٥٥٨) .

(٩) يغُر : يطعم . القاموس « غ ر ر ، ز ق ق » .

فرجًّى أملها الـيئوس فرجَى فرجًا ، فـسألت عند هذه القصة ولديهـا ولدًا ، فلما علمت بالحمل كسبها السرور ولهًا[1] ، فوهبتـه بلسان النذر لمن وهبه لهـا ، فقال القدر : يـا ملك التصويـر صير الحـمل أنثى ؛ ليبيـن الكرم فى قبـول الناقص ، فـأقبلت بهـا الأم تأم بيت المقـدس ، فلمـا بلغت أصحـرت[2] ، فـتلقـاها بريد ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾ [سورة مـريم : ١٧] . فنفخ فى جنب جيب الدرع ، فمرت حاملاً فى الوقت ، / فلما علمت ألمت ، فأخرجها الحياء الحى عن الحى ، فلما فاجأها وقت الوضع فاجأها المخـاض إلى الجذع ، تحيرت من وجود ولد وما فجرت ، فجرت عين الدمـع ، فصاح لسان الخفر[3] بلفظ الندب ﴿ **يا ليتنى مت قبل هذا** ﴾ [سورة مـريم : ٢٣] . فأجـرى لها فى أوانى الأوان سَرِّىٌّ[4] ، كما وهب لهـا من الغلمان سـرىٌّ[5] ، وهزت جـذم[6] جذع[7] مـاثل مـثل الحطب ، فتسـاقط عليها فى الحال رطب الرطب ، فانقـضت أيام النفاس وفاتت ﴿ **فأتت به قومها** ﴾ [سورة مريم : ٢٧] فنادوها إذ ما شهدوا قط أختها ﴿ **يا أخت هارون**﴾ [سورة مـريم : ٢٨] . فاضـجروا مريضًا قـد ضنى من أنين ﴿ **أنَّى** ﴾ [سورة مريم : ٢٠] . على فراش ﴿ **يا ليتنى مت** ﴾ [سورة مريم : ٢٣] . ﴿**فأشارت إليه** ﴾ [سورة مريم : ٢٩] . ضعفت عن إقامـة الحجة فوكلت ، فأخذت ألسنة تعجبهم تعج[8] لهم ﴿ **كيف نكلم**﴾ [سورة مريم : ٢٩] . فقـام عيسى يمخض أوطاب الخطاب[9] على منبر الخطابة ﴿ **إنى عبد الله** ﴾ [سورة مريم : ٣٠] .

٢٢

---

(١) أى : ذهب عقلها من الفرح . المصباح المنير (ص ٣٤٦) .

(٢) أى : خرجت للصحراء . المصباح المنير (ص ١٧٤) .

(٣) الخَفَر : شدة الحياء . القاموس « خ ف ر » .

(٤) كذا ضبطت فى الأصل بتشديد الراء المكسورة ، وفى المصبـاح المنير (ص ١٤٤) : النَّرِىُّ : الجدول وهو النهر الصغير . اهـ .

(٥) السَّرِىُّ :الرئيس . المصباح المنير (ص ١٤٤) .

(٦) جِذم : أصل الشيء . المصباح المنير (ص ٥٣) .

(٧) فوقها وفوق « جذم » حرف الميم ، يعنى أن هناك تقديم وتأخير ، فوضعتها هنا على الصواب .

(٨) العج : رفع الصوت . المصباح المنير (ص ٢٠٤) .

(٩) يمخض أوطـاب الخطاب : يـخـرج زبده . المصباح المنيـر (ص ٢٩٢) ، والقامـوس « و ط ب » .

فصل فى قصة يحيى

لما قام زكريا بإقامة الإقامة لمريم ، فرأى وكيل الغيب يأتى بالمراد فى كِنٍّ[١] كُن، نبهت هذه الآية واقد طمعه ، فقام الدِّرْدِح[٢] بعد أن تقعوس[٣] وتسعسع[٤] وعيى على باب عسى ، وشكى ما شيك[٥] به مما حلَّ من حلِّ التركيب فى كلمات هُنَّ ﴿ وهن العظم منى ﴾ [سورة مريم : ٤] . فإذا ميت أمله بوجود يحيى يحيا ، كان الصبيان يقولون له : هلم نلعب . فيقول : إنما خلقنا للعبء لا للعب . اقتنع بمسوك[٦] الحيوان عن السِّب[٧] والشِّف[٨] والمشبرق[٩] ، وشغله عن رقش[١٠] نقش القشيب[١١] والدمقس[١٢] ما لف مما لفق[١٣] ، ولم يزل معول[١٤] دمعه يحفر ركية[١٥] خده حتى بدت أضراس فيه فِيه .

فصل فى ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

خلق نبينا من أرضى الأرض أرضًا ، وأُصْفى أصفى الأوصاف وصفًا ، وأضحت كل أم له من السفاح آمنة إلى أن صدفت بتلك الدرة صدفة آمنة ،

(١) الكنّ : الستر . المصباح المنير (ص ٢٧٩) .
(٢) الدِّردح : الشيخ الهرم . القاموس « د ر د ح » .
(٣) تقعوس الشيخ : كبر . كذا فى القاموس « ق ع س » .
(٤) السّعسعة : اضطراب الجسم كبرًا والهرم . القاموس « س ع ع » .
(٥) وهى حمرة تعلو الجسد . القاموس « ش و ك » .
(٦) جمع مَسك : وهو الجلد أو خاص بالسخلة . القاموس « م س ك » .
(٧) السِّب : شقة رقيقة . القاموس « س ب ب » .
(٨) الشِّف : الثوب الرقيق . القاموس « ش ف ف » .
(٩) ثوب مشبرق : أفسد نسجًا . كذا فى القاموس « ش ب ر ق » .
(١٠) أى : زخرفة . القاموس « ر ق ش » .
(١١) أى : الجديد . القاموس « ق ش ب » .
(١٢) الدِّمقس : الإبريسم أو القز أو الديباج أو الكتان ، القاموس « د م ق س » .
(١٣) لفق الثوب : ضم شقة إلى أخرى فخاطهما . القاموس « ل ف ق » .
(١٤) المِعول : آلة من الحديد يُنقر بها الصخر . المعجم الوجيز (ص ٤٤٢) .
(١٥) الركية : البئر لم تطو . المعجم الوجيز (ص ٢٧٧) .

فوثبت لرضاعه ثويبة ، ثم قضت باقى الدين حليمة ، وكان نباته يستعلج[1] على سوقه يستعجل قيام سوقه ، فنشأ فى حجر الكمال كما نشا ، فشأى من شأى منشأ ، فلما تمخضت حامل النبوة تحرى غار حراء للفراغ فراغ إليه ، فأفاض الملك عليه حلة[2] ﴿ اقرأ ﴾ [سورة العلق : ١] . فأفاض إلى حِلَّة[3] : «زملونى»[4] .

أُلبس إهاب[5] الهيبة ، وتوج تاج السيادة ، وضمخ بأذكى خلوق[6] أزكى الأخلاق ، وأحل دار المداراة ، وأعطى لقطع مفازة الدنيا جود الجود ، فهو هلال شهر الكمال ، وروح جثمان الكون ، وحشاشة / نفس المملكة ، طرة غرته[7] أحسن من جمال يوسف ، لعاب فِيهِ أشفى من أغبر[8] ، شمس شرعه لا يدركها كسوف ناسخ ، قمر دينه لا يدخل فى محاق[9] ، لما خرج إلى الغار عربت قريش بالطلب ، فنبتت شجرة لم تكن قبل قِبَل الباب ، فأظلت المطلوب وأضلت الطالب ، وجاءت عنكبوت فحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها ، وحمى الحمى بحمامتين ، فما كان إلا أن سكنا من الغار فمًا ، فما بان المستتر ، فاتخذتا عُشًّا فعشّى ما غشّى من عِشاء العَشى على أبصار المفتَقدين[10] ، فصاروا كالأعشى ، فعادوا عن من عادَوا .

٢٣/أ

فلما خرج البدر إلى بدر رأى قلة العَدد والعُدد ، فاستقبل قبلة الطلب ،

---

(١) اعتلج : اضطرب . المعجم الوجيز (٤٣٠) .

(٢) الحُلَّة : الثوب الجيد الجديد ، غليظًا أو رقيقًا . المعجم الوجيز (ص ١٦٨) .

(٣) الحِلَّة : منزل القوم . المعجم الوجيز (ص ١٦٨) .

(٤) أخرجه البخارى (١ / ٣) ح (٣ - فتح) ، ومسلم ح (١٦٠) عن عائشة - رضى الله عنها - مرفوعًا .

ومعنى زملونى : غطونى بالثياب ولفونى بها .

(٥) الإهاب : الجلد . المعجم الوجيز (ص ٢٩) .

(٦) الخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران . المعجم الوجيز (ص ٢٠٩) .

(٧) طرة غرته : طرف جبهته . القاموس « ط ر ر ، غ ر ر » .

(٨) أى : بقية اللبن فى الضرع . القاموس « غ ب ر » .

(٩) المحاق - مثلثة الميم - آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية ، سمى لأنه طلع مع الشمس فمحقته . القاموس « م ح ق » .

(١٠) أى : الطالبين عند غيبة المطلوب . القاموس « ف ق د » .

فأقبلت سحابة تسحب ذيل الصر[١] ، فسمع المشركون منها حمحمة[٢] الخيل فحُمُّوا، فنزلت الملائكة سمع الإلفين ، جبريل فى ألفين وميكائيل فى ألفين ، وأسرى إسرافيل فى ألف مرد[٣] مردفين ، فعدلوا كالغمائم[٤] قد سدلوا العمائم ، فأرسلت قريش رائدًا فحذر العُزْل[٥] سهام العزائم ، فأثر عَتْبه فى عُتبة ، وكاد يشيب خوفًا شيبة ، وأحكم حزام الحزم حكيم بن حزام ، وأبى للجهل أبو جهل، فلزَّهم[٦] الطِّرادُ إلى قتال أحد سلاحهم فيه الفرار ، مضوا متسابقى الأعضاء فيه ، لأرجلهم بأرؤسهم عِثارُ ، ليس العجب نزول الملائكة يوم بدر للقتال ؛ لأن الجرح لا ينالهم ، إنما العجب استسلام الصحابة للقتل يومئذ ، لولا جد الصحابة لافتضح المتأخرون ، فنحمد الله على اليزك .

لما جلى الرسول عروس الإسلام قيل : لابد من نِثار[٧] ، فأخرج عمر نصف ماله ، فجاء أبو بكر بالكل ، فقام عثمان فى تجهيز جيش العسرة ، فعلم عليٌّ حال الغيرة فبت طلاق الضرَّة[٨] ، ثم رأى بعض جهاز المطلقة عنده وهو الخاتم فسلم وما سلم .

فصل فى صفة المجاهدين

لو رأيت[٩] المجاهدين قد اختاروا ذلة القَبِيل[١٠] بالثغور[١١] على لذة التقبيل

---

(١) الصَّر : الشدة من الكرب والحرب والحر . القاموس « ص ر ر » .

(٢) الحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ، وعَرُّ الفرس حين يُقَصِّر فى الصهيل ويستعين بنفسه . القاموس « ح م م » .

(٣) أى : ليس لهم لحية .

(٤) جمع غمامة : وهى السحابة أو البيضاء . القاموس « غ م م » .

(٥) جمع عُزُل : وهو من لا سلاح معه . القاموس« ع ز ل » .

(٦) أى : ألزمهم . القاموس « ل ز ز » .

(٧) أى : إنفاق .

(٨) ضُرَّة المرأة : امرأة زوجها . المصباح المنير (ص ١٨٧) .

(٩) رسمت خطأ فى الأصل هكذا « لوايت » .

(١٠) القبيل : الكفيل . القاموس « ق ب ل » ، والمصباح المنير (ص ٢٥٣) .

(١١) الثَّغر : من البلاد الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو ، فهو كالثُّلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها . المصباح المنير (ص ٤٧) .

للثغور[١] ، فحضروا المعترك وقد اعتكر[٢] ، فرعدت سحب الكتيبة ، فرمت صواعق النوى فى جنبات العسكر ، وإذا مناجل الهند وانيَّات[٣] تحصد زروع الرءوس ، وقد أصبح الطعن شغشغة[٤] والضرب هيقحة ، ولم يتميز الهلقام[٥] السرعرع[٦] من القلهزم[٧] الحنزقرة ، وإذا الغضنفر[٨] الدمكمك[٩] والقِنَّخر[١٠] العلندى[١١] ، والضُباضب الدُّلامز[١٢] والصُّنتع[١٣] العَشَوْزن[١٤] ، كلهم فى مقام إجفيل[١٥] ، فتذكر المخلصون وعيد الخيانة فبادروا بالعوارى[١٦] الرد ، فهتفت الشهادة بالنفوس / فلبت لبَّات[١٧] ألبَّت[١٨] بها السهام ، فهام[١٩] الظبى فى الهام[٢٠] ، ففغرت[٢١] المنايا أفواهها ، فرغت[٢٢] نوق الرحيل ، فإذا ديار الأبدان من

٢٣/ب

(١) الثَّغر : الفم . القاموس « ث غ ر » .

(٢) أى : اختلط . القاموس « ع ك ر » .

(٣) ونى فى الأمر : ضعف وفتر . المصباح المنير (ص ٣٤٧) .

(٤) الشغشغة : تحريك السِّنان فى المطعون . القاموس « ش غ غ » .

(٥) الهلقام : الضخم الطويل . القاموس « هـ ل ق م » .

(٦) السَّرعرع : الطويل . القاموس « س ر ع » .

(٧) القلهزم : الرجل المربوع ، والقصير . القاموس « ق ل ز م » .

(٨) الغضنفر : الغليظ الجثة . القاموس « غ ض ف ر » .

(٩) أى : الشديد القوى . القاموس « د م ك » .

(١٠) أى : العظيم الجبهة . القاموس « ق ن خ ر » .

(١١) العلندى : الغليظ من كل شيء . القاموس « ع ل د » .

(١٢) الضباضب الدُّلامز : القوى الماضى . القاموس « ض ب ب ، د ل م ز » .

(١٣) الصُّنُّع : العظيم الجبهة . القاموس « ص ن ع » .

(١٤) العَشَوزن : الغليظ من الإبل . كذا فى القاموس « ع ش ز » .

(١٥) الإجفيل : الجبان ، والظَّليم ينفر من كل شيء . القاموس « ج ف ل » .

(١٦) جمع عارة : وهى ما تداولوه بينهم . القاموس « ع و ر » .

(١٧) من اللَّبب : وهو المنحر . القاموس « ل ب ب » .

(١٨) ألبَّت : أقامت . القاموس « ل ب ب » .

(١٩) هام : خرج على وجهه لا يدرى أين يتوجه . المصباح المنير (ص ٣٣٢) .

(٢٠) فى القاموس « هـ ى م » : الهيماء : المفازة بلا ماء . اهـ .
فلعل المصنف - رحمه الله - يقصد الهيماء . والله أعلم .

(٢١) أى : فتحت . القاموس « ف غ ر » .

(٢٢) رغا البعير : صوتت فضجت . القاموس « ر غ و » .

الأرواح قد فرغت ، فخضبت الدماء محاسن وجوه طالما صبرت على برد الماء وقت الإسباغ ، وطارت الرءوس التى طالما أطرقت وقت الأسحار ، فلو رأيت رِجْل الرجل التى طالما قامت فصَلَّت قد فُصلت ، واليد التى بالدعاء رفعت قد وقعت ، والبطن الذى حمل بالصيام ما شَقَّ قد شُق ، والكبد التى كابدت ظماء الهواجر قد فرتها الكبداء[١] ، والعين التى كانت تعين الحزين بالفيض فى منقار طائر ، وقد عادت خيولهم خلية عنهم فوطئتهم بعد السَّنا[٢] تحت السنابك[٣] ، فصاروا بعد علوهم على السيساء[٤] تحت الملطاس[٥] ، واقتسم لحومهم عقبان[٦] السماء وسباع الأرض ، هذه صفة الأجسام .

فأما الأرواح ففى دار السلام ، أمنوا من عتاب الونا[٧] فما يفرقون[٨] ، ورووا من شراب المنى فما يشرقون ﴿ **أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩] كأنك بأجسادهم[٩] التى تمزقت قد تلفقت[١٠] ، وبالقبور التى قد ضمتهم قد تشققت ، فيقومون وقد انفجرت جرائح المَسْك[١١] كروائح المِسْك ، فيقفون حول العرش بالسلاح يفاخرون أهل الصلاح ، فيقال : قد بذلتم النفوس وهى الغاية فاخلدوا فى نعيم ما له نهاية ، علق القوم نشاب[١٢] الشهادة على دور

---

(١) أى : المشقة والشدة . القاموس « ك ب د » .

(٢) أى : الرفعة . القاموس « س ن ا » .

(٣) جمع سنبك : وهو طرف الحافر . القاموس « س ن ب ك » .

(٤) السِّيساء من الفرس : حاركه ، ومن الحمار : ظهره . القاموس « س ى س » .

(٥) المِلطاس : خف البعير وحافر الفرس إذا كان وقاحًا . القاموس « ل ط س » .

(٦) جمع عُقاب : وهو طائر من الجوارح أنثى . المصباح المنير (ص ٢١٨) ، والقاموس « ع ق ب» .

(٧) كذا فى الأصل على صورة الممدود ، وأصلها بالياء وقد يمد ، أشار إليه صاحب القاموس .
والونى : الفتور والضعف . القاموس « و ن ى » ، والمعجم الوجيز (ص ٦٨٢) .

(٨) أى : فما يفزعون . القاموس « ف ر ق » .

(٩) فى الأصل « باجساد » .

(١٠) لفق الثوب : ضم شقة إلى أخرى فخاطهما . القاموس « ل ف ق » .

(١١) المَسك : الجلد . القاموس « م س ك » .

(١٢) النُّشَّاب : النبل . القاموس « ن ش ب » .

الأبدان فلم يقربها نزل عتاب ولا عقاب ، ولم يرض لكمالهم أن يُصلى عليهم ناقص ، أنفت من براقع[١] الخز[٢] والقز[٣] خدود قد برقعوها بورد .

فصل

إخوانى إطلاق البصر سبب حبس القلب ، درن[٤] بصر داود بتلك النظرة ، فنفدت الدموع وما بقى المحل .

عَيناى أعَانَتا عَلَى سَفْك دَمِى	يا لَذَّة لَحظَة أطَالَتْ ألَمِى
كَمْ أنْدم حينَ لا يُغْنِى نَدَمِى	وَيْلى ثَبَتَ الهَوَى وَزَلَّت قَدَمِى
إنْ سِرْتَ فقِفْ عَلَى الغَضَا والسَّلَم[٥]	وانْشُد قَلْبى هُنَاك عِندَ العَلَمِ
واحْذَر بالرَّمل مِنْ ظِباءِ الخِيَمِ	مَا يَرجعُ لَحظُهن عَنْ سَفْك دَمى

إياكم والعيون الملاح ؛ فإنها عيون ملاح ، كم ناظر قد خرب ضياع القلوب ؟! كم أوقع خَلخال[٦] خريدة[٧] فى خَلخال حديدة ؟! ما نفشت غنم العيون النواظر فى زروع الوجوه النواضر[٨] إلا وأغير على السرح[٩] ، أما علمتم أن المحاجر[١٠] فى المعاجر[١١] خناجر على حناجر ، جراحة الناظر / إلى الحرام سمحاق[١٢] ، فإن ٢٤/أ

(١) جمع بُرقع : وهو قناع الوجه للنساء . المعجم الوجيز (ص ٤٦) .

(٢) الخز من الثياب :ما ينسج من صوف وحرير خالص . المعجم الوجيز (ص ١٩٤) .

(٣) القز :الحرير على الحال التى يكون عليها عندما يستخرج من الصُلَّجة .المعجم الوجيز (ص ٥٠٠).

(٤) الدَّرن : الوسخ أو تلطخه . القاموس « د ر ن » .

(٥) الغضا والسلم : شجر . القاموس « غ ض ى ، س ل م » .
والغضى يائى كما فى القاموس على خلاف ما جاء فى الأصل .

(٦) خَلخال : حلية كالسوار تلبسها النساء فى أرجلهن . المعجم الوجيز (ص ٢٠٦) .

(٧) الخريدة : اللؤلؤة لم تثقب . المعجم الوجيز (ص ١٩٠) .

(٨) فى الأصل بالظاء المشالة هكذا : « النواظر » .

(٩) السَّرح : المال السائم ، وسوم المال . القاموس « س ر ح » .

(١٠) المحاجر جمع محجر : وهو من العين : ما دار بها وبدا من البرقع ، أو ما يظهر من نقابها . القاموس « ح ج ر » .

(١١) العجاز : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها . المعجم الوجيز (ص ٤٠٧) .

(١٢) السَّمحاق : القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس إذا بلغتها الشجة سميت سمحاقًا . المصباح المنير (ص ١٥٠) .

مشى إلى المعصية فهاشمة[١] ، فإن لمس فمنقلة[٢] ، فإن زنى فآمة[٣] .

فصل

يا راقدًا فى نوم الغفلة مشغولاً بأحلام الأمل ، أنت تجود بالعمر فى اللهو جود حاتم[٤] ، وتبخل بالصدقة بخل الحُباحِب[٥] ، وتلج فى أغراضك لجاج[٦] الخنفساء ، وتنام عن مصالحك نوم عبُود[٧] ، وتعد بالتوبة وعد عُرقوب[٨] ، والزمان يأكل عمرك أكل السوس ، وكأنك بالموت أسرع من طرف يحملك إلى قبر أوحش

---

(١) الهاشمة : هى الشجة التى تهشم العظم . المصباح المنير (ص ٣٢٩) .

(٢) المنقلة : التى تنقل منها فَراش العظام وهو ما رق منها . المصباح المنير (ص ٣٢٠) .

(٣) الآمة : الشجة التى تصل إلى أم الدماغ ، وهى أشد الشجاج ، قال ابن السِّكيت : وصاحبها يصعق لصوت الرعد ولرغاء الإبل ولا يطيق البروز فى الشمس . المصباح المنير (ص ١٧) .

(٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى يضرب به المثل فى الجود وكثرة الكرم .

(٥) كان أبو حُباحب من محارب ، وكان لا يُوقد ناره إلا بالحطب الشَّخت ، لئلا ترى . القاموس « (ص ٩١ - ٩٢) .

(٦) اللجاج : التمادى والخصومة . المعجم الوجيز (ص ٥٥١) ، والقاموس « ل ج ج » .

(٧) فى حديث معضل : « إن أول الناس دخولاً الجنة عبدٌ أسود يقال له : عبُود ، وذلك أن الله - عز وجل - بعث نبيًّا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن به أحد إلا ذلك الأسود ، وأن قومه احتفروا له بئرًا فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرة ، فكان ذلك الأسود يخرج فيحتطب فيبيع الحطب ويشترى به طعامًا وشرابًا ، ثم يأتى تلك الحفرة فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيرفعها ويدلى له ذلك الطعام والشراب ، وإن الأسود احتطب يومًا ثم جلس ليستريح فضرب بنفسه الأرض شقه الأيسر فنام سبع سنين ، ثم هب من نومته وهو لا يرى إلا أنه نام ساعة من نهار فاحتمل حزمته فأتى القرية فباع حطبه ، ثم أتى الحفرة فلم يجد النبى فيها ، وقد كان بدا لقومه فيه فأخرجوه فكان يسأل عن الأسود فيقولون : لا ندرى أين هو . فضرب به المثل لمن نام طويلاً . القاموس (ص ٣٧٨) .

وأورد الحافظ ابن كثير قصته فى قصص الأنبياء (ص ٢٨٠ - ٢٨١) وعزاه إلى ابن جرير الطبرى بسنده عن محمد بن كعب القرظى ، وقال فى آخره : فإنه حديث مرسل ، ومثله فيه نظر ، ولعل بسط قصته من محمد بن كعب القرظى . والله أعلم .

(٨) هو عُرقوب بن صخر أو ابن معبد بن أسد من العمالقة ، أكذب أهل زمانه ، وأتاه سائل فقال : إذا اطلع نخلى . فلما اطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى ، فلما أزهى قال : إذا أرطب ، فلما أرطب قال : إذا أتمر . فلما أتمر جدَّه ليلاً ولم يعطه شيئًا . وقال جُبَيهاء الأشجى :

وعدتَ وكان الخُلف منك سجيَّة   مواعيد عُرقوب أخاه بيَترَب

و« شر ما أجاءك إلى مُخَّةِ عُرقوب » يضرب عند طلبك من اللئم . القاموس (ص ١٤٦) .

من بومة ، تلقى فيه أذل من نعل ، فـتندم على التفريط ندامة الكُسَعى[١] ، وتقوم يوم حشرك بخفى حنين[٢] .

فصل

إذا تأيمت الأرض من زوج القطر ، ووجدت لفقد اتفاقه مس الجدب ، أحدَّت فى ثياب ﴿ ترى الأرض خاشعة ﴾ [سورة فصلت: ٣٩]. فتلازم حفش[٣] الصبر ، فإذا ضج أطفال البذر وقـوى فقر القواء[٤] القفر مـدت أكف الطلب تستعطى شكاة السحاب ، فهبت الجنوب[٥] من جناب اللطف، فسحبت ذيل النسيم على صهيح[٦] الصحـارى ، فحركت جوامـد الحلامد[٧] ، وانتبـه وسنان العيـدان لقبول تـلقيح اللواقح[٨] ، فلبس الجو مطرفه الأدكن[٩] ، وأرسل خيَّالة[١٠] القطر شاهرة أسياف البرق ، فأنذر بالقادم صوت الرعـد ، وقام فراش الهوى فرَشَّ خيش[١١] النسيم ،

---

(١) هو غامد بن الحارث الكُسَعىُّ الذى اتخذ قوسًا وخمـسة أسهم وكَمَن فى قُترة (ناموس الصائد) فمر قطيع فرمى عيرًا فأمخَطه السـهم وصدم الجبل ، فأورى نارًا فظن أنه قد أخطأ ، فرمى ثانيًا وثالثًا إلى آخرها ، وهو يظن خطأه ، فعـمد إلى قوسه فكسرها ثم بات ، فلمـا أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة وأسهمه بالدم مدرجة ، فندم فقطع إبهامه وأنشد :

ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذًا لقطعت خمسى
تبيَّن لى سفاهة الرأى منى لعمر أبيك حين كسرت قوسى

القاموسى (ص ٩٨٠) .

(٢) وذلك أن إسكافًا ساومه أعرابى بخُفين ، فلم يشتره ، فغاظه وعلق أحد الخفين فى طريقه وتقدم وطرح الآخر ، وكَمَن له ، فرأى الأول فقال : ما أشبـهه بخف حُنين ولو كان معه آخر لأخذته ، فتـقدم ورأى الثانى مـطروحًا فعقل بعـيره ورجع إلى الأول ، فذهـب حُنين ببعيـره ، وجاء الأعرابى إلى الحى بخفى حنين ، فذهب مثلاً . القاموس (ص ١٥٣٨) .

(٣) حَفش السَّنام : أخذته الدبرة فى مقدمه ، فأكلته من أسفله إلى أعلاه ، وبقى مؤخره صحيحًا . القاموس « ح ف ش » .

(٤) القواء : قفر الأرض . القاموس « ق و و » .

(٥) الجَنوب : ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثُّريا . القاموس « ج ن ب ».

(٦) كذا فى الأصل ، وفى القاموس « ص هـ ج » : الصيهج : الأملس .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى القامـوس « ج ل م د » : الجلمد : الصخر . والجلامد جمـع جلمد كما فى المعجم الوجيز (ص ١١٣) .

(٨) فى القاموس « ل ق ح » : ألقحت - أى : قبلت اللقاح - الرياحُ الشجر فهى لواقح . اهـ .

(٩) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . القاموس « ط ر ف » .

الأدكن : لون إلى السواد . القاموس « د ك ن » .

(١٠) فى القاموس « خ ى ل » : السحابة المُخيِّلة : التى تحسبها ماطرة . اهـ .

(١١) الخَيش : ثياب فى نسجهـا رقة ، وخيوطها غلاظ من مشاقـة الكتان ، أو من أغلظ العصب . القاموس « خ ى ش » .

فيستعير السحاب جفون العشاق و أكف الأجواد ، فتمتلئ الأودية أنهارًا ، كلما لمستها كف النسمة حلى سلسالُها[١] سلاسل الفضة ، فينعقد بين الأرض وبعل[٢] القطر عِقد حَبِّ الحُب ، فلا يزال السحاب يسقى در[٣] البذر ، وكلما احتاج إلى فضل قوت كر الرك[٤] وشط[٥] الطش[٦] ودق الوَدْق[٧] فطم[٨] إلى أن فُطم الطفل ، فكم نهضت من الغُروس[٩] عروس بين يديها الأوراق كالوصائف[١٠] ، فالورد يحاكى لون الخجل ، والياسمين يصف اصفرار الوجل[١١] ، والليفونر[١٢] يغفى وينتبه ، والأغصان تعتنق وتفترق ، وقد ضرب الربيع جل ناره فى جلناره[١٣] ، وبثت الأراييح[١٤] أسرارها إلى النسيم فنم[١٥] ، واجتمعت فنون القيان[١٦] ، فعلى كل ذى فن على فنن[١٧] ، فتطارحت الأطيار مناظرات السجوع[١٨] ، فأعرب كل

---

(١) السَّلسال : الماء العذب الصافى السلس السهل ، إذا شُرب تسلسل فى الحلق . المعجم الوجيز (ص ٣١٧) .

(٢) البَعل : الزرع يشرب بعروقه ، فيستغنى عن السقى . المعجم الوجيز (ص ٥٦) .

(٣) الدَّر : النَّفس . القاموس « د ر ر » .

(٤) كر الرَّكِّ : رجع المطر القليل . القاموس « ك ر ر ، ر ك ك » .

(٥) شط : بَعُد . القاموس « ش ط ط » .

(٦) الطَّش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . القاموس « ط ش ش » .

(٧) الوَدق : المطر . القاموس « و د ق » .

(٨) فى القاموس « ط م م » : طمَّ الماء : غمر . اهـ .

(٩) أى :المغروس من الشجر . المعجم الوجيز (ص ٤٤٨) .

(١٠) جمع وصيفة : وهى الخادمة . القاموس « و ص ف » ، والمعجم الوجيز (ص ٦٧١) .

(١١) أى : الخوف . المعجم الوجيز (ص ٦٦١) .

(١٢) كذا فى الأصل ، وفى القاموس « ن ف ر » : النيلوفر ويقال : النينوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة . اهـ .

(١٣) فى الأصل : « حلناره » بالحاء .
والجُلَّنار : زهر الرمان ، معرب كُلّنار . القاموس « ج ل ن ر » .

(١٤) جمع أرواح ، وأرواح جمع ريح . القاموس « ر و ح » .

(١٥) أى : أشاعه . القاموس « ن م م » .

(١٦) جمع قين : وهو العبد . القاموس « ق ى ن » .

(١٧) أى : غصن . القاموس « ف ن ن » .

(١٨) أى : تردد الصوت .القاموس « س ج ع » .

بلغته عن سوقه إلى إلفه ، فالحمام يهدر ، والبلبل يخطب ، والقمرى[١] يرجع ، والمكاء[٢] يغرد ، والأغصان تتمايل كلها شكر الذى بيده عقدة النكاح ، فحينئذ يجد المشتاق ضالة وجده .

لِى بِذَاتِ البَانِ[٣] أَشْجَانُ ... حَبَّذَا مِنْ أَجْلِها البَانِ[٤]

فصل

غلبت حرارة الخوف على قلب داود فصار كفه كيرًا ﴿ **وألنا له الحديد** ﴾ [سورة سبأ : ١٠] . وقويت روحانية محمد / فنبع الماء من بين أصابعه[٥] . ٢٤/ب

لَوْلاَ مَدَامِعِ أَقْوَامٍ ولَوْعَتُهم[٦] ... لبَانَ فِى النَّاسِ عزُّ المَاءِ والنَّارِ

فكُلُّ[٧] نارٍ فَمِن أَنْفَاسِهِم قُدِحَتْ ... وكُلُّ ماءٍ فَمِنْ أَجْفَانِهِم جَارِى

صعداء الأنفاس تنفخ حراق الخوف فتشتعل نار الوجد .

خُذِى حَدِيثَك فِى نَفْسِى مِنَ النَّفس ... وَجْدُ المشُوق المعَنَّى غَيْرَ مُلْتبس

المَاءُ فى نَاظِرِى والنَّارُ فِى كَبِدِى ... إنْ شِئْتِ فاغْتَرِفى أو شِئْتِ فَاقْتَبِسى

كان محمد بن المنكدر يبكى ليلاً ونهارًا ، ويقول : آية فى القرآن أبكتنى ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [سورة الزمر : ٤٧] . سبقت السعادة

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى القاموس « ق م ر » : القُمرية : ضرب من الحمام . اهـ .

(٢) المُكَّاء : طائر . القاموس « م ك و » .

(٣) ذات البان : موضع .

(٤) البان : شجر ، ولحب ثمره دهن طيب ، وحبه نافع للبرش والنمش والكلف والحَصَف والبهق والسَّعَفة والجرب ، وتَقشُّر الجلد طلاء بالخل ، وصلابة الكبد والطِّحال شربًا بالخل ، ومثقال منه شربًا مقيئ مطلق بلغمًا خاصًا . القاموس « ب و ن » .

(٥) أخرجه البخارى (١ / ٦١) ح (٢٠٠ - فتح) ، ومسلم ح (٢٢٧٩) ، كلاهما من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس مرفوعًا .
ولفظ البخارى : عن أنس أن النبى ﷺ دعا بإناء من ماء ، فأتى بقدح رحراح فيه شيء من ماء ، فوضع أصابعه فيه ، قال أنس : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه . قال أنس : فحزرت من توضأ ما بين السبعين إلى الثمانين .

(٦) اللَّوعة : حرقة فى القلب ، وألم من حب ، أو هم ، أو مرض . القاموس « ل و ع » .

(٧) قبلها فى الأصل كلام غير واضح ، لكن السياق منتظم بدونه .

لمحمد قبل كونه ، وقضيت الشقاوة لأبى جهل قبل وجوده ، هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى .

كان الحسن يبكى ويقول : أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى .

أترى سألوا لما رحلوا ماذا فعلوا أم من قبلوا ؟! وعدوا فطمعتُ غداة سمعتُ مُنىً ، وقنعت بما بذلوا أدنى جزعى ، لم يبق معى قلبًا فيعى منذ احتملوا ، جلَدى سلبوا ، جسدى نهبوا ، كمدى[١] وهبوا ، كبدى بتلوا[٢] ، عينى حلبوا[٣] ، حينى[٤] جلبوا ، بينى طلبوا لو قد وصلوا .

لما ذرفت عينى وقفت أتُرى عرفت ما بى إلا بى ؟! ولحى اللاحى[٥] وهو الصاحى[٦] ، وهمُ راحى وأنا الثمل[٧] .

فصل

لو تيقظت وقت السحر رأيت ركائب الأحباب ، إذا راح باكر الصبا من أكناف نجد باح ذاكر الصبى بأصناف الوجد ، اجتمعوا فى مساجد التعبد أول الليل فرماهم الوجد فى آخره على قوارع الطرق .

مَشَوْا إلى الرَّاحِ[٨] مَشْىَ الرُّخِّ[٩] وانْصَرَفُوا والرَّاحُ تَمْشِى بِهِمْ مَشْىَ الفَرَازِين[١٠]

---

(١) الكَمْد - بالفتح وبالتحريك - : تغيُّر اللون وذهاب صفائه ، والحزن الشديد ، ومرض القلب منه . القاموس « ك م د » .

(٢) أى : قطعوا . القاموس « ب ت ل » .

(٣) الحَلب ويحرك : استخراج ما فى الضرع من اللبن ، القاموس « ح ل ب » .

(٤) الحين : الهلاك والمحنة . القاموس « ح ى ن » .

(٥) أى : لام اللائم . القاموس « ل ح ى » .

(٦) الصَّحو : ذهاب الغيم والسُّكر . القاموس « ص ح و » .

(٧) أى : السكران . القاموس « ث م ل » .

(٨) فى القاموس « ر و ح » : راح للمعروف يراح راحة : أخذته له خفة وأريحية . اهـ .
أو لعل الراح من الرواح : وهو المسير أى وقت كان من ليل أو نهار . المصباح المنير (ص١٢٧).

(٩) الرُّخ : من أدوات الشطرنج . القاموس « ر خ خ » .

(١٠) الفرازين جمع فرزين ، وفى القاموس « ف ر ز ن » : فِرزان الشِّطرنج معرب فَرزين . اهـ . فهى من أدوات الشطرنج كذلك .

تائبهم يقول : اعف عنى وأقلنى عثرتى ، ومفرطهم يصوت : ما ضاع من أيامنا هل يغرم ؟ ومتعبدهم يتمثل : تريدين لُقْيان المعالى رخيصة ، وباكيهم يستغيث : فضلت دموعى عن مدى حزنى ، وخائفهم يصيح : علَّمت بالهجر حينى[١] هجر مضجعه ، وحزينهم يهتف : سقيننى دمعى وما يروى به ظمئى ، ومتقلقلهم ينشد : لا تبرِ عودًا أنت ريشته ، ومتململهم يرجع : شجوًا كشجوى يا حمام ساعدى ، والعارف يزمزم : وهبت السلو لمن لامنى ، ومشتاقهم يتمنى : وعلِّلانى[٢] بحديث حاجى ، ومضناهم يتنفس الصبا إن كان لا بد الصبا ، ومكمدهم[٣] يتأوه : عندى رسائل شوق لست أذكرها ، ومنبسطهم يخاطر : أنت النعيم لقلبى والعذاب له .

فصل

شهوات الجنة لمتعلقى / القلوب بها ، فأما ظمآن الشوق فما يرويه نهر ولا يسليه[٤] قصر ، الأطفال يقرأون ما كتبوا فى ألواحهم ، والبالغون أناجيلهم فى صدورهم ، العباد يطلو[٥] لنا فى المحاريب[٦] ، والعارفون يسألون عنا القلوب ، الديوان[٧] للعوام ، وباب الحجرة للخاص ، يا من يتعب فى التعبد ولا يجد له حلاوة ، أنت بعد فى سواد البلد اخرج إلى البادية تجد نسيم نجد . ١/٢٥

هَلْ لَكَ بالنَّازِلين أرْضَ مِنَى ... يَا عَلَم الشُّوقِ بَعْدَنا عِلْم

كانت أعمالهم صافية وأعمالك كدرة ، يا مظهرًا من الخشوع ما ليس فى باطنه لا تبع ما ليس عندك ، الرياء عيب فى رئة الإيمان يُسل[٨] المرض

---

(١) أى : محنتى . القاموس « ح ى ن » .

(٢) علَّل فلانًا بطعام أو غيره : شغله به ولهَّاه . المعجم الوجيز (ص ٤٣١) .

(٣) الكمد : الحزن الشديد .القاموس « ك م د » .

(٤) يسليه : يطيب نفسه .المعجم الوجيز (ص ٣٢٠) .

(٥) أطلَّ عليه : أشرف . المعجم الوجيز (ص ٣٩٤) .

(٦) جمع مِحراب : وهو صدر المجلس وأكرم موضع فيه ، وهو مقام الإمام فى المسجد . المعجم الوجيز (ص ١٤٢) .

(٧) هو مكان اجتماع الكتبة . المعجم الوجيز (ص ٢٤٠) .

(٨) سلَّه الداء : أصابه . المعجم الوجيز (ص ٣١٩) .

إلى السلال[١] ، سحائب تفهيمى قد هطلت بودق[٢] البيان ، أفتراها اخضرَّت رياض الأذهان ؟! القطر عام غير أن حكم السَّبَخ[٣] غير حكم الحُرّ[٤] ﴿ **تسقى بماء واحد** ﴾[٥] [سورة الرعد : ٤] . أطيار البلاغة قد خرجت من برج قلبى فوقعت على غصن لسانى ، نستريح إلى التغريد فأين الطروب ، ولقد أشكوا فما أفهمها ولقد تشكوا فما تفهمنى .

فصل

المحبوب محبوب وإن جنى ، مطلوب وإن بعد ، استطال الصولجان[٦] فنال كف الملك ، ثم انحنى ليقبل خد الكرة ، فاستدارت لتكون كلها خداً تعفره بين يديه ، فهو يطلبها بالضرب ، فتلقى من الصولجان صول جان ، ثم يسرع فى طلبها بعد صبرها على البلاء ، يا آدم اهبط ، « **ينزل إلى السماء الدنيا** »[٧] ، جاءت السحرة تحارب ، وخِلَعُ الصلح قد جُيِّبَتْ[٨] ، وتيجان الرضا قد رصعت[٩] ،وشراب

(١) أى السُّل : هو قرحة تحدث فى الرئة ، إما تُعقب ذات الرئة أو ذات الجنب ، أو زكام ونوازل ، أو سعال طويل ، وتلزمها حمى هادئة . القاموس « س ل ل » .

(٢) هو المطر . القاموس « و د ق » .

(٣) فى الأصل : « السبح » بالحاء ، ولعل ما أثبته هو الصواب .

والسَّبَخ : الأرض الملحة . المصباح المنير (ص ١٣٨) ، والقاموس « س ب خ » .

(٤) الحُرّ من الرمل : ما خلص من الاختلاط بغيره . المصباح المنير (ص ٧٠) .

وفى القاموس « ح ر ر » : الحُرِّيَّة : الأرض اللينة الرملية . اهـ .

(٥) هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو ، وقرأ حمزة والكسائى ﴿ تُسقى ﴾ أيضًا ممالة القاف ، وقرأ عاصم وابن عامر ﴿ يُسقى ﴾ السبعة فى القراءات (ص ٣٥٦ - ٣٥٧) .

(٦) هى عصا يحملها الملك ، ترمز لسلطانه .

وهى كذلك : عصًا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة . المعجم الوجيز (ص ٣٧٤) .

(٧) يشير المصنف - رحمه الله - إلى ما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » .

أخرجه البخارى (٢ / ٦٦) ح (١١٤٥ - فتح) ، ومسلم ح (٧٥٨) .

(٨) أى : وضعت على جيب القميص - أى : طوقه - .

(٩) أى : حُلِّيت . فكل حلية مستديرة يحلى بها التاج وغيره يقال لها : رصيعة . المعجم الوجيز (ص ٢٦٦) .

الوصال يروق[1] ، مدوا أيديهم إلى ما اعتصروا من خمر الهوى ، فإذا به قد استحال خلاً فأفطروا عليه ، وا عجبًا لسُكارى من شراب الحب ، عربدت عليهم المحبة فصلبوا فى جذوع النخل .

عَذَابُه فِيكَ عَذْبُ وبُعْدُه فِيكَ قُرْبُ

فصل

أيها التائب لا تستصحب إلا حزينًا يبكيك ، ما يصلح لمرافقة الثكلى[2] إلا مثلها ، لما خرجت أزهار الربيع طلب الورد رفيقًا من النبات يأنس به لما نبَت ، فنبت[3] كلها عن صحبته ، وقالت : أنت ملول لا يقيم على مودة . فصاح به الياسمين : أنت صاحبى قد اشتركنا فى قصر العمر . فأشر أنت إلى التائب باحمرار الخجل حتى أشير أنا إلى الخائف باصفرار الوجل ، لو علم الورد قصر عمره ما تبسم ، وكذلك الوغد[4] ، أيها المذنب قف بالباب إذا نام الناس ، وابسط لسان الاعتذار ونكس الرأس ، وامدد يد السؤال ولا باس ، وقل : ليس عندى سوى الفقر والإفلاس ، يا سندى وسيدى وعُدَدى ، قد / أوهن طردكم وبعدى جلدى ، وا كبدى من الخطا وا كبدى ، من ينقذنى قتلت روحى بيدى . ٢٥/ب

فصل

ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون ؟ ما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون ؟ كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون ؟ أين من كان قبلكم ؟ ألا تتفكرون ؟ أما رأيتم كيف نازلهم نازل المنون[5] ﴿ **فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون** ﴾ [سورة يس : ٥٠] . أتسكنون إلى سكنى دار ما تسكنون ، لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون ، كأنكم بالآلام قد اعترضت ، وبالأجسام قد انتقضت ، وبالأوصال قد فُصِّلت ، وبالخصال قد حُصِّلت ، فرحم الله عبدًا أعتق نفسه من رق شهواتها

---

(١) أى : يصفى . القاموس « ر و ق » .

(٢) أى : التى فقدت ولدها ، المصباح المنير (ص ٤٧) .

(٣) أى : بَعُدت . المصباح المنير (ص ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٤) أى : الدنىء من الرجال . المصباح المنير (ص ٣٤٣) .

(٥) أى : الدهر . المصباح المنير (ص ٢٩٩) .

ونظر لها قبل مماتها ، وأخذ من جدته عتادًا لفقره ، وادخر من صحته زادًا لقبره ، قبل أن يفوت زمان الاستدراك ، لوقوع الهلاك قبل عزة الفكاك[١] عند عز الأشراك[٢] ، قبل أن يَعْلق الوهن ، ويغلق الرهن ، ويحبس النفس ، ويفرس[٣] الفارس والفرس ، فكأنكم بالموت قد حل العِرَاص[٤] ، وأنشب مخالبه فى الأرواح للاقتناص ، وأشخص عن هذه الديار هذه الأشخاص ، وأسر فقسر وعز الخلاص، وأنزلكم الفلاة ، فلات حين مناص[٥] .

ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص ، وإذا الخلائق قد حشرت ، وإذا الصحائف قد نشرت ، وإذا جهنم قد سيقت ، ومرارة الندم قد ذيقت ، فتتمنطق[٦] بكم حينئذ قبائحكم ، وتستنطق يومئذ عليكم جوارحكم ، وتنشر حين القضاء فى القضاء فضائحكم ، فيا خجل المقصرين ، ويا أسف المذنبين ، ويا حسرة المفرطين ، ويا سوء منقلب الظالمين .

فصل

أين الذين سادوا وشادوا أوطانًا ، وحكموا وأحكموا بنيانًا ، وجمعوا فحشدوا أموالاً وأعوانًا ،وغفل كل منهم عن مصيره وتوانى ، عوضوا بأرباح الهوى خسرانًا ، وبدلوا بإعزاز التجبر هوانًا ، وأخرجوا عن ديارهم بعد الجموع وحدانًا، وما استصحب الجموع للذهب إذ ذهب إلا أكفانًا ، يحملون على الأعناق ولا يسمون ركبانًا ، وينزلون بطون الألحاد ولا يحسبون ضيفانًا ، متقاربين فى القبور ولا يعدون جيرانًا ، أو ليس قد رأينا كيف ينقلون وما وعظنا ولا كفانا ؟! فيا من قد بقى من عمره القليل ، ولا يدرى متى يقع الرحيل ، كأنك بطرفك حين

---

(١) أى : الخلاص . القاموس « ف ك ك » .

(٢) أى : المشارك .القاموس « ش ر ك » .

(٣) أى : يقتل . القاموس « ف ر س » .

(٤) جمع عَرَصَة : وهى كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . القاموس « ع ر ص » .

(٥) المناص : الملجأ . المفردات (ص ٥١٠) .

(٦) تمنطق : لبس المنطقة – وهى ما يشد به الوسط – . المعجم الوجيز (ص ٦٢٢) .

الموت يسيل[١] ، والروح تنزع والكرب ثقيل ، والنقلة قد أزفت وأين المقيل[٢] ، يا من تعد عليه أنفاسـه استدركها ، يا من ستفوت أيامـه أدركها ، أعز الخلق عليك نفسك فـلا تهلكهـا ، كم أغلقت بابًا على قـبـيح ؟! كم أعرضت عـن قبـول النصيح؟! ومـا / يخطر على قلبك نزول الضـريح[٣] ، والوعـيد عندك صـوت الريح، أعظم الله أجرك فى عـمر قد مضى ، مـا رزقت فيه العفـو ولا الرضا ، انقضت فيه اللذات كما انقضى ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضًا .

٢٦/أ

فصل

تنبه أيها الشاب[٤] لاغتنام العمل ، تيـقظ أيها الكهل[٥] قبل خيبة الأمل ، بادر أيها الشيخ[٦] فكأن قد قـيل رحل ، كأنك بالمرض قد ألقاك صـريعًا ، وبالندم قد أبقاك بخيعًا[٧] ، وبالأسف قد ضـربك ضربًا وجيعًا ، وبملك الموت قـد أقبل إليك سريعًا ، والجبين من العرق يرشح[٨] ، والطرف من الفرق[٩] يسفح[١٠] ، والروح فى الفلق[١١] يسبح ، وأنت تبسط كفًّا وتقبض كفًّا ، والملك يكفك عن التصرف كفًّا ، وسفينة الحسرات فى موج العـبرات تتكفا ، ثم يرمى بك فى جانب اللحد وتُحفى[١٢] وتلقى ، ما عـلى الله لا يخفى ، فتـبقى فى تلك الحـفرة كـالمأسور ،

---

(١) أى : يذوب ويسيل كما يسيل الماء .

(٢) المقيل : النوم نصف النهار . القاموس « ق ى ل » .

(٣) أى : القبر . المعجم الوجيز (ص ٣٧٩) .

(٤) هو من أدرك سن البلوغ إلى الثلاثين . المعجم الوجيز (ص ٣٣٣) .

(٥) هو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين . المعجم الوجيز (ص ٥٤٤) .

(٦) هو من أدرك الشيـخوخة ، وهى غـالبًا عند الخمسين ، وهو فـوق الكهل ودون الهَرِم . المعجم الوجيز (ص ٣٥٦) .

(٧) أى : ذليلاً . المعجم الوجيز (ص ٣٨) .

(٨) أى : يعرق . المصباح المنير (ص ١١٩) .

(٩) الفَرِق : الجزع وشدة الخوف . المعجم الوجيز (ص ٤٦٩) .

(١٠) أى : يصب الدمع . المصباح المنير (ص ١٤٥) .

(١١) الفلق قيل : هى الأنهار المذكورة فى قوله تعـالى : ﴿ أم من جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا ﴾ المفردات (ص ٣٨٥) .

(١٢) حفا زيد فلانًا: أعطاه ومنعه ، ضد . القاموس « ح ف و » .

تمضى عليك الأزمان والعصور ، إلى أن ينفخ فى الصور ، هذا وقد سمعت عذاب القبور ، ثم يقوم نادمًا يوم النشور ، والأرض تزلزل والسماء تمور(١) ، والجلود تشهد والنار تفور ، والأسف شديد والكتاب منشور(٢) ، والسؤال دقيق ولست بمعذور ، والحساب قد فصل ﴿ **وحُصل ما فى الصدور** ﴾ [سورة العاديات : ١٠] .

والصراط عجيب لا يشبه الجسور ، وقد ذل وقل وكَلّ(٣) الجَسور(٤) ، فيا له من يوم أهونه صَعق موسى ودك الطور(٥) .

فصل

وِصال الدنيا مقرون بالشتات ، والحياة الشائقة سائقة إلى الممات ، والأغراض فيها أغراض للسهام النائبات(٦) ، وغرور الهوى يقتنص بحبائل الشهوات ، ويكفيكم عظة سلب الآباء والأمهات ، فاجعلوا الفكر فى دجنّات(٧) الهوى مصباحًا ، واذكروا هادم اللذات مساءً وصباحًا ، وتفكروا فى بِلى وجوه قد كُنَّ صباحًا ، فقد أفصحت الغِيَر(٨) بالعبر إفصاحًا .

إخوانى : كيف يغتر من تعد أنفاسه ؟! وكيف يقر من قد قرب اختلاسه ؟! فنيت والله الأيام ، ولكن بخطايا وآثام ، وكأن قد نزل بكم الحمام(٩) ، فأخرجكم عن الأيامى والأيتام ، أول ما يلقاكم عند حلول القبر الندامة ، وآخر ما ترون عند القيام القيامة ، فرحم الله عبدًا علم أن الدنيا دار غرور ، ففارق ما رافق فيها من

---

(١) المور : الجريان السريع . المفردات (ص ٤٧٩) .

(٢) الكتاب المنشور : ما كان غير مختوم من كتب السلطان . القاموس « ن ش ر » .

(٣) أى : ضعف . المعجم الوجيز (ص ٥٣٩) .

(٤) أى : الشجاع الطويل . القاموس « ج س ر » .

(٥) أى : الجبل : المعجم الوجيز (ص ٣٩٧) .

(٦) جمع نائبة : وهى ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة . المعجم الوجيز (ص ٦٣٨) .

(٧) جمع دجنة : وهى الظلمة . المعجم الوجيز (ص ٢٢١) .

(٨) غِيَر الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . المعجم الوجيز (ص ٤٥٨) .

(٩) جمع حِمَم ، والحِمَم جمع حِمَّة : وهى المنية . المعجم الوجيز (ص ١٧٣) .

الشرور ، واختار حَزْن[١] الحزن على سهل السرور ، ولاحظ قرب الآخرة ، فصاحب الصُّور[٢] قد التقم الصور .

فصل

يا من يجمع الأموال ويخبؤها ، ويفعم الأكياس ويملؤها ، ويخدش أعراض الخلائق وينكؤها[٣] ، ثم لا يستحل أهلها ولا يرفؤها[٤] ، يا من حركاته للدنيا قوية ، وللآخرة أبطؤها ، كيف يعجبك دنيا يمر هناؤها ، كل عين تلمحها محبة تفقؤها ، ويا ويح نفس فى الذنوب منشؤها ، والمختار عندها من الأمور أردؤها / . ٢٦/ب

تعصى ليلاً ونهاراً وتنسى من يكلؤها[٥] ، أما ترى سفينة الموت والأمراض تكفؤها ؟ أما علمت أن القبر عن قليل مُناؤها ؟! من لها إذا طلبت فتعذر ملجؤها ، ولازمها من قبائحها أفظعها وأسوؤها ، وبقى فى فيها مرها وذهب أمرؤها ، وأشرقت حينئذ صحف المتقين ، وظهر تلألؤها ففرحوا بما قد حوت وسرهم مخبؤها .

فصل

كم أنزل الموت راكباً عن سرجه ؟! كم نقض بنياناً عن إحكام شرجه[٦] ؟! كم ذبح طائراً فى داخل برجه ؟! كم من ذى حصن حصين لم ينجه ؟! كم حبس مطلقاً فى ضيق فجه[٧] ؟! كم مكر بحكيم وبدد رقعة شِطرنجه ؟! .

إخوانى : أين ذهب الإخوان ؟! أين من كان معنا فى مثل هذا المكان ؟! أما نزعت قمصهم وألبسوا الأكفان ، أما نزلوا اللحود وفارقوا الأوطان ، أما دخل

---

(١) الحَزن : ما غلظ من الأرض وهو خلاف السَّهل . المصباح المنير (ص ٧٣) .
(٢) الصُّور : القرن . القاموس « ص و ر » .
وصاحب الصُّور : هو إسرافيل - عليه السلام - .
(٣) أى : يرميها . المصباح المنير (ص ٣٢٢) .
(٤) يرفؤها : يصلحها . المصباح المنير (ص ١٢٣) .
(٥) أى : يحفظها . المصباح المنير (ص ٢٧٨) .
(٦) أى : مزجه وتماسكه . القاموس « ش ر ج » .
(٧) الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . القاموس « ف ج ج » .

القوم فى خبر كان ، أغبتم أم شربتم بلاذُر النسيان ؟! إلى متى هذا الجور والشطط؟! إلى كم هذا التهافت والغلط ؟! لقد كتب الموت سطور التخويف ونقط، فما قرأت الحروف ولا فهمت النقط ، يا مقيمًا فى أهله وكان قد شَحَط[١]، يا متعرضًا بالمعاصى للمقت والسخط ،أما تجوز على القبور وغدًا أنت فى الوسط ، أبقى تخويف بعد أن أنذرك الشَّمَط[٢] ؟! البدار البدار فأيام الاقتدار لقط[٣] .

فصل

أزف الرحيل وما حصل الزاد ، وقرب التحويل وكلما جاء الزلل زاد ، كأنك بالموت قد صرح وطالما مجمج[٤] ، وأقبل إليك فجد فى السعى وهملج[٥]، وحبس نفسك عن هذا الهواء السجسج[٦]، وغاص بك فى بحر التوى[٧] فأعمق ولجج[٨] ، وكف يديك فى كفن لعله اليوم ينسج، وحملك على النعش بعد الفرس المسرَّج[٩]، ونقلك إلى خشونة اللحد عن لين فرش الهودج[١٠] ، ومحى محاسن ذلك الوجه المنير الأبلج[١١] ، وأسال الطرف الظريف المليح الأدعج[١٢] ، وسقاك

---

(١) أى : بعُد . القاموس « ش ح ط » .

(٢) أى : بياض الرأس يخالط سواده . القاموس « ش م ط » .

(٣) جمع لُقطة : الشىء الذى تجده ملقى فتأخذه .

أو هى : قطعة من الذهب ملء الكف أو أكبر توجد فى المعدن . المعجم الوجيز (ص ٥٦٢).

(٤) أى : لم يبين . القاموس « م ج ج » .

(٥) هملجت الدابة : سارت سيرًا حسنًا فى سرعة . المعجم الوجيز (ص ٦٥٣) .

(٦) أى : الذى لا حر ولا قرّ . القاموس « س ج ج » .

(٧) التوى : الهلاك . القاموس « ت و و » .

(٨) أى : خاض اللُّجَّة - وهى شدة ظلمة الليل وسواده - . القاموس « ل ج ج » ، والمعجم الوجيز (ص ٥٥٢) .

(٩) أى : عليه السَّرج : وهو رحل الدابة [الذى يوضع على ظهرها] . المعجم الوجيز (ص ٣٠٨) وما بين المعقوفين للإيضاح .

(١٠) هو مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء . المعجم الوجيز (ص ٦٤٦).

(١١) أى : الذى تنضَّر سرورًا .المعجم الوجيز (ص ٦٠) .

(١٢) أى : العين الدعجة وهى التى اشتد سوادها وبياض بياضها فاتسعت . المعجم الوجيز (ص ٢٢٨) .

كأسًا من الندم صرفًا لم تمزج ، يا مطمئنًا إلى الدنيا وهو مع اللحظات يزعج ، غدًا تحضر الحساب ونقدك كله بهرج[١] ، يا لرحيلك ما أعجله ، يا لسفرك ما أطوله، يا لطريقك ما أهوله ، يا لعقلك خير منه البله[٢] . آخر الكتاب .

والحمد لله أولاً وآخرًا وصلواته وسلامه وبركاته على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . قال كاتب الأصل : وفرغ من نسخه يوم الأحد الثانى والعشرين من شعبان سنة خمس وأربعين وستمائة ، وفرغ من نسخه ليلة الجمعة (٥) من صفر سـ١٣٠٣ عبد الرحمن بن عثمان آل جلاجل النجدى ، غفر الله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه وللمسلمين آمين[٣] .

---

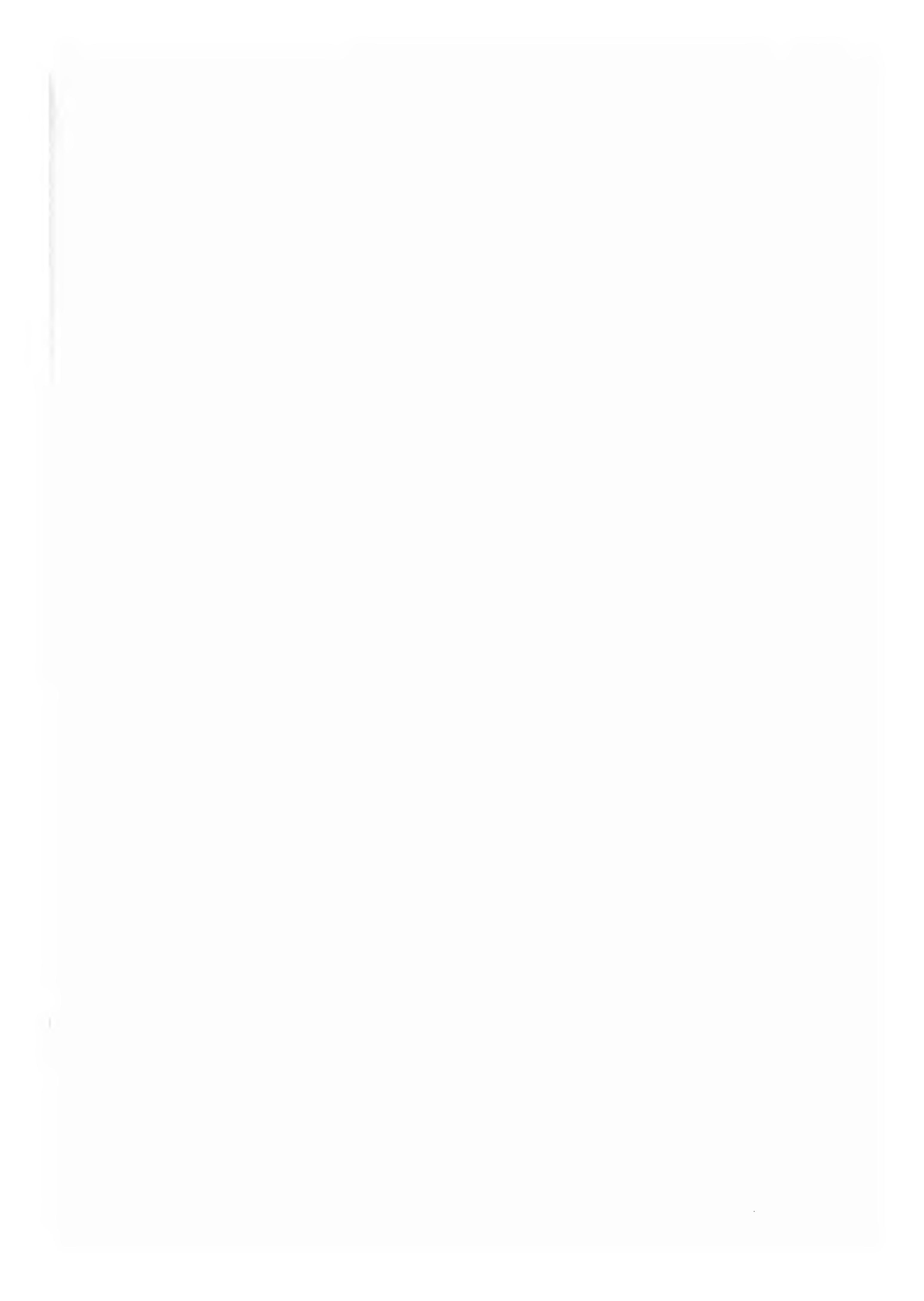
(١) أى : زائف . المعجم الوجيز (ص ٦٥) .

(٢) البَلَه : الحمق . القاموس « ب ل هـ » .

(٣) فى حاشية الأصل اليمنى : « بلغ تصحيحًا على الأصل والله الموفق » .

وفى الحاشية اليسرى : « بلغ تصحيحه على الأصل » ، وتحتها : « وكثيرًا ما يقول فى الحاشية بلغ قراءة على الشيخ الإمام العالم عبد الصمد - رضى الله عنه - آمين . » اهـ .

وبهذا تم كتاب « رءوس القوارير » والحمد لله رب العالمين .



الفهارس العامـــة

لكتاب « رءوس القوارير »



فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾	٣١	٥٣
﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾	٣٧	٣٩
﴿ ادخلوا فى أمم ﴾	٣٨	٥٧
﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾	٤١	١٩
﴿ هدانا لهذا ﴾	٤٣	٥٧
﴿ أتجادلوننى فى أسماء ﴾	٧١	٥٧
﴿ ما سبقكم بها ﴾	٨٠	٥٥
﴿ لنخرجنك ﴾	٨٨	٨٤
﴿ وبين قومنا بالحق ﴾	٨٩	٥٥
﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾	١١٠	٣٧
﴿ فماذا تأمرون ﴾	١١٠	٣٧
﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى ﴾	١٣٧	٣٩
﴿ ألست بربكم ﴾	١٧٢	١١
﴿ لاستكثرت من الخير ﴾	١٨٨	٥٦

سورة الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ليحق الحق ﴾	٨	٥٥
﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾	١٢	٣٦
﴿ ولو علم الله فيهم خيراً ﴾	٢٣	٥٦
﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾	٣١	٤٠
﴿ فأمطر علينا حجارة ﴾	٣٢	٣٩
﴿ وابن السبيل ﴾	٤١	٥٠

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وفيكم سمّاعون لهم ﴾	٤٧	٥٣

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة يس

سورة الصافات

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النازعات

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة التين

سورة العلق

سورة العاديات

سورة العصر

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأشعار

فهـرس الأعـــلام

النســاء

فهرس الموضوعات

فهرس موضوعات رءوس القوارير ١٤٥

فهرس موضوعات رءوس القوارير ١٤٩

ثبت المراجع

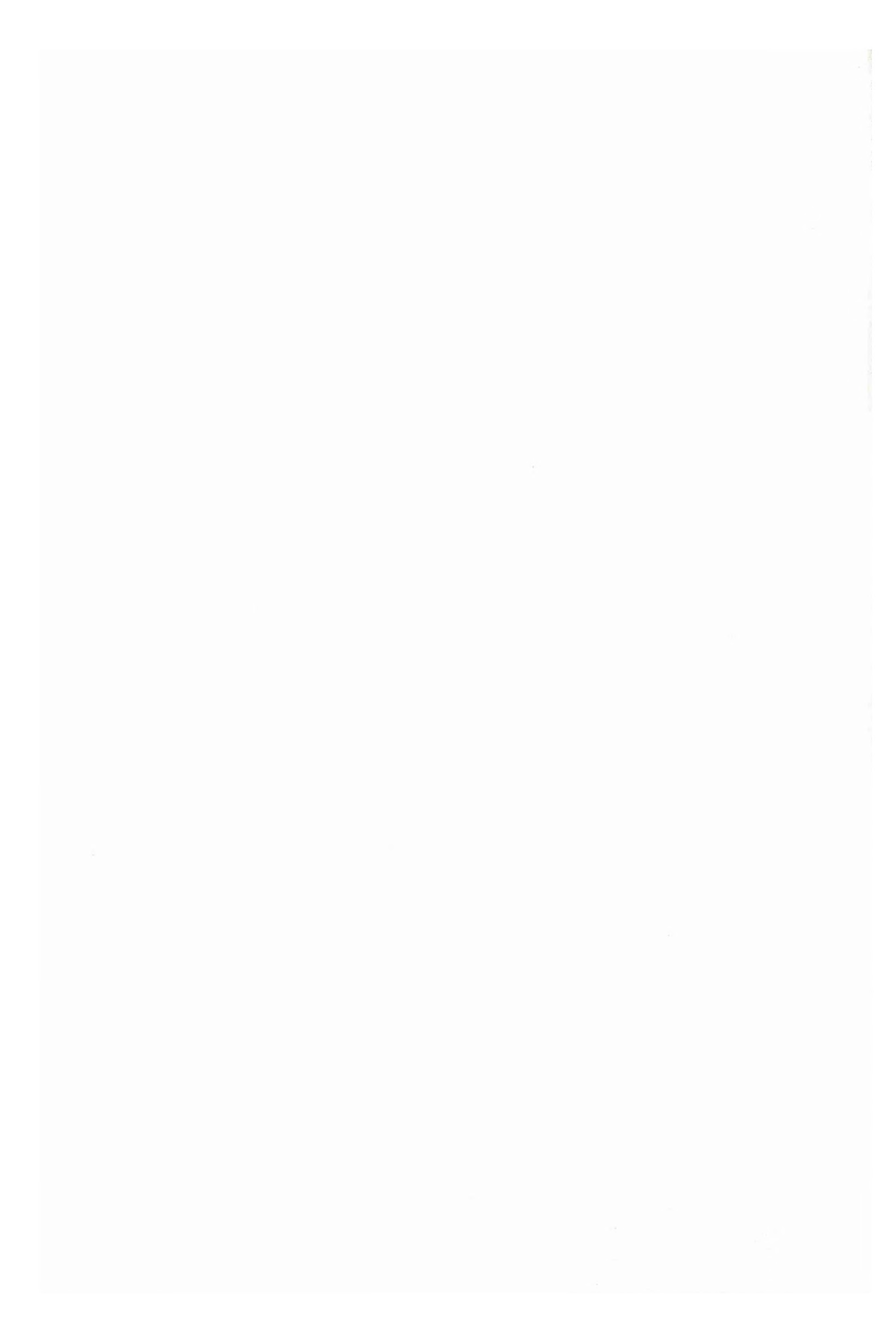
الكتاب	المؤلف	الطبعة
الإحكام	الآمدى ٥٥١هـ	دار الكتاب العربى
الإصابة	ابن حجر ٨٥٢هـ	دار الجيل
اعتقاد أهل السنة	اللالكائى	دار طيبة - الرياض
التاريخ المظفرى	ابن أبى الدم ٦٤٢هـ	تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى
التبصرة	ابن الجوزى ٥٩٧هـ	دار إحياء الكتب العربية
تفسير ابن كثير	ابن كثير ٧٧٤هـ	دار التراث
تفسير الجلالين	المحلى ٨٦٤هـ ، والسيوطى ٩١١هـ	شركة الشمرلى
تفسير القرطبى	القرطبى ٦٧٦ هـ	دار الشعب
التقييد	محمد بن عبد الغنى البغدادى ٦٢٩هـ	دار الكتب العلمية
الجامع الصغير	السيوطى ٩١١هـ	مصطفى الحلبى
جامع العلوم والحكم	ابن رجب ٧٥٠ هـ	دار المعرفة
الجهاد	ابن أبى عاصم٢٠٦هـ	مكتبة العلوم والحكم
حلية الأولياء	أبو نعيم ٤٣٠هـ	دار الكتاب العربى
الرسالة القشيرية	أبو القاسم القشيرى	دار الشعب
رياض الصالحين	الإمام النووى ٦٧٦هـ	مكتبة الإيمان ، دار الثقافة العربية - دمشق
السبعة فى القراءات	ابن مجاهد ٣٢٤ هـ	دار المعارف
السنة	ابن أبى عاصم٢٠٦هـ	المكتب الإسلامى
السنة	الخلال	دار الراية
سنن ابن ماجه	أبو عبد الله القزوينى٢٧٥هـ	إحياء الكتب العربية
سنن أبى داود	أبو داود السجستانى٢٧٥هـ	المكتبة العصرية

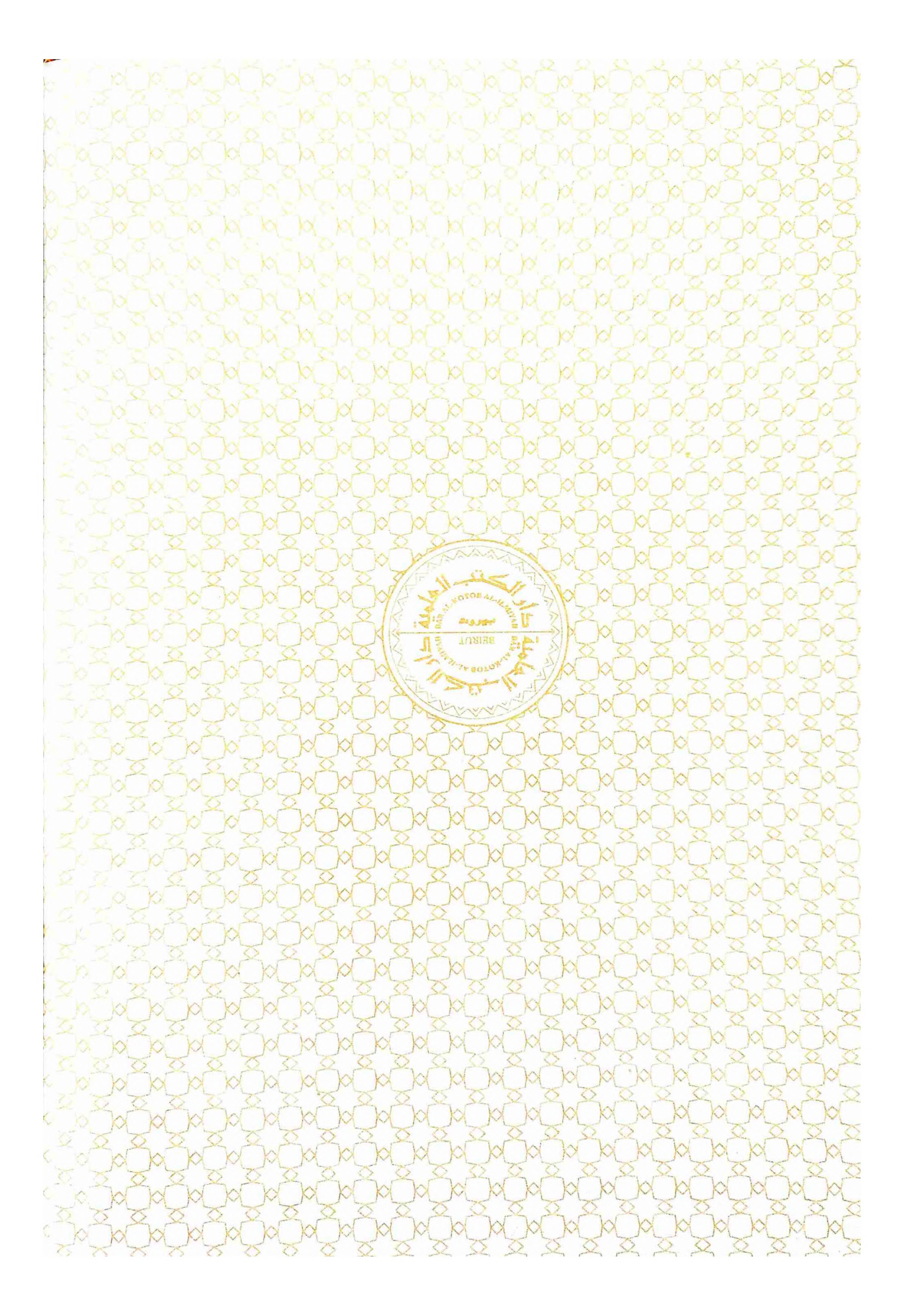
الكتاب	المؤلف	الناشر
سنن الترمذى	أبو عيسى الترمذى٢٧٩هـ	دار الكتب العلمية
سنن النسائى الصغرى (المجتبى)	النسائى ٣٠٣هـ	دار الكتب العلمية
سنن النسائى الكبرى	النسائى ٣٠٣هـ	دار الكتب العلمية
صحيح ابن خزيمة	ابن خزيمة ٣١١هـ	المكتب الإسلامى
صحيح البخارى	محمد بن إسماعيل البخارى ٢٥٦هـ	دار إحياء الكتب العربية
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج٢٦١هـ	دار إحياء الكتب العربية
صفة الصفوة	ابن الجوزى ٥٩٧هـ	دار الكتب العلمية
شرح المعلقات السبع	أبو عبد الله الزوزنى	مصطفى البابى الحلبى
فتح البارى شرح صحيح البخارى	ابن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ	دار الريان - الطبعة الأولى، دار المعرفة
فضائل الصحابة	أحمد بن حنبل٢٤١هـ	مؤسسة الرسالة
القاموس المحيط	الفيروزآبادى٨١٧هـ	مؤسسة الرسالة
القبس شرح موطأ مالك ابن أنس	ابن العربى المالكى ٥٤٣هـ	دار الكتب العلمية
قصص الأنبياء	ابن كثير ٧٧٤هـ	دار التراث
كشف الخفا	العجلونى ١١٦٢هـ	مؤسسة الرسالة
مجمع الزوائد	الهيثمى ٨٠٧هـ	دار الكتب العلمية
مستدرك الحاكم	أبو عبد الله الحاكم٤٠٥هـ	دار الكتب العلمية
مسند أبى يعلى	أبو يعلى الموصلى ٣٠٧هـ	دار المأمون للتراث
مسند أحمد	أحمد بن حنبل٢٤١هـ	دار صادر
مسند الشهاب	القضاعى ٤٥٤هـ	مؤسسة الرسالة
مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد ٢٤٩ هـ	مخطوط بدار الكتب الظاهرية
المصباح المنير	الفيومى	المكتبة العصرية
المصنوع	ملا على القارى ١٠١٤ هـ	مكتبة دار الرشد
المعجم الأوسط	الطبرانى ٣٦٠ هـ	دار الحرمين
المعجم الكبير	الطبرانى ٣٦٠ هـ	مكتبة العلوم والحكم

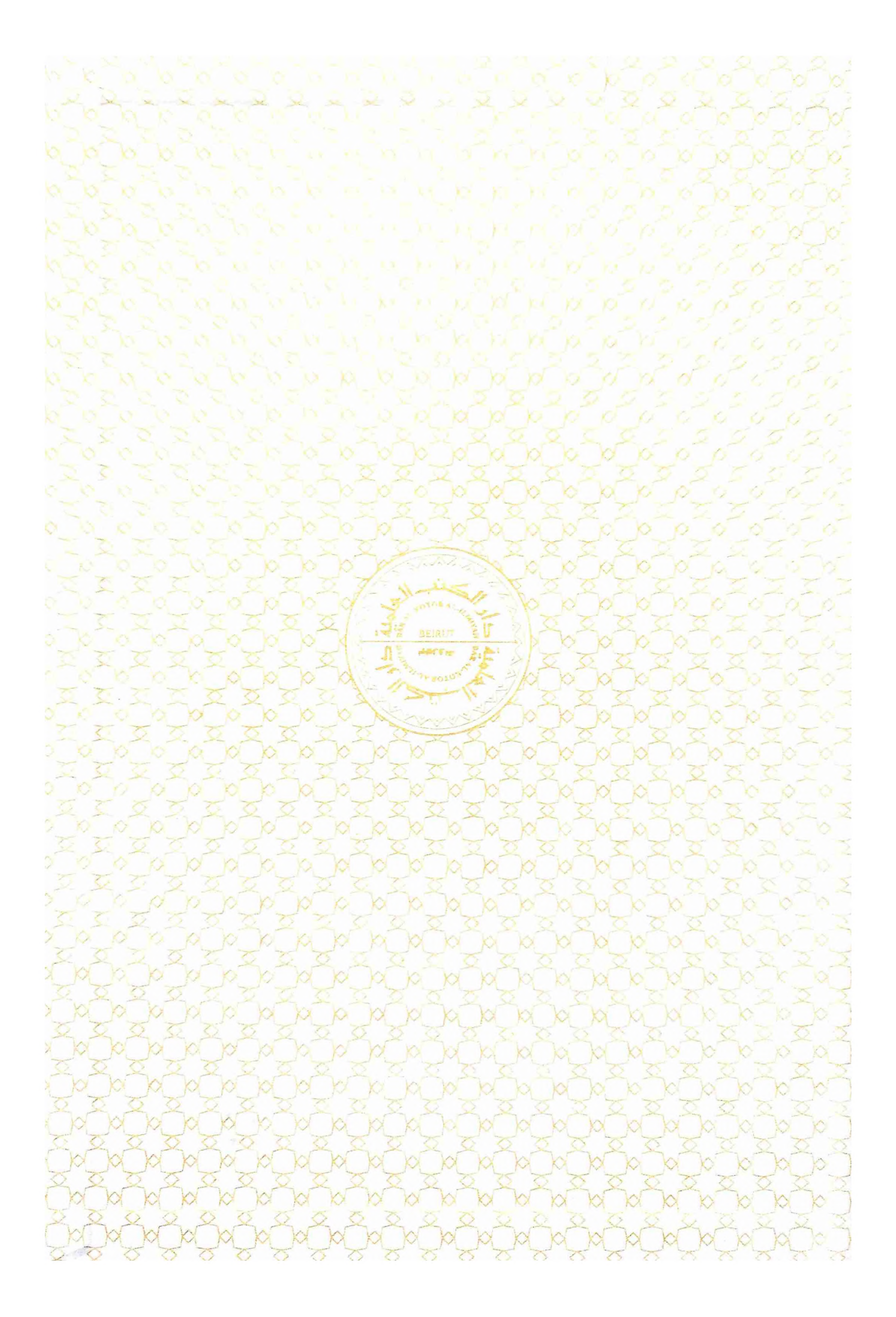
معجم مقاييس اللغة	ابن فارس ٣٩٥ هـ	دار الجيل
المعجم الوجيز	مجمع اللغة العربية	
المفردات فى غريب القرآن	الراغب الأصفهانى ٥٠٢هـ	مكتبة الجمهورية
المقاصد الحسنة	السخاوى ٩٠٢ هـ	مكتبة الخانجى
من حديث خيثمة	خيثمة بن سليمان القرشى٣٤٣هـ	دار الكتاب العربى
موارد الظمآن فى زوائد ابن حبان	الهيثمى ٨٠٧هـ	دار الكتب العلمية
الموطأ	الإمام مالك ١٧٩ هـ	دار إحياء الكتب العربية
ميزان الاعتدال	الذهبى ٧٤٨ هـ	دار الفكر العربى
النهاية فى غريب الحديث	ابن الأثير ٦٠٦هـ	دار إحياء الكتب العربية

محتويات هذا المجلد

تم بحمد الله تعالى نسخ الكتابين وصفهما
وتنضيدهما بمعرفة مكتب « **القبس لتحقيق التراث** »




دار الكتب العلمية
بيروت
BEIRUT





مرافق الموافق

في الوعظ

ويليه

رؤوس القوارير

مجالس علمية





دار الكتب العلمية

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

هاتف وفاكس: ٣٧٨٥٤٢ - ٣٦٦١٣٥ ١ ٩٦١ +

ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com



طبع في مطابع دار الكتب العلمية